
السنة الرابعة _ العدد ٤٢ – شعبان ١٣٩٩هـ – يونيه ١٩٧٩م

الدوحة

ملتقى الإبداع العربي والثقافة الإنسانية

موقف الإسلام من قضايا العصر

طفلنا في سنته الدولية

ت. س. اليوت والقارئ العربي

بعض الأقلام بعض الأصوات

غزة هاشم وجه مدينة من فلسطين

الدكتور محمد ابراهيم الشوش

بعض الأقلام بعض الأصوات



- إنها حقيقة بديهية وواقع عشناه ونعيشه منذ أن فرقتنا يد الدهر أو المستعمر
- خلافنا يطول أحياناً حتى لنحسبه عداوة الدهر ويقصر أحياناً كسحابة صيف
- أخطر ما يصيب الأمم أن يختلط عليها في حمية خلافاتها، العرض بالجوهر، والعابر بالخالد، والهدف بأساليب الوصول إليه!

نحن أمة - في تكوينها المرحلي المعاصر كثيرة الجدل كثيرة الخلاف - لا نسوق ذلك من قبيل المدح أو الذم أو الإشادة أو التنديد، وإنما هي حقيقة بديهية وواقع عشناه ونعيشه منذ أن فرقتنا يد الدهر أو المستعمر أيهما شئت فالمعنى بينه ما تعلق .... هي إذن مجرد حقيقة لا تثير فينا دهشة أو استغراباً أو انزعاجاً أو قلقاً، ما نختلف في مؤتمر أو لجنة إلا ويقسم أغلظ الإيمان أننا لن نعود إليه ولن أجيرة - خلافاً - نستغفر عنه، لكننا نعود وتعود معنا شركنا الأولى - في لمسناه وليسنا ... ينبع من داخلنا أحياناً حتى بعد أن نقل ويغيظنا ظلم ذوي القربى، ويثيره أصبح خارجي من الأساليب الكثيرة المتربصة بنا لا نجد في ذلك عنت المفاجئ المهول في الساحة وسقى الحي.

خلافنا يطول أحياناً حتى لنحسبه عداوة الدهر ونظير حرب البسوس تفاخر بامتدادها لربعين عاماً بالتمام والكمال لا تنقص يوماً واحداً بسبب غدرة راحت ضحيتها ناقة امرأة مسنة، ويقصر أحياناً كسحابة صيف لا تلبث أن تتقشع. يعنف أحياناً حتى ليرتفع فيه صهيل الخيل وصليل السيوف وتراشق النبال ويخف أحياناً يقتصر على شيء من الغمز واللمز وبعض السباب المستتر يكلف به نفر من الإعلاميين يقومون به بلا كبير حماس ولا شديد اقتناع يقصد به صرف الأنظار أو إزالة الملل عن النفوس ... لكنه خلاف في كل حالاته ينتهي في كثير من الأحيان بنفس السرعة التي بدأ بها إلى صفاء وود وعناق ونسيان أسباب خلاف لا تستحق الذكرى على أية حال، وخارج عن اهتمامات الشعوب.

يعتبر المتشائمون هذه الخصلة فيما مثار تفكه وتندر ودليل انفعال غير ناضج وشلل في دائرة الفعل والتأثير يستعاض عنه بمعارك الخصومات الكلامية، ويراه الذين يحسنون الظن بنا دليل عقلية وحيوية وأصالة في التفكير .. فالأموات هم وحدهم الذين لا يختلفون أبداً والمقهورون المستعبدون هم وحدهم الذين لا يملكون حق الخلاف والاختلاف.

على أن أخطر ما يصيب الأمم أن يختلط عليها في حمية خلافاتها العرض بالجوهر والعابر بالخالد المقيم والهدف بأساليب الوصول إليه وأن يخترق خلافها كل حجب المعقول والمقبول ليصل بالتشكيك والوخز والطعن عمق قضايا المصير التي تعتبرها كل الأمم خارج دائرة الجدل والخلاف.

هل هي ولادة جديدة؟

والذي لا مراء فيه أننا الآن - بإزاء خلاف مصيري خطير وجاد - لا يجب ولا ينبغي أن نقلل من خطورته وأهميته ومداه - نمر بفترة من أعصب وأدق فترات تاريخنا المعاصر سمها إن كنت ممن يفضلون التعزية ويميلون إلى التفاؤل مخاضاً لولادة جديدة تتضح فيها الرؤية بعد تراكم الغيوم زمناً طويلاً وتتحدد فيها المواقف ويعرف الكل أين يقف ومع من يقف بلا أشجار ولا تلال ولا رمال ولا سحب ولا ضباب تحجب الرؤية وتخفي وراءها النوايا. أو سمها حلقة في سلسلة الفورات العاصفة التي ابتلينا بها منذ أن زحف الكيان الصهيوني اللعين فوق أرضنا ينتزعها شبراً شبراً ونحن في غفلة وتقهقر نختلف، أو سمها خلافاً موقوتاً ينتهي بنهاية أسبابه .....

مخاض أو خلاف موقت أو كارثة هي أزمة تتجلى أبعادها الحقيقية فيما أفرزته من ظواهر جانبية جعلت كل مسلماتنا المقدسة وقضايانا المصيرية وقيمنا الراسخة أو التي كنا نعتقد أنها راسخة في خضم الجدل والخلاف.

والذي كان بعيداً عن معارك الجدل أصبح هدفاً للتراشق المتعاركين والمتجادلين.

فالخلاف مهما بلغت حدته لا يجب أن يطغى أو يطمس مبدأ أننا على تباين ثقلنا وتعدد سبلنا ومناطقنا ومصادر

بعض الأقلام
بعض الأصوات

ثرواتنا وقدراتنا المادية والفكرية شعب عربي واحد ، ظروف فرقته وتفرقه مؤقتة وإن طال مداها . وإن خلافنا يجب ألا يخرج عن دائرة هذا الهدف مهما بدا للمتشككين بعيداً . ولكن ما إن أطلت بوادر الخلاف واستعر أواره حتى انبست في غباره واستغلته أصوات قلة من الموتورين الذين لا يملكون وجدان أمتهم تحسن الحقد تظهر ما كانت تبطنه من عداء لهذا الشعب العربي أو ذاك ، وأطلت عارية زبانية الحقد والعنصرية ودعاة الإقليمية تعمد إلى تحويل الخلاف إلى معركة بين شعوب الأمة العربية يستلونها بروح الثبنية يذمون ويفاضلون ويمتحون من أغوار الجاهلية أسوأ الأسماء يحسبون إذكاء روح التعصب والفتنة عملاً وطنياً قومياً .

وانبرت من موقع قيادة فكرية وثقافية وأدبية أقلام تجد بها غير السن ونضوب الحياة تدعو إلى حياة في معركة نحن أصلاً طرف فيها بأعداء أعدائنا ما نحن مختبرين ومحق . والأقلام تجاهر بالتشكيك في قدراتنا الذاتية وأصالتنا وثقافتنا في حاضرنا ومستقبلنا بل وتشكك حتى في جدوى انتمائنا العربي ... بل وتذهب في جسارة إلى ترديد ما ظل يروجه أعداؤنا من أننا أرض خلاء ومال وفير غير مستغل ويد عاطلة بلا رأس مدبر تفتقر إلى عبقرية أعدائنا الذين أخرجونا من ديارنا وما زالوا يفعلون .

أقلام وأصوات خرجت من كل صوب تستبيح القول في محظوره ، وتعرينا تدريجيا من كل قيمة تجعل لحياتنا معنى وهدفـــا .

وفي حياة كل الشعوب ــ على تباين في وجهات النظر تقننه الدساتير وتحترمه النظم المتمدينة ــ مسلمات أساسية يقوم عليها كيانها القومي وهي مسلمات لا يطولها الخلاف ولا تصبح مرتعاً لأقلام المجتهدين الموتورين كلما حزب الأمر واشتد الجدل .

● قد نختلف ... ولكن !

فنحن قد نختلف في وسائل تحقيق الوحدة العربية وقد نختلف في مداها وغاياتها ومراحلها وسرعة تحقيقها ولكن إنكار هذا الهدف القومي كلية بالقول أو الفعل ، أو إصدار التشريعات التي تزكي وتركز روح الإقليمية وتشجع النعرات الانفصالية والكيانات المستقلة داخل الوطن العربي هو عمل يتنافى والروح القومية .

ونحن قد نختلف في وسائل مكافحة الصهيونية سياسيا وإعلاميا وعسكريا ولكن إنكار بعض الأقلام السائحة غير المسؤولة أن تكون الصهيونية مبدأ توسعيا استيطانيا عدوانيا يقوم أساسا على تقويض مجتمعنا واستلاب أرضنا وسحق وجودنا هو عمل على أحسن الفروض يقوم على الجهل بأبسط وأبرز قواعد الصهيونية وأهدافها البعيدة والقريبة ويتنافى والروح القومية .

ونحن قد نختلف في الوسائل والأساليب والمدى الذي يمكن أن نستفيد فيه من تراثنا وحضارتنا وتاريخنا وما يجب أن نتخلى عنه أو نحتفظ به من تقاليدنا ولكن إنكار وجود هذا التراث كلية والاستهانة به وبقدراتنا الذاتية ، وتعميق مركب النقص الذي يدعي لليهود خاصة عبقرية ليست لنا ومحو كل إنجازاتنا الفكرية والثقافية والإبداعية ... وتقليص كل إمكاناتنا إلى مجرد مصادر ثروة مادية جاءتنا عفوا وتحتاج فقط إلى من يستغلها بفكره وتدبيره هو ادعاء يتنافى والروح القومية .

ونحن قد نختلف في وسائل تحقيق التنمية والتطوير والتحديث والمدى الذي يمكن أن نبلغه في إطار ديننا وتقاليدنا وقيمنا ، ولكن رفض التطور والتحديث كلية من حيث



[illegible] لا يطولها الخلاف ولا أقلام التشويه

المبدأ هو فكر معوق لأهداف الأمة العربية ومصالحها وتطويرها تحت اي شعار رفع .

ونحن قد نختلف في وسائل توظيف ثرواتنا ، ونكون محقين ان طمنا حتى من الغرب الربالنا شروطا لتامينها وسلامة استغلالها ولكن مبدأ استغلالها لصالح العرب وفي أرض العرب ولتحقيق أهداف الأمة العربية بالعطاء والمنح ولصالح أجيالنا القادمة هو مبدأ قومي لا يجب ان يكون موضع جدل ولا يعلو عليه اي اعتبار آخر ولا يغفر الحيد عنه اي تبرير .

ولقد يعتقد بعضنا ان استعادتنا العسكرية لم تكتمل بعد لتحرير كل شبر من الأرض العربية سلبها الكيان الصهيوني ، وقد نختلف في اسلوب الاعداد العسكري والدبلوماسي الذي يجعلنا في موضع القدر القوي القادر ولكننا لا نختلف ولا ينبغي ان نختلف في رفض التخلي كلية وإلى الأبد عن القدس وعن فلسطين العربية وعن أي شبر فيها لأن ذلك يتنافى مع فهم عجلة التاريخ كما يتنافى والأهداف القومية الثابتة للأمة العربية والمبدأ الإنساني الذي لا يمكن أن يقبل تحت اي ظرف وبأي تبرير احتلال ارضه حتى وإن امتدت حركة تحريرها مئات السنين .

ونحن قد نختلف في أسباب ضعفنا وتخلفنا المعنوي والمادي لكن القناعة بأن هذا الضعف وهذا التخلف نابعان من داخلنا وفي طبعنا وطبيعتنا لا فكاك منه ظلم لهذه الأمة العريقة وانكار لتاريخها الحضاري ونضالها عبر القرون .

ونحن قد نختلف في طبيعة النظام السياسي والدستوري والاجتماعي الذي نريد تحقيقه لأمتنا ولكن لا يجب ان نختلف في رفض اي نظام يقوم على التعسف والدكتاتورية التي يترعرع في ظلها دائما وابدا بعيدا عن رقابة الأمة أصحاب الحظوة والرشوة والفساد وينمو تحت مظلتها السوداء طبقة الطفيليين ومخالب المجتمع .

ونحن قد نختلف في المدى الذي يمكن ان نتسامح فيه ونتيحه لحرية الفرد في حياته الخاصة وبين جدران منزله وفي محيط اسرته ولكن لا يجب ان نختلف في مبدأ حرمان المنحرفين والفاسدين خلقيا من التحكم في رقاب الآخرين في اي موضع من مواضع السلطة وجعل انحرافهم نموذجا يحتذى .

هذه بعض امور لا يدور حولها خلاف لأنها تمثل الأركان الأساسية والمعايير والمقاييس التي تتيح للمجتمع اي مجتمع ان يحكم على تصرفات الرادة وتقلمه على ضوئها ... وفي غياب هذه المعايير يصبح الحكم على تصرفات اي انسان حكما سطحيا ذاتيا متقلبا .

● بعيدا عن الخلافات

ولقد اشرت في حديث سابق ان كل شعوب العالم تعتنق قضايا قومية تعتبرها مصيرية وجوهرية لا تقبل ان تكون موضع خلاف حتى وإن دار هذا الخلاف في الإطار الديموقراطي الذي يحققه الدستور ، ولقد تعرض المعارضون لحرب السويس عام ١٩٥٦ في بريطانيا إلى تقريع شديد واتهموا ببعض التهم من الطعن لأنهم نددوا بسياسة إيدن في وقت كان الجيش البريطاني يخوض معركة عسكرية بغض النظر عن رأيهم السياسي فيها .

وكذلك تعرض محرر الصنداي تايمز اللندنية لنقد عنيف من كل الأوساط برغم الحرية الصحفية المكفولة له لأنه كشف حقائق أضرت بالاقتصاد القومي لبريطانيا .

ولقد وقفت إسرائيل بكل ثقلها العسكري والسياسي إلى جانب اثيوبيا في حربها العدوانية ضد الصومال وارتريا لم يغير موقفها شيوعية النظام الاثيوبي ولم يثنها انها تحارب إلى جانب قوى تعاديها اشد العداء لأن إسرائيل تدرك تماما ان سحق الصومال وارتريا الحليفين الطبيعيين للأمة العربية في قضية مصير بينما ماركسية النظام الاثيوبي أمر عارض عابر مهما طال أجله ...

اعود فأقول إننا أمة كثيرة الخلاف والجدل ولا يلزم ان يكون ذلك ظاهرة مرضية ما جعلنا لخلافنا حدودا تقف عندها وما اتفقنا قادة ومفكرين على القضايا المصيرية لأمتنا العربية والتي يجب ان تظل دائما بمنأى عن اختلافات الأفراد والنظم والجماعات والشيع مهما بلغت حدتها ، لا تطولها — بغير حساب عسير — أقلام المشككين والمعادين لأهداف الأمة العربية .

د. محمد ابراهيم الشوش

غالي ستار



نحن.. والسلبيات.. والإيجابيات..!

الحديث عن السلبيات في حياة الامة العربية كان وسيظل الحديث الاكثر الحاحا لزمن قد لا يكون قصيرا فتاريخ خمسمائة عام من النكسات والكوارث والانهيارات – رغم الاضاءات الحادة التي كانت تعمل بعض تباشير العودة الى الذات بين الفينة والاخرى – مازال عبئا ثقيلا كتب على هذه الامة ان تحمله بأناة وصبر واستكانة حينا .. وبانفعال واستبسال يصل الى درجة الانتحار احيانا اخرى .

والحديث عن السلبيات لدى الامم المهزومة حضاريا وعسكريا – كما هو الحال مع الامة العربية – يجر فيما يجر اليه البحث عن نمط جديد في السلوك السياسي والاجتماعي بغية ترميم البناء النفسي في الفرد تمهيدا لدخوله مرحلة جديدة – لعلها مرحلة الصحو – حيث يبدأ مع هذه المرحلة مشوار التغيير .. سواء أكان هذا التغيير داخل عقل الانسان الفرد ام داخل عقل الجهاز الذي اوكلت اليه الاقدار قيادة الامة .

ولعل اخطر ما في الحديث عن السلبيات في حياة الامة العربية هو القول بان هذه الامة سائرة الى حتفها الابلاغي ان لم تغير من سلوكها وسلبياتها في الحضارة .. اكثر خطورة من ذلك هو القول بان الشعوب العربية – التي تتألف منها الامة – لم تعد قادرة على التماسك من جديد بعد المحنة الكبرى التي الحقت بها على يد ملوك الطوائف واخرهم عبد الله الصغير حيث فقدت هذه الامة القدرة على التمييز بين الابيض والاسود .. ويدللون على بانهيار الوحدات التي كانت قائمة بين اقطارها في فترات ماضية وبالمصاعب الجمة والمعقدة التي كتب على الوحدات القائمة حاليا مواجهتها ..

وهذه النظرة صحيحة الى حد كبير وان متتبع لما يجري فوق سطح العلاقات العربية والعربية الدولية يمكنه ان يكتشف بسهولة عمق الجرح النازف من ذمها سواء أكان ذلك على مستوى قضيتها القومية – فلسطين – او على مستوى خطط التنمية وبرامج تطوير القدرات .

ولعله ليس من تبسيط الامور القول بان النكبة القومية التي تمر بها الامة العربية ليست سوى ناتج حقيقي لنمط السلوك الفردي في المجتمعات العربية حيث يتحكم هذا السلوك في شد الضوابط وارخائها على مستوى الانسان المواطن والانسان الدولة .

نوضح اكثر ..

اذا كانت الامة هي مجموع الشعوب واذا كانت الشعوب هي مجموع الافراد فان اي علاج لادواء الامة ينبغي ان يبدأ من هنا .. من الفرد – الخلية التي تتألف منها الاسرة اذ في حضن هذه الاسرة ينشأ الطفل وتتشكل مفاهيمه ويتقرر سلبية او ايجابية هذه المفاهيم يكون عطاؤه حين يشب ويكبر .

وتكيلا يكون حديثنا ضربا من الخيال تعالوا نقيم ميزانا نرصد فيه وزن الفرد في الامة العربية ووزن الفرد في الامم الاكثر تقدما .. سنلاحظ اول ما نلاحظ هذا الفارق الكبير في نهج واسلوب التربية عندنا وعندهم ولعل من تحصيل الحاصل القول بان الطفل عندنا ليس سوى دمية صغيرة تبعث على الضحك في مراحلها الاولى حيث يتلهى بها الاباء والامهات حتى اذا كبر قليلا تحول الى متلق للاوامر والنواهي دون ان يجشم الاباء والامهات انفسهم مشقة تفسير هذه الاوامر والنواهي بما يتناسب ومداركه الفجة ورغم ذلك فان عليه الا يحيد عن السلوك الذي يختاره له والداه دون ان يكون له حق الاعتراض او السؤال .. وهكذا يتحول رب الاسرة – وبدرجة اقل الام – الى مرده في شره وسيلة إرادتهما الا ان يخضع لرغبتهما دون ان يكون له حق التقرير سلبا او ايجابا فيما يخصه ...!

والطفل – اي طفل – يكتسب من بيئته كل ما فيها من سلبيات وايجابيات .. ولعل ابرز ما يمكن ان يكتسبه الطفل في العالم الاكثر وعيا بوجوده – وهو ليس عالمنا باي حال من الاحوال – هو دقة التخطيط – واضع خطا امام كلمة التخطيط – الذي يحكم حياة الاسرة هناك حيث النوم له ميعاد والاكل له ميعاد والتلفزيون له ميعاد وحيث الواجبات المدرسية تعتبر من الامور المقدسة التي لا يمكن التهاون فيها باي حال من الاحوال .. وحيث تتصرف الاسرة في مالها بطريقة تحكمها الارقام وضوابط المتصرف والوارد اذ ان شراء سيارة – مثلا – يعتبر حدثا كبيرا في حياة الاسرة الغربية يقتضي من الكل ان يفتش من اجلها عن مخرج لضغط نفقات الاسرة او البحث عن مورد اخر فاذا لم يتيسر للاسرة شيء من ذلك تحولت هموم شراء السيارة الى مشروع غير قابل للتنفيذ .. وتقس الحال حين تحتاج الاسرة الى شراء تلفزيون او تغيير سجاد غرفة الجلوس .

باختصار كل شيء عندهم بحساب وكل شيء موقوت بميعاد . فللطفل عدد معين من الملابس كل سنة لا يمكن تجاوزها وله مصروف معين كل يوم لا يمكن تخطيه وهو لا يستطيع ان يأكل تفاحتين في اليوم الواحد حين لا يكون مرصودا له في ميزانية الاسرة سوى تفاحة واحدة فقط ..

هكذا يعيش الطفل عندهم وسط اسرة محكوم كل

ما فيها بضوابط المصرف والوارد وهو أمر تفتقده ليس الاسرة العربية وحدهـا ولكن تفتقده حتى مجتمعاتنا العربية في هيكلها العام كمؤسسات حاكمة .

ومن هنا ـ من هذه البداية الخطأ ـ ينشأ الطفل عندنا وهو لا يعرف الحدود التي ينبغي أن يقف عندها سواء كان ذلك عندما يجلس أمام التلفزيون حيث الوقت يضيع هدرا فيما لا ينفعه أو حين يخرج الى الشارع حيث (يهبش) من الفلوس ما يشاء من أبيه أو من أمه .. وفي أضعف الأحوال من جدته اذا رفض الاثنان الانصياع لرغباته ..!

في مثل هذا الجو الذي ينعدم فيه الاحساس بقيمة الوقت وقيمة المال ليس غريبا أن تعج مجتمعاتنا العربية بالرجال ـ الاطفال ـ ان صح التعبير .. وفي مثل هذا المناخ الاسري ليس غريبا أن تنهج الوضعيات الحاكمة ذات النهج الذي تنتهجه الاسرة .. فلا التخطيط فيها قائم على أسس سليمة ولا برامج التنمية واضحة الحدود والمعالم ولا مناهج وزارات التربية قادرة أن تقول لنا أي نوع من الرجال تخرج اللغة كل سنة .

يحضرني في هذا المجال ـ وهذا مثل من أمثلة كثيرة ـ حكاية مطار كانت احدى الدول الخليجية قد قررت انشاءه قبل سنوات فجيء بالخبراء والمهندسين وقيل لهم نريد مطارا ..

وبعد شهور كانت الخرائط والتصاميم جاهزة وشرعت الدولة في تنفيذ مشروع المطار .. بعد ثلاث سنوات بالضبط شعر المسئولون في الدولة بأن مثل هذا المطار لن يستوعب حركة الطيران المتزايدة بعد عامين أو ثلاثة فجاءوا بالخبراء والمهندسين مرة ثانية وقالوا لهم نريد مطارا آخر أكبر حجما وأكثر اتساعا .

.. وبعد ثلاث سنوات أخرى من بدء العمل اكتشف المسئولون للمرة الثانية أن المطار أقل مستوى مما يجب أن يكون .. وللمرة الثالثة طلب من المهندسين والمختصين اعادة النظر في تصاميمهم .. ولعله قد مر الآن أكثر من خمس عشرة سنة على بدء التفكير في المطار المذكور دون أن يتم انجـازه كمشروع متكامل .. والنتيجة ضياع المال وضياع الوقت وضياع الجهد .. والسبب هو انعدام روح المسئولية من جهة وانعـدام التخطيط السليم من جهة ثانية .

باختصار ..

كل كوارث امتنا نابعة من هناك .. من الخليـة الاولى في مجتمعاتنا العربية .. وحين تستقيم الامور هناك ثقوا أنها ستستقيم هنا .

صبحي سيار

مناجاة في ذكرى

الإسراء والمعراج

ياسيدي يا رسول الله ، يا أبا الزهراء ، يا خاتم الأنبياء والمرسلين ......

أيها الرسول النبي العربي الأمين ، يا غاية المثل العليا في الرجولة والشجاعة والكرم والوفاء والصدق والإباء والعظمة والتواضع ومكارم الأخلاق والصبر والحلم والإصرار والثبات على الحق ... يا من تربى على مائدة علمك وحكمتك الأبطال الفاتحون والأتقياء الأنقياء ، الذين إذا كانوا معك على أمر جامع لم يرتابوا ، ولم يتفرقوا ، ولم يتدابروا ، ولم يتنازعوا ، ولم تكن الدنيا ورفاهيتها مدى طلبتهم ، وغاية همهم ، ففتحوا الأمصار ، ومدنوا الشعوب ، ورفعوا لواء حضارة الإنسانية قرونا عدة ، حتى إذا ما عميت البصائر ، تداعت علينا الأمم تداعي جائعة مفترسة ، فأضحى مسرى محمد مغتصبا ، وقبلته الأولى ، حبيسا في الأسر والإذلال ...

يا سيدي يا رسول الله ، يا صاحب الإسراء والمعراج ، فلتسامحني أن يكون قدري ، وقدر أمثالي ، الانتماء إلى هذا الجيل من (أمتك) الذي قل فيه الصادقون العاملون واستبد العاصون والضالون الذين يحسبون أنهم يحسنون صنعا ، وطغت الأهواء والملذات (باسم التحضر) وأمسى المسخ بسيرتك العطرة ، وتراثك الطهور ، مجرد وسائل لغايات الدنيا الرخيصة التي لا تثمر إلا المذلة والهوان والتبعية لأعدائك ......

سيدي يا أبا الزهراء ، صلى الله عليك وآلك وصحبك وسلم ، لا أملك في مناسبة إسرائك ومعراجك ، على صفحات الدوحة ، إلا أن أدعو الله الذي أرسلك بالهدى والحق للناس كافة ، بشيرا ونذيرا ، أن يهيء لهذه الأمة ، أمة الإسلام ، من أمرها رشدا ، وأن يخرجها من هذه الفتنة المستعرة والمذلة القاتلة ، والهوان الواضح ، والضلال العميق ، وأن يخلصها من الكذب والنفاق والرياء وسوء الطوايا وعبادة المادة ، لتفتح القرآن ، بعلم وعقل ويقين ، وتغلق كل ما عداه من أسفار المستحدثات والبدع والفلا سلام ، والتسعيد ، بنور سيرتك ، مستخلفها على الأرض ، مستخلفة فيها ، لإشاعة العدل والسلام والأمان ، للناس كافة ، بتوجيههم إلى طريق الإنقاذ والنجاة من كل ما ينسجه أعداؤك ، وأصدقاء أعدائك ، وأعداء أصدقائك ، يا سيدي يا رسول الله .....

درويش مصطفى الفار

محمد المنصف القصيبي

نظرتهم إلى الإسلام

بعد ليل طويل خيم على شعوب الأمة الاسلامية وأسدل عليها ستارا كثيفا من الظلام سمكه مئات السنين من التخلف عن ريادة العالم وركب الحضارة والابداع، وهيأ للقوى الخارجية فرص التقسيم والهيمنة والاستغلال، برزت في مختلف أرجاء العالم العربي والاسلامي ـ خاصة خلال القرن الحالي ـ حركات متعددة ترمي في مجموعها إلى تمزيق الظلام وصنع فجر جديد يبلغ بساعة التحرير من القيود المشدودة إلى الأسفل والوراء، وتهدف إلى استعادة القدرة على تحقيق الذات، واحتلال المكانة اللائقة بنا في عالم يسحق الأقزام وتهدر فيه حقوق الضعفاء.

ولئن اتحدت غايات التحرير والتطوير فقد تباينت الاختيارات حول السبل والمناهج الكفيلة بتحقيق هذه الغايات.. اذ تكاثرت التيارات في الساحة العربية والاسلامية، فمنها ما ينهل من التراث الحضاري الأصيل وما يؤمن بوسيلة التشبه والتقليد، ومنهما ما صيغ في شكل مذاهب محلية وحركات وطنية وما تضيع للخارج فكان امتدادا له يتحرك في مجال جاذبيته.

ونظرا لما تراكم لدينا من رصيد هائل من التخلف، فان المنهج التراثي الداعي إلى استلهام وسائل النهضة عبر الرجوع إلى الذات والاعتماد على حضارتنا الاسلامية ظل لفترة طويلة محدود الرواج، خلافا لكثير من المذاهب المحلية أو المستوردة ذات الصبغة السياسية والاقتصادية التي استفادت في انتشارها من المحن التي دعيناها مثل صراعنا مع الاستعمار والصهيونية وأيضا من شهادات النجاح والتفوق التي أحرزت عليها المذاهب الأجنبية في الغرب الرأسمالي أو الشرق الشيوعي علاوة على ما ساد من الفريات المادية الزاحفة علينا من حضارة الشمال المتمتع.

ويديهي أن عجز المذاهب [illegible] بحدها ومنطلقاتها [illegible] الاسلام [illegible] ما [illegible] الفول [illegible] [illegible] في المذاهب [illegible] [illegible] ففي [illegible] والاجتماعي والثقافي على مستوى [illegible] لا على مستوى الأمة بأسرها، فإن هذه المذاهب والتيارات لم تفلح تماما في سد الثغرات أمام الأطماع والأعداء وتوحيد الصفوف المبعثرة وتحرير أراضينا المغتصبة والقضاء على الاستغلال الخارجي والقيام بالتنمية الفكرية والاقتصادية وبناء أركان النهضة الشاملة المتكاملة التي تزول معها أسباب التباين والتناقض بين اقتصاديات أقطارنا ويكتمل في ظلها بناء انسان جديد غير مهزوز الشخصية والانتماء.

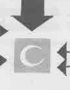
كما أن مراجع التيارات الآخذة عن الغرب الرأسمالي أو الشرق الشيوعي فقدت الكثير من مصداقيتها ومن قيمة شهادات النجاح التي طالما افتخر بها المعجبون بها، وقد انتهى الأمر إلى إشهار الافلاس على المستوى العالمي، فهذا الغرب أفرز نظامه الرأسمالي أزمات هيكلية غير ظرفية قوضت أركان النظام النقدي العالمي ونشرت البطالة وعممت التضخم وأرهقت النشاط الاقتصادي وأطاحت بأحلام الشباب في الرخاء والسعادة. فكثر الشباب بمجتمع الآلة والاستهلاك وضاع في متاهات البحث عن الروح عبر تعاطي المخدرات واصطناع الأديان الزائفة والسجود للأشباه المتعفنين من أمثال جيم جونس زعيم طائفة معبد الشعب التي انتحرت جماعيا بالمئات على احدى غابات غويانا خلال شهر نوفمبر من سنة ١٩٧٨.

وذاك الشرق الشيوعي الذي نشأ لتحرير الانسان من كل القيود والوان الاستغلال فقد أصبح الفرد فيه عنصرا ماديا بلا روح وشخصا سجينا وراء ستار حديدي تتحدد حركاته وفقا لايديولوجية الحزب الواحد.

في خضم ذلك، ونتيجة لفشل أغلب الايديولوجيات والتيارات المحلية والعالمية على السواء، تعاظمت الدعوة إلى المنهج التراثي والعودة إلى الذات والاعتماد على ما في الاسلام من وسائل تقويم النفس وإصلاح أحوال مجتمعاتنا التي تصلح لكل عصر في أي وقت مضى لكن من الخطأ بل ومن المستحيل فهم جذورها المتصلة بالماضي الحضاري التليد وانه من المجازفة بناء المستقبل على أساس تجاهل هذه الجذور والاعتماد الكلي على التجديد غير الأصيل أو على الاقتباس والأخذ من النظم الأجنبية خاصة اذا تناقضت جذريا مع قيمنا الراسخة.

تساؤلات وأحكام

وما كان مجرد دعوة محدودة الرواج أصبح الآن صحوة اسلامية من شواهدها امتلاء المساجد والجوامع بالشباب وشدة اقبال الشباب على اعتناق دعوة الاسلام ورفع رايته والاعتماد عليه في البحث عن أجوبة شافية لتساؤلات العصر وهموم الحاضر.



إزاء هذه الصحوة الجديدة وما برهن عنه الاسلام من قدرة على تحريك السواكن وتغيير المعادلات في الموازين العالمية أصبح هذا الدين قضية تشغل بال الساسة والرأي العام العالمي . أصدرت الاوامر إلى المخابرات المركزية الامريكية لتسلط الضوء على كل الحركات الاسلامية . وحدثت النفوس العقلانية في ايران ما في عبادة « الله اكبر » من طاقة معجزة . وحدث نواقيس التنبيه الى هذه القوة المتعاظمة حتى إن كاتبا صدر أخيرا للكاتبة الفرنسية كلارير دانكوس بعنوان « النظام الامبراطورية » جاء ليؤكد أن الاسلام الشعبي الآسيوي في روسيا هو الخطر الحقيقي الذي يهدد مستقبل الاتحاد السوفياتي .

وضمن هذا الاهتمام المتزايد بالدين الاسلامي وبصحوة الشعوب الاسلامية كان من الطبيعي لعدة أسباب أن تتبانى التحاليل وتصدر عن الاقلام الاجنبية تساؤلات وأحكام تنبني أحيانا على التحيز والتحامل والمغالطة . لذا يجدر بنا أن نعرف كيف ينظر غيرنا إلى الاسلام أي الينا ، وإلى احتمالات مستقبلنا حتى أن ندرك على الاقل المسائل الحساسة في نظر الرأي العام العالمي وهي مسائل قد تشكل مناقذ بارزة من الدين والوقيعة في صفوف المسلمين .

ومن بين التساؤلات الواردة في تلك التحاليل الاجنبية نشير اولا إلى اندهاش بعض القوم من قدرة الاسلام على أن يكون حافزا للثورة ووسيلة لتعبئة الجماهير ضد الظلم والاستغلال . ويعود هذا الاندهاش خاصة إلى ما ألفه الفكر الاوروبي من أن الثورات عادة ما تستمد إلهامها ووقودها من المبادىء الفلسفية والمذاهب الوضعية ومن أن الحركات الجذرية الحاصلة في تاريخ أوروبا مثلا كانت تستهدف كلا من السلطة السياسية والكنيسة المتحالفة معها ضد الجماهير المسحوقة وقد ظل الدين في أذهان الكثير من المثقفين عامل تهدئة وتخدير للناس يصرفهم عن هموم الدنيا إلى التطلع إلى عالم الغيب الآخر ليلهيهم عن الظلم ويضعف المقاومة فوق الأرض .

[illegible]

[illegible] الاسلام [illegible] الحضارة الاسلامية [illegible] الكنيسة [illegible] اللاتينية . أما الاسلام فيعد في صدارة ضمن المفاهيم الجذرية للشعوب اذا به يثبت من خلال جوهره الانساني العميق أنه صالح ليكون ركيزة ايديولوجية لحركات التحرير ولأن فيه طاقة كبرى للتحرك والتعبئة .

فعبارة « الله اكبر » تعني في جملة ما تعني أن الخضوع لا يكون إلا لله وحده عز وجل ، أي أن العباد سواسية أحرار سواسية لا حق لأي كان أن يستبد عليهم أو يمتهن كرامتهم أو يحتكر ما أنعم الله به عليهم من الخيرات .

إن عمر المذاهب يتحدد بمدى نجاحها ومحافظتها على هذا النجاح

الدين والدنيا

ويتفرع عن هذه المسألة الأولى تساؤل آخر حول علاقة الدين بالقضايا الحياتية في مختلف نواحيها السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية والمتطلع لما تكتبه الاقلام الغربية يلاحظ أن الجانب الحيوي للاسلام يثير حفيظة الغرباء عنا تجاه ما يعتبرونه إقحاما للدين في السياسة بأوسع مفهوم لها . فالغرب المسيحي تعود منذ زمن بعيد على الفصل بين الدين والدنيا اذ تنتهي حدود الدين عند باب الكنيسة الخاصة بالعبادات وطقوسها ودروسها الرابطة . أما ما جاوز ذلك من مشاكل الحياة فهو من اختصاص الدولة دون منازع أو شريك . واذا كان الفصل بين الدين والدولة في المجتمع الغربي راجعا الى عوامل تاريخية تشكلها بمساوىء الكنيسة في عصور الانحطاط الاوروبي ، فان هذا الفصل في النظام الشيوعي قائم على أساس ايديولوجي يعتبر الدين أفيونا للشعوب لذا وجب رفضه من حيث المبدأ ، وإن تكرمت الدولة بمنح حرية الممارسة الدينية فان ذلك لا يتجاوز إقامة الشعائر ولا يشمل القيام بأي نشاط لنشر الدين أو الدعوة اليه أو إقحامه في الحياة العامة . ولا يفوتنا أن البلدان الشيوعية تحجر رسميا كل ممارسة دينية فوق ترابها .

وبديهي أن الدعوة الى الفصل بين الدين والدنيا معنى بالنسبة الى الاسلام تقسيمه الى جزئين : الايمان بالعقيدة دون ما جاء به من مبادىء المعاملات وقواعد تنظيم الحياة في الاسرة والمجتمع . ومثل هذه الدعوة تنطوي على جهل أو تجاهل لطبيعة الاسلام الذي هو نظام متكامل

شامل للعبادات والمعاملات.

بيد ان الارتباط العضوي بين الدين والحياة لا يعني قيام السلطة الدينية وممارسة الحكم من طرف علماء الدين، وانما يعني ضرورة الاحتكام الى الشريعة في تنظيم الحياة الفردية والعامة. فدور علماء الدين هو دور المرشد والرقيب الذي يعرف بالأصول الشرعية ويدل العامة والخاصة الى ما يتفق مع دين الله وينبه الى ما يخالف هذه الشريعة نصا أو روحا. وليس هناك ما يستثني السلطة السياسية من هذا التوجيه اذا سلمنا بأن القرآن هو الدستور الحقيقي للدولة وانه بالتالي المرجع المرشد والضابط لسلوك الحاكم والمحكوم.

المحتوى التشريعي

هنا نأتي الى قضية المحتوى التشريعي للاسلام. ونشير الى بعض التساؤلات [illegible] ومنها ما جاء على لسان المفكر الفرنسي مكسيم رودنسن في حديثه الصحفي لجريدة النهار العربي والدولي بتاريخ ١٩ ابريل ١٩٧٩ حيث جاءت تصريحاته الغريبة لتفرغ الاسلام من محتواه الايديولوجي والتشريعي حين يقول: «بدا دائما انه من ضمن رسالة الاسلام حل المشكلات الاجتماعية والخلافات بين الناس. وقد لازمت هذه الفكرة مخيلة الانسان المسلم وعمم رجال الدين هذه الفكرة القائلة بأن للاسلام نظرية ايديولوجية سياسية واجتماعية. والحقيقة هذا ليس صحيحا فليس هناك أي تحديد واضح حول القضايا السياسية والاجتماعية سواء في القرآن أو في الحديث. بالطبع تحتوي هذه الكتب على تشاريع اخلاقية (!) مثل الزكاة وتحريم الخمر الخ.. ولا نستطيع أن نعتبر هذه الشريعة كنظام ايديولوجي».

وما من شك أن مثل هذه النظرة المدسية تنطوي على موقف مكابر، اذ كيف ينكر ذو العقل ما في الاسلام من نظام متكامل شامل لمبادىء السلوك والمعاملات الفردية والجماعية فضلا عن علاقة الانسان بخالقه؟ اما عن عمومية بعض المبادىء والاحكام الشرعية فذلك لا ينتقص من قيمة المحتوى الايديولوجي والتشريعي للاسلام، لأن التفصيل والتأويل موكولان الى الاجتهاد وفقا لتطور أحوال البشر. ولو جاء القرآن بكافة التفاصيل حول تنظيم المجتمع وضبط العلاقات السياسية والاجتماعية والاقتصادية لكان ذلك صالحا لزمان دون غيره ولوَجد في ذلك أعداء الاسلام حجة على جموده وعدم أهليته لكل زمان ومكان.

ونشير الآن الى نقطة اخرى كثيرا ما ترد في كتابات [illegible] الاجنبية لا سيما في [illegible] والصحافية الموجهة ضد الاسلام [illegible] بالرجعية في المجتمعات الاسلامية [illegible] الحركات الاسلامية [illegible] رجال الدين المتصوف اليهم بصورة شبه جماعية التحجر والتعصب والميل الى تطبيق الاحكام الشرعية على نحو رجعي. واستنادا الى أي مرجع صحيح تحدد المقاييس المعتمدة لتوزيع شهادات الرجعية واحتكار أوسمة التقدمية؟ علما بان الترمت أو التفتح ليسا وقفا على دين معين أو فئة أو حركة دون أخرى وانما نجد في كل زمان ومكان رجالا متزمتين وآخرين غير متزمتين تبعا للمزاج ونوع التكوين الفكري والظروف.

كيف ينكر ذو العقل ما في الإسلام من نظام متكامل لمبادئ السلوك والمعاملات؟

ونستفاد من إحدى تصريحات مكسيم رودنسن مثلا أن مهاجمة الاسلام في ذاته خطأ لا ينبغي الوقوع فيه لما يتمتع به هذا الدين من مكانة في قلوب الجماهير الفقيرة من المؤمنين، وهو يرى إثر وجوب التفريق بين الاسلام وما يسمى برجال الدين المتهمين بالرجعية الى حد يكون معه من الأسهل استعمال الدين رجعيا. كما يصرح بأنه: عندما تتشبث فكرة الدين كخلاص تتجه الجماهير نحو رجل الدين الاكثر قدسية وهو غالبا الاكثر رجعية. ومن المفارقات العجيبة أن هذا المفكر الفرنسي عرف القديس بأنه: الانسان الذي يمضي حياته في خدمة الفقراء والذي يداوم على الصلاة. فاذا كان هذا هو معيار الرجعية فاهلا بهذا النعت ومزيدا من الرجعية يا مؤمنين!

المرأة .. والعقوبات

ولو اردنا معرفة انواع القضايا الاجتماعية التي تركز عليها حملات التنديد بالاسلام لوقفنا عند مسالتين بارزتين هما مكانة المرأة في الاسلام ونظام العقوبات البدنية فيه.

اما عن المرأة فهي النقطة الاكثر حساسية والتي يحلو لبعض القوم معاودة إثارتها بأسلوب يعتمد في التشويق والتهويل، دون تكلف عناء التمييز بين ما تحظى به المرأة في جوهر الاسلام من مكانة خاصة تجعله حريصا على حفظ كرامتها وبين ما يحتسب على الاسلام من ممارسات وتجاوزات بشرية خاطئة كحرمان الفتاة من حقها في التعليم والعمل وكالتعسف احيانا في استعمال حق الزواج والطلاق وفقا للنزوات والامكانيات، في حين أن القرآن صريح في التحريض على العلم دون فرق بين ذكر وانثى وفي الامر بحسن معاملة المرأة وفي وجوب العدل بين النساء إن صادف وتزوج الرجل بأكثر من امرأة واحدة في ظروف يومنا هذا.

جوهر الاسلام لا يعتني بالشكل الخارجي كغاية في ذاتها وانما بمضمون السلوك. فهو حريص في المقام الاول على أن تصون المرأة نفسها وان تتفادى البروز في المجتمع على نحو ينال من الاخلاق العامة ويجعلها شبه سلعة تعرض في سوق المتعة والاغراء. وشاءت الصدف أن اطالع اخيرا في احدى الصحف خبرا مصورا حول إمرأة شبه عارية كلفوها بالتجول في إحدى شوارع عاصمة اوروبية تحت المطر المتهاطل من اجل عملية اشهارية الفائدة جذاء ترتديه : فما هو الافضل للمرأة والأسرة والمجتمع بين أن تتحلى الانثى بثوب العفة سواء كان حجابا او غير حجاب، وبين أن تتحول الى بضاعة تجارية لا قيمة لها الا بمدى ما يناله المتاجرون بها ؟

وقد قرأت أيضا مقالا في احدى المجلات الفرنسية تتعجب فيه كاتبته من مكانة المرأة في الاسلام، ومن أمثلة ذلك قسوة العقاب المسلط على الزانية، في حين أن مثل العقاب لو ثبتت جريمته بالشروط الشرعية وتحقق تطبيقه إنما يستهدف المرأة والرجل على السواء. والأجدى من مثل هذا التذمر المتعلل بالحرية الانحلالية أن يعتبروا بما في الاسلام من سعي الى صيانة المرأة عن كل انحراف أو تحريف ضمانا لسلامة الاسرة والمجتمع

اما عن مسألة العقوبات البدنية المشار اليها في القرآن وكتب الفقه التي امثلتها الرجم والجلد وقطع يد السارق. وفي هذه النقطة بالذات اكتفي بالتعبير عن اعتقادي بأن الاسلام ليس من غايته التنكيل بالبشر وانما إرشادهم الى سوي السبيل وتربيتهم على السنن تجنبهم الوقوع في المحظور واستحقاق إقامة الحد عليهم. فرعاية المجتمع مثلا وانتشاله من الخصاصة يعتبر واجبا دينيا كي لا يضطر الى السرقة والانحراف.

بيد أن هذا السعي التربوي يعسر عليه القضاء تماما في النفوس من ميل فطري الى الزيغ لأن الانسان ليس ملاكا. لذا امرنا القرآن بالتستر عند اقترافنا لمعصية من المعاصي حتى لا يشيع الخطأ فيصير بحكم

القرآن صريح في التحريض على العلم، لا يفرق بين ذكر وأنثى

العلنية والتكرار والتقليد ظاهرة اجتماعية شبه جائزة. وما صرامة بعض العقوبات في الاسلام إن بقيت سارية التنفيذ إلا تعبير عن ضرورة ارتكاب العلني في حدود ضيقة لا تنال كثيرا من سلامة المجموعة

... والاخوة العالمي [illegible]

ومن بين القضايا الهامة التي تثيرها الصحوة الاسلامية بعض وسائل الإعلام [illegible] والتهديدات [illegible] ويركز بعض الاقلام الاجنبية على ما لدى العالم الاسلامي من طاقات بشرية ومادية توجهه لو اكتملت هذه الصحوة ليصبح قوة عظمى قادرة على تغيير الكثير من التوازنات والموازين بل ويعض الخرائط ايضا خاصة في المناطق الاسيوية المأهولة بشعوب اسلامية خاضعة لدول غير اسلامية

ومهما يكن نصيب هذه الاحتمالات من الصحة في المستقبل القريب او البعيد، فان التحليلات التي تعرضها الاقلام الاجنبية حول هذا الموضوع تتسم احيانا بمنطق الصراع بين الحضارات والأمم، وهو ما من شأنه ان يغذي الروح الصليبية التي لم تضمحل تماما في الشعور او اللا شعور. ويهمنا نحن معشر المسلمين، لا سيما وأننا ضعفاء رغم طاقاتنا مشتتين رغم العقيدة الموحدة، ان تبنى صحوتنا على أساس سليم بعيدا عن منطق الصراع وان نفهم من يريد ان يفهم من العالم ان حركتنا تريد اساسا انتشال امتنا مما هي فيه من هوان وتخلف حتى تسهم إسهام الند الند الاصيل في تقدم الحضارة الانسانية

ولا نفسى ابدا أن مشاعر الريبة والتخوف من الصحوة الاسلامية لا نصادفها فقط لدى الأمم المغايرة لنا وانما نجدها ايضا في داخل العديد من اقطارنا وخاصة في بعض الشرائح الاجتماعية التي ابتعدت قليلا او كثيرا في نمط حياتها عن المبادئ الاسلامية او التي تغذت في تكوينها الفكري ببعض التيارات الخارجية سواء كانت غربية أو شرقية. وحتى لا تصطدم الصحوة بعقبات داخلية كأداء لا يتسنى التغلب عليها الا بعملية فتح داخلي جديد غير مأمون الوسائل والنتائج، يتعين على المؤمنين الصادقين أن يقوموا بحركة عميقة غايتها تجديد الوعي الديني في غير تعصب وتنقيته من شوائب التخلف وتطوير الحوار العلني في الداخل والخارج وفتح باب الاجتهاد على الأكثر من مصراعيه من أجل التيسير وصياغة الحلول المناسبة لكل المسائل المطروحة في حياتنا العملية المعاصرة.

وكلما تقدمنا في هذا المسعى زاد إشعاع الاسلام في نفوس ابنائنا وأبناء غير امتنا، وساعدنا التائهين على الاهتداء الى نور اليقين. لأن طريق الهداية ليست مسدودة بفضل الله، فكم من تائه تشرد فكره وتقلب في البحث والتمحيص ثم انتهى به المشوار الى الايمان بالله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم. ولنا من بين مئات الامثلة مثال المفكر الفرنسي فنسان مونتاي الذي اعتنق الاسلام في خريف العمر عام ١٣٩٧هـ ـ ١٩٧٧م وصار اسمه المنصور بالله الشافعي وقد نشرت له مجلة « فرنسا والبلدان العربية » بعددها الصادر في أبريل ١٩٧٨ مقالا يشرح فيه أسباب اعتناقه للاسلام

فلتكن اذن صحوة اسلامية واعية تخاطب العصر بما يقنع العقل وتنفض غبار الشبهات والتخلف وتلغي الممارسات المحسوبة على الاسلام وتبني انسانا جديدا يتخذ من الايمان بالله منطلقا لحب الخير للبشرية في غير ضعف أو رياء وتهيء لمجتمع سليم الاركان له من الصحة والمناعة ما يؤهله للبقاء والارتقاء رغم أنف الاعداء.

محمد المنصف القصيبي

أحمد بهجت

موقف الإسلام من قضايا العصر

يعتقد الدكتور حسن صعب أن تحديات الحياة العصرية للاسلام متعددة الجوانب متنوعة الوجوه

فهي تحديات تاريخية .. وعقلانية .. وفلسفية .. وعلمية .. وجمالية .. وخلقية .. ويرى أن مأساة الحياة الاسلامية اليوم هي مأساة الردود الاسلامية على هذه التحديات

وهو يعتقد أن الحياة العصرية التي انطلقت من أوربا الغربية في القرن الخامس عشر وسرت منها إلى جميع انحاء العالم لها ظواهر مختلفة ولكن لها روحا واحدة هي روح التحدي لكل ما هو قديم

وللاسلام ظواهر مختلفة ، ولكن له روحا واحدة هي روح الاستغراب تجاه الجديد

ومعضلة الاسلام العصرية الأولى هي معضلة الثقة فيما هو جديد ، واستساغته ، والتكون بمثوله تكونا جديدا .. فاذا أظهر الاسلام هذه الطاقة التجديدية .. بقي وظل له دوره الخلاق تجاه الحياة الانسانية وتقدم الفكر الانساني

وان لم يظهرها تجاوزته الحياة وأصبح تراثا من تراثات الأمس ..

الاسلام جوهر مستقل

عرضت هذا الرأي لأنه يمثل رأي الانتلجنسيا العربية .. وهو رأي لا أعتقد في صحته .. وهو رغم حسن نواياه يضع العربة أمام الحصان

صحيح أن الاسلام يتعرض لتحديات عصرية متعددة

وصحيح أن الحياة العصرية تنطوي على روح التحدي لكل ما هو قديم ولكن ليس صحيحا أن روح الاسلام الآن هي روح الاستغراب تجاه الجديد

ليس هذا صحيحا

قد يكون صحيحا بالنسبة للمسلمين ..

ولكنه ليس صحيحا بالنسبة للاسلام ..

إن روح الاسلام لا تكون أبدا هي روح الدهشة أمام الجديد .. لأن جوهر الاسلام الصحيح هو اكتشاف الجديد لا الوقوف أمامه بفم مفتوح من الدهشة

ربما يعيش المسلمون في غيبة عن روح الاسلام .. ولكن هذا لا يعني أن الاسلام ذاته قد فقد روحه

[illegible]

والاسلام جوهر مستقل كامل .. جوهره الأساسي القائم من القرآن الحكيم والسنة الصحيحة المتفقة معه

وهذا الجوهر اذا حمله الانسان أضاءت الحياة بالعدل والرحمة وشاع فيها الحنان فاذا اهدره الانسان صارت الحياة الى ما هي عليه الآن .

ليس من الأمانة اذن أن نتهم الاسلام .. لنتهم انفسنا .. هذا أقرب إلى العدل .

شهادة بالحياة

وأصدق من نظرة الدكتور حسن صعب في التحديات التي تواجه الاسلام نظرة الفكر الاسلامي الراحل مالك بن نبي

يرى مالك بن نبي أن غياب الروح الاسلامي أو التوحيد عن حياة المسلمين هو السر في وقوع المسلمين تحت سيطرة الروح الغربي أو الشرقي .. وقد عرضت على المسلمين في مجال السياسة والاقتصاد والآداب والفنون حلول أبسط ما يقال فيها انها تشتت انتباه المسلمين عن مشكلتهم الأم - وهي مشكلة حضارتهم - حتى يربطوا اهتمامهم بمشكلات وهمية .. ويتم إلهاؤهم بحلول وهمية ومن هنا وضع إمام المسلمين السؤال المطروح على عقل المثقفين في العالم الاسلامي

هل يستطيع الاسلام استساغة الجديد والتكون في ضوئه واظهار طاقته التجديدية ؟

هل يستطيع الاسلام أن يستبدل بعقله وروحه عقلا جديدا وروحا جديدا حتى يرضى عنه الغرب والشرق ويمنحانه شهادة بجدارته وقدرته على الحياة .

إذا استطاع الاسلام أن يفعل ذلك فهو من الناجين ..

وإذا لم يستطع أن يفعل ذلك هلك وأصبح تراثا قديما .

وهذا الكمين المنصوب للاسلام أو بمعنى أدق .. هذا الكمين المنصوب للمسلمين ليس سوى مؤامرة هدفها هزيمة الاسلام من الداخل .. وتقليم أظافره وتطويعه بحيث يصير تراثا متحفيا يمنحه الغرب والشرق شهادة بالحياة

المراحل الثلاثة

- حقيقة الاسلام تختلف عن هذا كله

والاسلام لن يرضى أبدا أن يتخلى عن فكره وروحه ، سيفقد ذاته ويضيع أصحابه أكثر وأكثر .

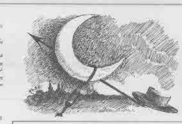
ما هو الحل اذن ..

لننظر في تاريخ المجتمع الاسلامي .. سنرى أنه مر بثلاث مراحل :

المرحلة الأولى : مرحلة التوحيد الأولى في حيويتها وقوتها الدافعة وبقائها المؤثر .. وهي مرحلة يعتقد مالك بن نبي أنها انتهت في معركة صفين .

المرحلة الثانية : مرحلة المدنية الاسلامية .. وهي مرحلة التفكير والازدهار الحضاري .. وتنتهي بسقوط دولة الموحدين

المرحلة الثالثة : مرحلة ما بعد



الموحدين .. وهي المرحلة التي بدأت من قفل باب الاجتهاد ووضع الأسوار على العقل .. وقد أدت هذه المرحلة إلى النهاية التي نأكل من ثمارها ونعيش في رواسبها

بداية اليقظة

هذا تقسيم مالك بن نبي للمراحل الثلاثة .. وقد مات المفكر الاسلامي منذ سنوات .. ولو أنه عاش لأضاف مرحلة رابعة هي بداية اليقظة الإسلامية ..

ونحن نعتقد أن هذه المرحلة تبدأ بثورة إيران الاسلامية

ولقد أوضحت الثورة الإيرانية حقيقة بالغة الغرابة في حياة المسلمين وقوة الاسلام ..

كان شاه إيران ديكتاتورا وعميلا لأمريكا وكان جيشه هو الجيش الثالث في العالم بعد جيش الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي وكانت مخابراته من أخطر المخابرات في العالم .. وكان السافاك أو البوليس السري التابع لنظامه عنيفا وصلبا وقاهرا ..

ورغم هذا كله ..

نجح أحد رجال الدين المنفيين خارج إيران منذ ١٢ سنة .. نجح هذا الرجل أن يطيح بحكم الشاه .. ونجح الشعب الايراني الأعزل في مقاومة الجيش والبوليس وكل أدوات القهر ..

وعاد الإمام آية الله روح الله الخوميني إلى إيران ..

واستفتي الشعب على الجمهورية الاسلامية فأفتى بالإجماع عليها ..

وبدأت الجمهورية الاسلامية في إيران

كان عدد شهداء الثورة الذين قدمتهم مدينة واحدة في ايران هي طهران يتراوح بين ٦٠ ألف شهيد و ٨٠ ألف شهيد ..

ولقد كان أول عمل قامت به الجمهورية الاسلامية هو قطع البترول عن جنوب أفريقيا وإسرائيل باعتبارهما دولتين عنصريتين ..

ثم وقفت ثورة إيران موقفا معاديا من الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي .. أي أن الثورة أرادت [illegible] من إلحاق الاسلام [illegible] أو [illegible] أو [illegible]

كمائن وليست أسئلة

ليس السؤال المطروح على الاسلام أن يضع على رأسه قبعة الغرب أو قلنسوة الشرق حتى يرضى عنه الغرب والشرق ..

ليس السؤال المطروح على المسلمين أن يهدروا ما بأيديهم من الحق ويفكرون كأهل الغرب أو أهل الشرق ..

ليست هذه أسئلة ولكنها كمائن !!

والعقل الاسلامي مدعو إلى الدخول في هذه المصيدة .. مع يقين بأنه لن يخرج منها كما دخل ..

السؤال الحقيقي المطروح على الاسلام والمسلمين اليوم هو نفسه السؤال الذي طرحته ثورة إيران ..

من هو المسلم ؟

كيف يفكر ؟ ما هو موقفه إزاء تحديات الحياة ؟

كيف يحافظ على روحه وكيانه الخاص ، بغير أن يذوب في روح الغرب أو كيان آخر .. في نفس الوقت .. كيف ينبغي عليه أن يتعامل مع قضايا العصر التي يطرحها تجدد الحياة اليومية ..

لست متشائما ..

كنت أميل إلى الانتظار قبل نشوء الثورة الإيرانية ..

أعرف أن في الاسلام جوهرا داخليا يكفي إزالة التراب عنه حتى يضيء ويلمع ..

ولربما يظن كثير من الناس أن الاسلام قد صار أثرا متحفيا ، أو أن المسلمين يرضون الضعف ويتقبلون الهوان وقد استسلموا لعزلتهم سواء كان هؤلاء القراء يحملون كتابا أو سيفا أو لوحة زيتية أو آلة أو مصنفا ..

وهذا كله خطأ بالغ ..

الضوء ساعة الخطر

إن من المسلمين شيئا ما داخل أرواحهم

وهذا الشيء يضيء ساعة الخطر ، ويوقظ ساعة الغزو .. ولا يموت هذا الشيء سهما بدا على المسلمين الموات ..

أثبتت ثورة إيران هذا كله .. وأيا كان ما يبديه أو لدى المفكرين من تحفظات على ثورة إيران .. فإن أحدا لا يستطيع أن ينكر أن هذه الثورة أوضحت حقيقة الحياة الداخلية للاسلام .. وأوضحت أن الاسلام حي ما دام القرآن باقيا

......

هل معنى هذا أن مشاكل المسلمين قد حلت بهذه الثورة الايرانية ؟

ربما كان الجواب عكسيا ..

لقد بدأت مشاكل المسلمين بهذه الثورة ، يتربص القوى المعادية للاسلام سواء كانت غربية أو شرقية بهذه الثورة .. والأمل الوحيد عندهم هو التهامها أو قتلها أو تصفيتها أو استيعابها إن أمكن ..

وسوف يحدث ما قدره الله تعالى في علمه القديم الأزلي .

ولكن الدرس الذي استفدناه نحن المسلمين من هذه الثورة هو بطلان الدعاوى التي تقول إن الاسلام قد ذهب أو دخل رحاب التاريخ أو صار أثرا متحفيا .

إن الاسلام حي لم يزل .. وحياته تزيد كل يوم .. والتحديات تفرض عليه أن ينهض ليلعب دوره التاريخي ويقود البشرية بضمير يتصل بخالق الضمير .

هذه حقيقة ..

وهي حقيقة لا بد أن تقود الى سؤال ..

ما هو موقف الاسلام اليوم من قضايا العصر ؟

هذا هو السؤال الذي نجيب عليه إن شاء الله

أحمد بهجت

صلاح عبد الصبور

كتابة على وجه الريح

عشت ثلاثين شهرا في الهند، وما بطل عجبي!

لم يكن عجبي لسحر السحرة أو شعوذة المشعوذين، وما كان لنا نرى من غريب العبادات حيث تقدم القرابين للثعابين والخنافس أو لسورها، وحيث تخطر الابقار في عرض الطريق وادعة لا ينفرها بوق صارخ أو ترتيب حنون، كأنها قد استوثقت من حقها في امتلاك الأرض.

ولم يكن عجبي لغضب الطبيعة وسورانها ما رأيت منها، وما طالعت خبره في الصحف، فالسماء تصب سيول القيظ أو سيول المطر، والأعاصير الدوارة تقتلع البيوت والشجر، والبحر يغضب على شاطئه فيذيقه أليم العذاب.

لم يكن عجبي لذلك كله، ولكنه كان لأني رأيت الهند رأي العين، وقد مضت الى اكتساب منجزات العصر الحديث ومعجزاته، تلك التي انتجها العلم ووليدته الآلة، حتى أصبحت في هذا المجال ثقف وسطا بيننا - نحن الذين لم نبدأ من هذا كله شيئا - وبين أوروبا فوق المصنعة، التي تجاوزت مرحلة التصنيع إلى ما بعدها من أوتوماتية متحكم الى.

لقد أوقفت الهند الاستيراد من زمن طويل، وهي تنتج كل ما تحتاجه بحق، من الآلات الميكانيكية الصغيرة إلى الالكترونيات.

والهند - بالمناسبة - قد نالت استقلالها في نفس الأونة التي كانت معظم بلادنا العربية فيها تحوز استقلالها أو تسعى اليه سعيها الناجح.

من الذي جعل منهم مجتمعا منتجا، ومنا أكبر مجتمع مستهلك عرفه التاريخ

واعجب السؤال مثلي!

ويزداد عجبك لو قارنت بين وضعنا الاجتماعي ووضع الهند، واحدى ملامح هذا الوضع بالمنظر هو التراث الثقافي

وأعني بالثقافة هنا معناها الأشمل، مجموعة القيم والعادات العقلية التي تتبناها الجماعة.

لقد ورث العرب ثقافة الأديان السماوية، وكانت هذه الثقافة هي السائدة حتى زاحمتها ثقافة الغرب المتحضر، والمؤثر.

وكانت واسطة عقد هذه الثقافة هي الثقافة الإسلامية التي تقيم في جوهرها على المساواة بين البشر، وتعلي استخلاف الله للانسان في الأرض كي يسعى في مناكبها، ويأتمر بأمره، ويستمتع لبشارته.

ولكل إنسان أن يسعى، ولكل إنسان فرصة متكافئة، فالحرية فيها نقلب فرص في كل أحد، ولذلك فان لكل أحد مراعاة مستقل متكافئ مع المجموع.

وورث الهنود ثقافة الهندوكية، وهي ديانة متعددة الآلهة، واسعة المذاهب، ولكن كل آلهتها ومذاهبها تقر بأمرين



أولهما: النظام الطبقي، وقد تحدث عنه البيروني في قديم الزمان في كتابه (تحقيق ما للهند من مقولة)، ورغم مضي القرون فما زال هذا النظام الجائر راسخا مستقرا في الهند، ورغم من القوانين التي تحظره، فإن وجدان الجماعة أشد أثرا في تصرفاتها من مجلدات شرائعها وقوانينها.

والطبقات الكبرى عند الهندوكي أربع، تبدأ بالبراهمة وتنتهي بالمنبوذين، وبين ثناياها الطبقات الكبرى عشرات من المراتب والتفريعات، ومن الحق أن الطبقية أمر شائع في كل مجتمع، ولكنها ليست من هذا النوع الفريد، فالطبقة كما تعرفها المجتمعات الأخرى هي طبقة الثروة، أو طبقة التعصب النابع من الثروة، ثم المستقل بذاته، وتلك بطبيعتها مرنة في تركيبها، يصعد إليها من يصعد من الأثرياء جيلا بعد جيل، ثم يهبط عنها من يهبط إذا فقد ماله ومن ثم سلطانه ودلالة نسبه، فهي إذن طبقية مفتوحة الأبواب للداخل والخارج.

أما الطبقية الهندية فهي ميراث لا يزول أحيانا أو وصمة لا تندفع أحيانا أخرى، وهي تفرض عليك أن تعيش داخل طبقتك منابذا الطبقات الأخرى أو مزريا عليها - هذا إذا كنت طيب النفس، كافيا خيرك عن الناس شرك، أما إذا كنت متعصبا يخرج بك تعصبك من الاعتقاد إلى السلك والفعل، فلن يلقى المنبوذون ومن إليهم منك إلا أبلغ الشر والسوء.

أما الأمر الثاني المتكرر في الهندوكية بشتى تفريعاتها، فهو الإيمان بالتناسخ، فقد استبدلت الهندوكية بالعدالة الأخروية المتمثلة في العقاب والثواب عدالة أخرى، تعاليمها الروح حين ترقى من جسم إلى جسم أعلى منه مكانة، أو تهبط من جسم الى جسم أدنى، ويتمثل في هبوطها بشر تسكن هوام الأرض وحشائشها.

ولا شأن لنا بالحديث عن دين بعينه

● الثقافة هي مجموعة القيم والعادات العقلية التي تتبناها الجماعة
● لكل إنسان قدره ومصيره .. وكل إنسان يحوز شعرة شخصية
● لن يحس الإنسان بقيمة الحياة الدنيا إلا إذا أحس بحريته في صنع حياته

كمعتقد صحيح او باطل، فاهل كل يقين قانعون به - كما قال أبو العلاء - ولكننا نقصد إلى ما يخلقه هذا الدين في أهله من إحساس بقيمة الحياة الدنيا وجدواها، ولن يحس الانسان بقيمة الحياة الدنيا إلا إذا أحس بحريته في صنع حياته ومسئوليته عنها. وإذا كانت الطبقية تنفي الحرية، فإن الايمان بانتقال الروح ينفي المسئولية.

ومع ذلك فقد صنع الهنود بحياتهم شيئا ملموسا في الثلاثين عاما من الاستقلال. وأما نحن فلم نكد ..... ويكفي.

ويزداد وجيعنا لو قارنّا بين البنية (الانثولوجية) للمجتمع الهندي وبيننا.

يقول المؤرخون إن الهند منذ ثلاث الآف سنة كان يسكنها الفيديون أو (الدرافيديون)، وهم قوم سود البشرة قصار القامة حتى غزاها الآريون، وطردوا الفيديين إلى الجنوب. ولعلك حين تشاهد الملامح الهندية من سفوح الهملايا وكشمير في الشمال حتى أرض التاميل في الجنوب ترى أكبر تنويعة بشرية من السحن والملامح، ملامح مغولية، وملامح تركية، وملامح فارسية، وملامح وسط أسيوية وافريقية .. تنويعة لا تنتهي. فكأن هجرة الآريين هذه لا تمثل إلا الهجرة الكبرى التي تلتها هجرات وهجرات.

وانظر أيضا في البنية اللغوية، ولتفتح أمامك ورقة العملة الهندية (الروبية) وستجد أن قيمتها مكتوبة عليها بأربع عشرة لغة، هي اللغات الكبرى في الهند، واذكر منها الآن: الهندية والأوردية والبنجابية والبنغالية والتاميلية ... والماراتية والكوجراتية، والانجليزية بالطبع، وهذه هي اللغات الكبرى فضلا عن عشرات اللغات الأخرى.

ومن الشائع جدا أن يلتقي هنديان أحدهما من ولاية والآخر من ولاية أخرى فلا يجدان بينهما التفاهم إلا الانجليزية اذا كانا يعرفانها. اما اذا كانا لا يعرفان الانجليزية فاهتهما سيكتفيان بالهمهمة.

واشد من هذا الاختلاف اختلاف الأديان، فكل أديان العالم بمذاهبها وطرقتها موجودة في الهند. ولعل الهند قد انفردت أيضا بجملة أديان منها ديانة السيخ، وديانة البارسيين التي هاجرت من جنوب ايران منذ قديم [illegible] وديانة [illegible] التي [illegible] [illegible] الميتروبك [illegible] كوينهم التكوينات.

[illegible] هذا المجتمع الهندي [illegible] وكيف [illegible] مختلفات الأديان [illegible] بالضرورة مجتمعات مختلفة؟

هذا هو السؤال الذي جهدت ثلاثين شهرا في الاجابة عنه، فنحن - وهذا قدرنا - نمشي في مناكب الأرض، ووطننا كالسكين بين جنوبنا.

وقد كنت احمل السؤال وأمشي به الى صحابي من الجالية العربية بنيودلهي - اعضاء السفارات العربية الخمسة عشر هناك، وكانت الاجابات تتباين، فاذا نسيتها تناقش واحدة منها بدت ناقصة باهضة على قدم واحدة.

قال احدهم: انه التخطيط، فان نهرو هو أول من قدم مقولة (التخطيط) الى بلاد العالم الثالث.

وقال آخر: إنه حرية رأس المال الكبير في العمل.

ويبادر زميل مثبتا أن رأس المال الكبير ليس حرا تلك الحرية المطلقة، بل هو يخضع لخطة تنمية شاملة.

وقال ثالث: إنه سيطرة من يعرفون على ما يعرفون.

وقال رابع ... وخامس .... وسادس ...

والباب مفتوح لك - أيها القارئ - لتقول رأيك.

● الحبال الاغريقية

حين قالت لي إن إسمها (فيناريتي) وأنها من أثينا سألتها:

- هل تعرفين سقراط؟

وأجابت قائلة:

- سقراط .. من ؟!

وقلت:

- لقد كان اسم أمه فيناريتي، وهو من شقق.

وقالت، بلهجة حازمة:

- لا علم لي بسقراط هذا ... إن ابني اسمه سقراط، وهو يعيش الآن في استراليا.

وهكذا أدركت أن الشهرة نسبية، وأن من نحن بهم من الفلاسفة والحكماء جنونا قد لا يعنون عند من هم أقرب اليهم منا إلا الاسم الذي خلا من مسماه.

ولعلي كنت أريد عندئذ أن أمزج مزاح مثقفين، ولكن السيدة الأثينية جعلتني أبدو سخيفا، أو لعلي كنت أريد أن استعرض أمامها معلوماتي .. ففوتت علي الفرصة.

كان ذلك منذ حوالي ربع قرن، وكنت عندئذ خريجا جديدا، أعيش حياة البدو في المدينة الكبيرة، فانتقل من غرفة مفروشة إلى غرفة مفروشة في ساعة واحدة من ساعات النهار، حاملا حقيبتي وكتبي وملابسي ... وهي كل ما أملك.

وكنت أسكن في غرفة في أطراف المدينة، والتقيت ذات مساء بصديقي عبد الغفار مكاوي الذي لم يكن قد تدكتر (أصبح دكتورا في الفلسفة) بعد، وقال لي إنه سيترك غرفته المفروشة عند سيدة يونانية عجوز في شارع متفرع من ميدان العتبة الخضراء، وسينتقل للسكن عند أخيه.

واتفقنا أن أحل محله.

ورتبت الأمور، وأخذت متاعي، وذهبت

حكايات علي وعبد الرحيم

● كان صعلوكاً لا تدري أنه كان شاعراً!!
● أيها المشهورون لا تمشوا في الأرض مرحاً

إلى البيت . واستقبلتني السيدة بالباب لنا حين رأيتها

ـ هذه سيكلوبة (مؤنث سيكلوب) بنت بوزيدون إله البحر ... كانت طويلة طولا فارعا ، وعريضة عرضا يثير العجب . أما يدها حين تمدها للتحية فقد كانت في اتساع الرغيف البلدي وفي صلابة الكلابات

وكانت في الستين من عمرها . وكان القانون الأول كما قلت لك من قبل قائراً مشوبا بسوء التفاهم . وغادرت البيت بعد أن وضعت حاجياتي بصندوق النفس . وحين التقيت عبد الغفار في المساء سألني عن رأيي وقلت له مازحا

ـ كانت أظنها إحدى السيرينات اللاتي أغوين أوليس بالغناء ، فأمر بحارته بربطه بالحبال في صواري المركب . ولكني وجدتها تخلع إلى من بروجها برجل المائدة ... حتى لا تخيفني كلما رأيتها

فابتسم ، وقال :

ـ ولكنها طيبة جداً . هي أم أو أشد عطفاً من الأم ...

وإني لأشهد بعد كل هذه السنين أنها كانت كذلك . عشت عندها عاما وبعض عام . حتى كان يوم دخلت البيت ، فإذا هي واجمة . وسألتها عن سبب وجومها . فقالت لي إنها أصبحت ثرية .

ـ وهل الثراء يورث الوجوم ؟

ـ نعم . لأني مضطرة أن أطلب منك أن تبحث عن مكان آخر ، فلم أعد في حاجة إلى تأجير إحدى غرف البيت .. لقد مات أخي البقال الكبير ، وأنا أحد ورثته ، بل إني أولهم .. إذ إنه مات ولم يخلف زوجة ولا ولدا .

* * *

كان ذلك هو لقائي الأول بالأفارقة المتمصرين ، أما لقائي الثاني فقد كان عندما قرأت كتاب الناقد الإنجليزي المعروف موريس باورا وعنوانه (الخيال الخلاق)

كان يتحدث عن مجددي الخيال الشعري في العصر الحديث .. فصل عن ت.س. اليوت ، وفصل عن الشاعر الأسباني لوركا ، وفصول وفصول في آخرها فصل عن شاعر



كفافيس — فورستر — لوركا



يوناني مصري إسمه قسطنطين كفافيس ولد وعاش في الإسكندرية التي عشت فيها ... وعاش فيها ستين عاما ومات فيها في عام ١٩٣٣ .

وقمت بعد أن قرأت (باورا) عن شعر كفافيس مترجما إلى الانجليزية وسعيت حتى حصلت على ترجمة انجليزية كاملة لشعره . وكان رائدي في هذه المرة أيضا صديقي عبد الغفار مكاوي الذي كان يعمل عندئذ في دار الكتب القاهرية . والذي أمدني بهذه الترجمة

بالمغلة هذا الشاعر وإبداعه . لقد كانت الفتنة به تورق في نفسي شجرة ملتفة كلما مضيت في القراءة له .. هذا شعر لا تفسده الترجمة . لأن الإحساس فيه صلب كالبللور أو الماس ، وقد ترجمت مجموعة طيبة من شعره ونشرتها في إحدى المجلات الأدبية منذ زمن بعيد . فلا نقله إلى الانجليزية أنقص شيئاً منه ، ولا نقلي له من الانجليزية إلى العربية سلبه من جماله إلا البريق

ومضت سنوات . وقرأت رباعية الإسكندرية .. للروائي الانجليزي لورنس داريل ، ولعل أبدع ما في هذه الرواية هو الجو الشاعري الذي ترسمه . وهو يقطر هذا الجو تقطير العطر الثمين بأبيات من الشعر ينثرها هنا وهناك للشاعر الإسكندري العجوز الذي لا يذكر اسمه . ولكنها من شعر كفافيس .

وبعد سنوات قلائل كنت مرة في الإسكندرية في أوائل الستينات بعد ثلاثين عاما من موت الشاعر ، وسهرت ليلة مع شاعر سكندري عجوز ، وفاجأني بأنه كان يعرف كفافيس ، ويعرف بعض من عرفوه أكثر منه .. كانوا شبابا وكان شيخا ، وأصبحوا الآن شيوخا يقضون غروب شيخوختهم على أحد المقاهي القريبة

وقصدنا إلى ذلك المقهى ، وجلسنا بينهم حتى انفتح باب القول ومال إلى ذكر هذا الشيخ الشاعر الغريب المتفرد النفس ، فإذا بهم يقولون ..

ـ كان رجلا غريبا .. كان صعلوكا لا يؤبه له .. لا ندري أنه كان شاعرا .. ولكنه كان يجلس في هذا المقهى كل مساء .. يشترى أوراق اليانصيب ، ويداعب بائعها .. النهاية لم يكن رجلا محترما ..

وسألني أحدهم ، وقد اكتنفني بلهجة الجد الشديد .

ـ هل كان شاعرا .. حقا .. لا بد أنه كان شاعرا ما دمت تؤكد ذلك ..

ليتها الشهرة .. أيها البريق الزائل .. لقد أعطيت سقراط وكفافيس الكثير ، ولكن هذا الكثير كله لم يشفع لهما عند عمار مواطنيهما .

أيها المشهورون .. كفكفوا من غلوائكم ولا تمشوا في الأرض مرحا .

● فقرة من حديث قديم

اريد ان اورد هذه الفقرة ، وهي من كتاب كتبه مؤرخ اسمه جون لاموت ، ويضمها كتاب إسمه (دراسات إسلامية) ونقله الى العربية مجموعة من اساتذة التاريخ العرب باشراف الدكتور نقولا زيادة

وهي عن حقبة من حقب الحروب الصليبية . هي الحرب الصليبية الخامسة :

عندما وصل القسم الاكبر من جحافل الصليبيين توجهوا الى مصر . وكانت يومئذ تحت حكم الملك الكامل (ابن اخي صلاح الدين) . وكانت الخطة العسكرية التي اتبعتها الحملة الصليبية الخامسة صائبة . فقد رأى قادة الحملة ان الهجوم على مصر قد يضطر السلطان الى التنازل عن القدس ثمنا للسلام ، وبناء على هذه الخطة فقد وجه الصليبيون هجومهم على دمياط الواقعة قرب مصب نهر النيل . وسرعان ما توقف الصليبيون ، إذ قدم لهم الملك الكامل القدس مقابل دمياط ، على ان القاصد الرسولي بيلاجيوس لم يوافق على رغبة قادة الحملة في قبول هذه الشروط ، وطلب منهم ان يهزموا المصريين هزيمة ساحقة ، وذلك بالاستيلاء على القاهرة .

وسار جيش الصليبيين بقيادة بيلاجيوس داخل مصر حتى وصل إلى المنصورة ، على ان الصليبيين الذين فاجأهم فيضان النيل واصطدموا بمقاومة المصريين ، اضطروا الى التنازل عن كل ما استولوا عليه مقابل ان يسمح لهم السلطان بالعودة الى سورية .

وعندما كان الملك الكامل يقاوم الصليبيين اعانه اخوه الملك المعظم صاحب دمشق ، ولكن ما كاد الخطر يزول حتى اخذ الاخوان يتنازعان على القسم الامبراطوريه ، وحالف الملك المعظم اتراك خوارزم وطلب مساعدتهم ، اما الملك الكامل فقد التفت نحو الغرب وحالف فريدريك الثاني ملك صقلية ، كما حالف عاهل الامبراطورية الرومانية المقدسة ، وهو من الصليبيين المتحمسين ...... انتهى .

اما كيف انتهت فصول هذه الملحمة ، فلنرجع لمعرفته الى كتب التاريخ

مصطفى سليمان

حتى لاننسى التفكير

رزت صديقا يتابع دراسته العليا في الاداب فوجدت عنده مئات ـ ان لم اقل الاف ـ البطاقات التي يسجل عليها قراءاته . وشكا الي ذلك الصديق انه يشعر بتعطيل قدرته على التفكير الحر المستقل دون الاعتماد على تفكير البطاقات له . وقال انه يقرأ كثيرا لكنه لا يستطيع (مناقشة) الاخرين الذين يتحدثون معه او امامه بمواضيع من اختصاصه رغم انه يكون قد سجل عن تلك المواضيع مئات البطاقات . انه يشعر انه لابد له من حمل بطاقاته معه اينما ذهب ليستطيع بمساعدتها ان يناقش .

ذكرتني مأساة هذا الصديق الاكاديمي بالمثل القائل : ان العضو الذي يتعطل عن العمل يضمر ويضعف ... وللغة ... ويصبح عندئذ (زائدة دودية) .

والزائدة الدودية في جسم الانسان ... الزوائد اللغوية ... الكلاسيكية ... كثير من تلك الزوائد ... (... لها بطاقة ...) ... الزوائد الدودية ... الانسان ، ولا بد من استئصالها بعملية جراحية ، اما الزوائد اللغوية في القصيدة الكلاسيكية خاصة ، فهي ملتهبة دائما ولا يوجد جراح فني يستأصلها .

ان ملكة التفكير في العقل الانساني ترتكز الى وجود عضوي في المخ الذي يحتاج دائما الى ترويض وتنشيط مبدع باستخدام ملكة التفكير ، والا صدئت عقولنا ، وشاخ خيالنا

والخيال ليس (موهبة) بل (عادة) يكتسبها المرء بممارسة التفكير الخلاق ، والخيال هو عشبة الابداع الاولى ، وهو في الاطفال اغنى منه في الرجال ، لذلك يلجأ كثير من العلماء المتعاونين مع الشركات التي تنتج الادوات الاستهلاكية الى خيال الاطفال والتقاط ما يتخيلونه ويحلمون بتحقيقه من ادوات ضرورية لامهاتهم في اعمال البيت ويطور العلماء تلك الاخيلة ويحسدونها بمبتكرات تدر الملايين .

ونحن في الواقع لا نفكر بطاقتنا العقلية كلها ، يقول (وليام جيمس) صاحب الفلسفة الذرائعية الامريكية : (انما امكانات بقظى اذا قارنا بين ما نحن عليه ، وما يجب ان نكون عليه فنحن لا نشغل سوى جزء يسير من مواردنا العقلية)

وكان (جورج برنارد شو) يقول : (قلة اولئك الذين يفكرون مرة او مرتين او ثلاث مرات في السنة . وقد استطعت ان اكتسب شهرة عالمية لانني افكر مرة او اثنتين في الاسبوع)

فكم مرة نفكر نحن ؟ ان ازمة المفكر العربي . انه لا يفكر . فالباحثون ، والنقاد واساتذة الجامعات لا يفكرون بعقولهم بل ببطاقات البحوث ، المحشوة بالاقتباسات والمراجع والهوامش ...

ويقع طلابنا في الدراسات العليا ضحية التفكير بالبطاقات بدعوى العلمية والموضوعية فتتحول تلك البطاقات الى خلايا في دماغه المحشو بمعلومات مشردة ، تائهة . وبدلا من ان يشجع الدكتور المشرف طالب الدراسات العليا على الاستقلال الفكري في البحث والمحاكمة والاستقراء والاستنتاج ، دون حشد دماغه بآلاف البطاقات التي تفكر له . وعله نراه ينظر الى الطالب (المفكر) نظرة شك وحذر ، اذا لم يملأ نصف كل صفحة بالمراجع والمصادر والهوامش . وربما يتهمه بالسرقة او انه باحث غير علمي ! ..

نعم ، للبحث العلمي وسائله ومناهجه وادواته التي لا غنى عنها في ضبط وحفظ المعلومات ولكننا نملك ايضا وسيلة جبارة هي (العقل) الذي يجب ان نفكر به ، لا ان تفكر عنا بطاقات البحث العلمي . والا نسينا كيف يكون التفكير .

واسألوا التجار ، وموظفي الالات الحاسبة ، الذين تفكر لهم الاتهم ، هل يستطيعون اجراء ابسط العمليات الحسابية بعد ان نسوا جدول الضرب باسنادهم التفكير بواسطة الالات الحسابية ؟

انها ضريبة الحضارة ، والبحث العلمي ، يدفعها الانسان ، من خزينة عقله وحتى لا ننسى التفكير ، حبذا لو نفكر ـ مثل برناردشو ـ مرة او مرتين فقط في الاسبوع

مصطفى سليمان

فـوزي العنتيـل

قصص الشطار بين الفلكلور والأدب

● إنها حكايات بسيطة في بنائها تتألف من حادثة جزئية واحدة

● الطرائف الشعبية تحكى لكي يصدقها الناس على أنها حدثت بالفعل

نعني بقصص « الشطار » ذلك النوع من القصص الشعبي والأدبي الذي يدور حول اصطناع الحيلة والخداع ، وتلعب فيه المهارة دورا واضحا .

ويتمثل هذا النوع من القصص في جنس فائق من أجناس الحكايات الشعبية هو ما اصطلح على تسميته « بالطرائف » .

و « الطرائف Anecdotes » قصص تصويرية ــ بشكل عام ــ وهي أيضا تعطي الادب الشعبي التقليدي الذائع و « الطرائف » حكايات بسيطة في بنائها ، اذ انها تتألف من حادثة جزئية واحدة ، وتوجد منفصلة في حلقات ، وتوجد أحيانا كعناصر في مرويات أكثر طولا . وتعتبر في كل مكان ملائمة لظروف اجتماعية معينة تختلف عن الأحوال التي تتم المتعة فيها الحكاية المركبة الطويلة .

ولما كانت الطرائف مرويات بليغة لاذعة وقصيرة فانها تمثل مرحلة مبكرة في تطور الأدب الشعبي ، سواء أكان غرضها هو اشباع حب الناس للاشاعات والفضائح ، أو كانت تستخدم للتسلية أو للتهذيب .

والطرائف الشعبية تحكى في الغالب لكي يصدقها الناس ، أو كما لو كانت قد حدثت بالفعل . ولقد كان استبدال التسلية بالتهذيب الأخلاقي سببا في أن تفسح الطرائف الجادة مكانها للطرائف الساخرة التي يدور معظمها حول الأخطاء والأكاذيب والمبالغات وما الى ذلك .

وهنالك قدر كبير من الطرائف الشائعة والنوادر يرتبط بالمهارة والبراعة .

ففي بعض الأحيان نجد أن اهتمام القاص يتبلور في التناقض بين الشخص الذكي والشخص الأحمق [illegible] الثاني ، [illegible] الأساس حركة في أساليب الصراع [illegible] وكونها كذلك [illegible] في الحكايات التي [illegible] هذه الطرائف [illegible] في عرض ضروب المهارة ذاتها .

وقصص اللصوص المهرة قديمة جدا ، وتمدنا الآداب وأيضا مأثورات الشعوب المختلفة بكثير من القصص التي تمثل طبيعة هذا اللون من الطرائف .

وحكايات « الاحتيال » كانت دائمة في جميع الحضارات المعروفة ، وان كان من الحقائق الجديرة بالذكر ، أن مثل هذه الحكايات تظهر عند نهاية كل حضارة من هذه الحضارات ، أو بتعبير آخر ، عندما يبدأ ضوء الحضارة يخبو ، فان هذا اللون من الحكايات يبرز .

وقد أورد أحد الدارسين أمثلة لهذه الحالات . من ذلك أن الحكايات التي تدور حول الخداع واصطناع الحيلة والتي تمثل قسما كبيرا في « ألف ليلة وليلة » يرجع تاريخها الى القرون الأخيرة لما يسميه « أ . سبنجلر » بالحضارة السحرية عندما كانت الخلافة في بغداد والقاهرة تقترب من الاضمحلال .

كذلك فان حكايات اللصوص في الفولكلور والأدب الهندي تنتمي الى حقبة الاضمحلال التام بعد أن بلغت الحضارة السنسكريتية أوجها .

وقد أدت هذه المقولة الى الاستنتاج بأن الحكاية الفرعونية المشهورة « كنز رامبسينيتوس » لا يمكن أن تكون قد نشأت في ظروف تختلف كثيرا عما سبقت الاشارة اليه .

وقد أورد « هيرودت » في الفصل الذي كتبه عن مصر في منتصف القرن الخامس قبل الميلاد طائفة من القصص التي سمعها أثناء زيارته لمصر ، ومن بينها هذه الحكاية .

وقد اختلف الدارسون فيما اذا كان « رامبسينيتوس » هو نفسه رمسيس الثاني أو رمسيس الثالث (١١٩٨ ــ ١١٦٧ ق‌م) من الأسرة الثانية والعشرين ، وقد اشتهر بضخامة ثروته . وتدور القصة حول « البناء » الذي بنى للملك غرفة من الصخر لكي يجمع فيها كنوزه ، ولكن « البناء » اتخذ لنفسه سرقة هذه الذخائر بأن ترك حجرا مخلخلا في البناء لتسهل سرقته ، وعندما شعر باقتراب منيته أفضى لولديه بسر البناء ، وعرفهما طريقة زحزحة الحجر ، وأمرهما بكتمان السر حتى يستطيعا أن يأخذا الثروة الملكية ، ويعيشا في رغد .

وتصور القصة بعد ذلك كيفية سرقة الكنز دون التعرف على شخصية اللص . فقد كان الملك يجد في كل مرة أن جميع الأختام سليمة ، وأن أقفال الغرفة لم تمس ، ومضى الملك



- حكايات الاحتيال كانت ذائعة في جميع الحضارات المعروفة
- شخصية علي الزيبق تجمعت حولها سلسلة من الطرائف أهمها سيرته الشخصية

يجرب كثيرا من الحيل المختلفة لكي يتمكن من اللص ، ولكن اللص كان يفسدها بذكائه ومهارته . وكانت آخر محاولات الملك هي أن يرسل ابنته لتستمع الى حكايات اللصوص ، وبذلك تعرفت على اللص ، ولكنه استطاع أن يهرب بحيلة حينما حاولت أن تمسك به ، وذلك بأن قدم لها في الظلام يدا لذراع جثة ميت كان يخفيها تحت ردائه ، وتركها في قبضتها وهرب .

وقد تشكك هيرودت في صحة هذه القصة ، ولكن ذلك لم يستطع أن يمنع القصة من الصمود لتقلبات أربعة وعشرين قرنا من الزمان تاركة تأثيراتها العديدة في طائفة من الطرائف المعروفة التي تدور حول اللصوص وحيلهم . ولقد أصبحت هذه القصة لا تمثل قصة جانبية من رصيد كتاب القصص الرومانسية في عصر النهضة ، بل وأصبحت كذلك بالنسبة لرواة القصص الشعبي في أوربا وآسيا .

فهي لم تظهر فقط في المجموعات الأدبية الأوربية في العصور الوسطى وفي عصر النهضة ، ولكن ظهرت أيضا في المؤلفات البوذية التي ترجع الى أوائل العصر المسيحي ، وظهرت كذلك في « محيط القصص الهندي » في القرن الثاني عشر ، وحظيت — فوق ذلك — بصورة عريضة في التراث الشفوي في المسافة من ايسلاندا عبر أوربا وآسيا الى أندونيسيا والفلبين .

حكاية اللص البارع

ومن القصص الطويلة الشهيرة من حيل اللصوص ، حكاية تظهر في صورها المتعددة في كل مجموعات الحكايات العالمية ، وهي « حكاية اللص البارع » (رقم ١٩٢ في مجموعة الأخوين جريم) ، وخلاصتها أن أحد الشرفاء سمع بمغامرات هذا اللص البارع فتحداه في مجال بعض الاختبارات التي تحداه فيها أن يسرق الخيول من فرسان مدججين بالسلاح وهم يسهرون عليها . ونجح اللص في ذلك بالتنكر في زي امرأة عجوز ، كما حدث في القصة السابقة ، وتحايل على اغراء الفرسان بالشراب حتى يفقدوا الوعي ، ثم قام اللص المغرور فلم يكتف بذلك بل قام بعد أن أسكر الحراس بحلق الجانب الأيمن من لحاهم امعانا في السخرية بهم .

وكان الاختبار الثاني الذي نجح فيه اللص أن يسرق الماشية من رعاتها . وقد حقق ذلك بأن أطلق أرنبا تدرج به الرعاة الذين انطلقوا يطاردون الأرنب .

أما الاختبار الأكثر صعوبة فهو أن يسرق خاتما من أصبع الدوقة وأيضا غطاء السرير الذي تنام فوقه ، وينجح اللص في ذلك بأن يرفع جثة ميت أمام نافذة الحجرة التي ينام فيها الدوق وزوجته ، مما يدفع الدوق الى اطلاق النار لأنه لم يفطن للحيلة ، ورغبة في تجنب الفضيحة يخرج الدوق ليدفن جثة الرجل الذي اعتقد أنه قد قتله ، وفي أثناء ذلك يدخل اللص حجرة النوم المظلمة متظاهرا بأنه الزوج ، ويقنع الدوقة بأن تناوله غطاء السرير ليلف به الجثة ثم يقنعها أيضا بأنه من اللائق أن يدفن الميت وقد لبس خاتمها لأنه فقد حياته طمعا في الحصول على هذا الخاتم . وعندما يعود « الدوق » يكتشف الخدعة التي وقعت عليه هو وزوجته .

وبعد هذه الاختبارات وأيضا بعد سلسلة أخرى من مغامرات اللص البارع يصدر الحكم باعدامه ، وبينما هو ينتظر تنفيذ الحكم ، يوضع في غرارة ، لكنه يستطيع أن يخدع أحد السذج من المارة بأن يأخذ مكانه في الغرارة موهما اياه بأنه ينتظر أن يصل الى الجنة .

الشطار في القصص الشعبي العربي

لعل أشهر شخصية تتمثل فيها صفات « الشطار » هي شخصية « علي الزيبق » الذي تجمعت حوله حلقة من الطرائف تضمها السيرة المعروفة باسمه ، والتي يرجع أن حوادثها تتعلق بحياة القاهرة في العصر المملوكي ، وتدور مغامراتها بين مجموعة من « المقدمين » الذين اشتهروا بالحيل والخداع ، وسرقة النفائس ، وتحدي السلطان .

وفي هذه القصص تظهر قدرات « الشطار » على التنكر واصطناع الحيلة ، واستخدام وسائل التخدير ومضاداتها أيضا ، وفيها أيضا تجرى اختبارات المهارة لهؤلاء اللصوص في صور مختلفة معتمدة على الذكاء والمهارة والقوة الجسدية ، وقد وصف « علي الزيبق » بأنه شاطر الشطار ، واشتق من اسمه « الزئبق » بأنه من الصعب امساكه .

وهنالك أسماء أخرى للشطار

قصص الشطار بين الفلكلور والأدب

● المقامات العربية عند بديع الزمان الهمذاني والحريري .. تأثر بها الأدب الغربي تأثرا بعيدا

« علي الزيبق » في مغامراته . وتجري بينه وبينهم ضروب من المنافسة والصراع . منهم مقدم درك بغداد « أحمد الدنف » وكان زعيما للصوص . وكذلك « دليلة المحتالة » استطاعت أن تغلب « الدنف » وتخدعه في منحه بمكرها وحيلها المختلفة . وكذلك بنتها « زينب النصابة » . ثم العجوز المحتالة المسماة : « شواهي ذات الدواهي » وشخصيتها شديدة الشبه بدليلة .

وقصص هؤلاء « الشطار » تظهر كذلك في حكايات « ألف ليلة وليلة » فأحمد الدنف وأتباعه يلعبون دورا هاما في طائفة كبيرة من الليالي . وتلعب زينب النصابة بنت دليلة المحتالة دورا هاما في حكاية العاشق والمعشوق التي تبدأ كجزء من حكاية عمر النعمان في نهاية الليلة (١٢٩) وما بعدها من ليالي تنتهي بالليلة (١٧٥) .

وفي قصة « أحمد الدنف » و « حسن شومان » مع « دليلة المحتالة وبنتها » (من الليلة ٦٤٢ الى الليلة ٦٨٠) . يظهر كذلك علي الزيبق . ويلعب أحد الأدوار الرئيسية في القصة . وموطن الأحداث هو مدينة بغداد .

ويبدو أن القصاص الشعبي قد أراد أن يكرر في إحدى قصص علي الزيبق جزئية سرقة خزينة الملك الفرعونية . بأن يجعل علي الزيبق يقوم بسرقة خزينة بيت المال من قصر السلطان .

قصص الشطار في الأدب الأوروبي

قبل أن نتحدث عن هذا النوع من القصص في الأدب الغربي [illegible] المقامات العربية [illegible] بديع الزمان الهمذاني والحريري والتي تأثر بها هذا الأدب تأثرا شديدا .

وقد نشأت هذه المقامات في القرن الرابع الهجري . في حقبة كثرت فيها حيل اللصوص . وقد صورت هذه المقامات عن شبكة اللصوص وأهل الكدية والمحتالين .

ويمتاز بطل المقامة بسرعة البديهة واصطناع الحيلة والتنقل من مكان الى آخر . وقد وصف « بديع الزمان الهمذاني » في المقامة الأصفهانية قدرة هؤلاء المحتالين في استغلال غفلة السذج من الناس ليسلبوهم نقودهم . كذلك نجد في مقامات الحريري « أهل ساسان الذين برعوا في الاحتيال في الحصول على الرزق من كل مكان والنجاة من المأزق .

ومن حيل هؤلاء الشطار ما ذكره « بديع الزمان » في المقامة الموصلية . فقد استطاع « عيسى بن هشام » أن يوهم قوما مات لهم قريب . بأن الميت حي . ويعدهم بشفائه لهم مفتوح أسهونه بعد يومين . فلما شاع خبر إعادة الميت الى الحياة قام عيسى بن هشام وصاحبه أبو الفتح الاسكندري بجمع الهدايا . حتى ورم كيسهما فضة وتبرا . واشتلا رحلهما أقطا وتمرا » . وبعد أحداث مختلفة يفر هو وصاحبه هاربين .

● ● ●

أما قصص الشطار الأوروبية فقد ظهرت في القصرن السادس عشر . ووجدت أول الأمر في أسبانيا . وعرفت بالرواية البيكارسية . وفي هذه القصص تجري حكاية المغامرات على لسان المؤلف كأنها حدثت له . وهي ذات صبغة هجائية للمجتمع والناس . والبداية المبكرة لهذا اللون من الأدب في أسبانيا ظهرت في رواية « سيلستينا » لفيرناندو دي روخاس (١٤٦٥ ـ ١٥٤١) . وهي رواية حوارية تحكي قصة محبين جرفهما الحب المثالي الى التهلكة في عالم يعج بالمكر والخداع . و « سيليستينا » هو اسم العجوز التي تصور هي ومن حولها من خدم ونساء مغوجات



قصص الشطار تظهر في حكايات ألف ليلة وليلة

والشخصيات تلعب دورها في طائفة كبيرة من الليالي

المسلوك الشخصيات الوضيعة في القصة .

وقد أصبحت شخصية « سليستينا » نمطا لكثير من النماذج الأدبية في الآداب الأوربية مثل شخصية المربية « روميو وجوليت » لشكسبير ، وشخصية « مارشا » في فاوست لجوته .

على أن الرواية البيكارسية أو « رواية الشطار » بالمعنى الدقيق فقد بدأت في أسبانيا برواية مجهولة المؤلف عنوانها : « حياة لاساريو دي تورمس ، وحظوظه ومحنه » وقد نشرت أول مرة في عام ١٥٥٤ ، وكانت بداية لسلسلة من الأعمال المماثلة في أسبانيا وفي سائر الآداب الأوربية .

وتصور هذه القصة واقعا لا مثالية فيه ولا أمل .

وقد ترجمت هذه الرواية الى الفرنسية في سنة ١٥٦١ ، والى الانجليزية في سنة ١٥٧٦ . ويجمع الدارسون على وجود أوجه شبه قوية بين قصص الشطار هذه وبين مقامات بديع الزمان ، ثم الحريري من بعده .

فقد عرفت مقامات الحريري في الأدب العربي في أسبانيا ، وألفت على غرارها مقامات في أواخر القرن الثالث عشر الميلادي . كذلك فقد قام بشرحها كثير من العرب الأسبان ، كما أنها ترجمت من قبل الى العبرية ، ترجمها سالمون بن زقبيل في القرن الثاني عشر كما ترجمها غيره من يهود الأندلس ولقيت رواجا كبيرا بين الناس حتى بداية عصر النهضة ، كذلك فان معظم كتاب الرواية البيكارسية كانوا من هؤلاء اليهود الأندلسيين .

وهنالك شبه كبير بين « البيكارو » بطل رواية الشطار ، وبين البطل التقليدي للمقامة العربية ، فكلاهما قد نشأ في طبقة منحطة فقيرة ، وكلاهما عرف لسعة الجوع والحرمان ، وعاش على هامش حياة المجتمع ، فيتجه الى الاحتيال ليكسب رزقه بشتى الحيل ، متنقلا من مكان الى مكان على غير منهج في سفره . وبطل رواية « الشطار » مثل نظيره بطل المقامة يصدر أحكامه على المجتمع من وجهة نظره هو ، وينظر الى الأشياء نظرة نقدية .

وربما تكون أشهر رواية بيكارسية ظهرت بعد « حياة لاساريو دي تورمس » هي الرواية التي كتبها ماتيو اليمان في ١٥٩٩ بعنوان « ... الشطار غوزمان دي الفاراتشي » وقد ترجمت الى الفرنسية ... كما ترجمت الى الانجليزية .

ومن هذا النوع من القصص الذي ظهر في تلك الحقبة رواية « جوستينا المحتالة » عام ١٦٠٥ ، ألفها طبيب من طليطلة هو « فرانسيسكو لوبيز دي أوبيدا » وتحكي قصة فتاة جميلة تحيا حياة التشرد والاحتيال . وهنالك أمثلة كثيرة لهذه الروايات في أسبانيا .

أما في الأقطار الأوربية الأخرى فان أشهر نماذج قصص الشطار في ألمانيا هي رواية « الأبله » لجريم لهاوزن (١٦٦٩) ، وفي انجلترا رواية « مول فلاندرز » لديفو ، « وتاريخ جوناثان وايلد العظيم » لفيلدنج في القرن الثامن عشر .

وفي فرنسا كان ممن تأثر بالرواية الأسبانية « شارل سورل » في قصته « تاريخ فرانسيون الحقيقي الهازل » وهي أول قصة من قصص الشطار في فرنسا ، وقد نشرت في عام ١٦٢٢ . ومنهم أيضا الكاتب الفرنسي « لوساج » في رواية « الشيطان الأعرج » ، وتظهر فيها فكرة الجني المحبوس في القنينة المعروفة في حكايات ألف ليلة .

وممن أفاد من هذا الاتجاه الصاخب الأقرب الى الواقع « جوتييه » في في قصته « موت الحب » التي ظهرت في باريس عام ١٦١٦ م .

ولما كان الغرض من موضوعنا هو اعطاء أمثلة فحسب لتوضيح هذا الاتجاه وبيان تأثير القصص العربي في هذه الآداب فانه تكتفي بأن نضيف الى ما سبق أن هذا النمط من القصص قد ظهر في الأدب المسرحي أيضا ، ومن نماذجه مسرحية « حلاق اشبيليه » و « زواج فيجارو » لبومارشيه ، ويمثل فيهما فيجارو صورة من صور الشطار أو الصعاليك السابقة . هذا وقد ظلت خصائص الرواية البيكارسية حية في تراث الرواية الأوربية حتى القرن التاسع عشر .

فوزي العنتيل

الشعر اليسوعيون

« خمس قصائد »

شعر: محمد عبد الحي

(١) نسق غيلان

وشعر قد أرقت به غريب
ثملا بالكواكب في الظلام
وتشرق في قوافيه إذا ما
تنفس مصبحا شمس الكلام
تظل به القصيدة في ابتهاج
تفتح مثل أشكال الغمام

(٢) عنقاء القصيدة
« إلى البارودي »

جاءتك تعبر نحوك الصحراء
نغمة التخيل قصيدة عنقاء
طورا تميد مع الرياح وتارة
ترتد ومن تخالف الأنواء
شاخت وله جنحتها إلى الرياح
د تجسدت الإشعة ... وبناء
فغدت في ... التجلي
وطنا لها ... منه سماء
يرتج فيها البرق مثل حرابه
كونية تنوء خضراء
تجتاح ... الفضاء وترتقي
حبله الرياح وتمخض الظلماء
رقصت على مزق العوالم غبطة
وتوهجت في موتها استرزاء
حتى إذا سكنت وراق جمالها
واستأنست وتشكلت أضواء
مثل المجرة . زهرة نارية
تنداح في أفق الكلام بهاء
استنطقت من نارها أسماءها
واستحلفت في نورها الأشياء
لغة تفرى من رماد حضارة
وتهيج وردا يغمر الصحراء

(٣) هو الموت يسعى إلينا
« في ذكرى السياب »

هو الموت يسعى إلينا بلا قدم
في الدجى والنهار
ولدنا له ناضجين . استدرنا له ،
فملأ البكاء : أتبكي الثمار
إذا أقبل الصيف يحقنها في الخلايا
بنار الدمار ؟

(٤) مقتل الكركدن
« سونيت إلى توفيق صايغ »

ـ ١ ـ

أجمل من في الغابة يصهل قرب النبع ، يغشى
ظل الشمس على أشجار التفاح ،
جرح ربيع الروح تلألأ أجمل من كل جراح
الأيام النصف مضاءة تحت مصابيح الشارع ؟ حزن .

ـ ٢ ـ

يصهل فوق جبال خضر تحت فضاء أزرق منفتح
منتصرا أن يتقمص إبريق الفخار
الحلم المشتعل مثل حمامة نار
عبر الوقت المشدود على قوس الجسد المتجرح .

ـ ٣ ـ

موسيقة حجر أم حيوان يجهش تحت النصل المسنون ؟
الزمردي مخمور يتفشى بعد الغرقى قناعا فقناعا ؟
أم طفل غنى خلف الأرغن في وطن ضاعا ؟
أم صوت البلبل في حقل الورد يغنى بنزف في ألم مفتون ؟

ـ ٤ ـ

هل يجدي أن نعرف ؟ لن يجرؤ أن يعشق أجمل من في الغابة
ويتوجه بالأسماء ويرثيه غير ملاك من خارج هذي الأيام
الصخابة .

(٥) موت الشاعر

ـ ١ ـ

القفص
الرابض في الديجور
يحلم بالعصفور .

ـ ٢ ـ

النسر
فوق الجسد الطريح
أجنحة الملاك شموات مرايا الريح .

ـ ٣ ـ

الدم
في الجدار
تلتهب الشمس على الأشجار .
وتصعد الجذور .

وبعض الوهم يكفيني..!

شعر: كمال عمار



هنا الأيام لو تدرين ليس بها من الأيام
إلا النور والظلمه
وأما ثالث الحالين حيث منابت الأحلام
واسترخاءة الإنسام واستئناسة الصحبه
فأمر لم يعد يعني
إليّ سوى خيال إن سعيت له يجافيني
وكنت إذا طلبت الشعر بعد الشعر يأتيني
وسقفاً كان له مسارا في شراييني
تباعدنا وما عدنا كما اعتدنا النفير
فمن للعين إن سالت يهدهدها ...؟
مناديل الرؤى حالت وأشواقها
يزاحم خطوتي والأرض من حول الخطى رحبه!
فيامن في يديك الشمس كاد اليأس يشنقني
ولولا انني حينا افكر فيك وأناديك
لاختلت موازيني
وصرت كما يريد الليل لا عينين .. لا شفتين ..
لا تاريخ .. لا نشبه
فقدت بطاقتي الخضراء والأسماء والرتبه
فمُدّي لي يديك بها وَرُدّي حيرتي عني
خذيني حين تبتسمين وضعيني على شفتيك
تجديني
نسيت الويل والأحزان والأشجان والغربه
تفر جميعها مني
أنا مَن حار فيه الليل حين تَحِلّ ظلمتُه
التي تغشى عيون الكون لكني
وإذ يجري الخيال إليك يعطيني المدى غيبه
وأبصر وجهك الفضي يضحك لي يحييني
يقول الصبر يجمعنا
غدا أو بعد بعد غد صباحٌ أخضر العينين
لم تعبث به الغيبه
يناديني ..
ويبنيني ...
ويبسط فوق رأسي في هجير توحدي ثوبه
فضميني
إليك وإن يكن وَهْما ..
فبعض الوهم يكفيني!

كمال عمار

د. رشدي فكار

طفلنا في سنته الدولية

ان كان للطفل في هذا العام سنة دولية تركز على الاهتمام به، فقد كان موضع هذا الاهتمام منذ مهد البشرية الواعية، كرمه الانبياء والرسل في رسالاتهم، وتأمل الفلاسفة حول نشأته وتربيته، وتعاطف معه الحكماء والمشرعون في بعض مراحل التاريخ، ومنذ مطلع العصر الحديث وفي الفترة المعاصرة بصفة خاصة اصبح الطفل - نشأته ومراحل نموه النفسي وبيئته الاسرية والاجتماعية - ميدانا خصبا للدراسة والبحث وتخصص في ذلك المتخصصون ونبغ الباحثون ابحاثهم مجتهدين وملاحظين.

ولا شك ان دراسات (جان بياجيه) العالم السويسري الشهير تعتبر من اوفر واغنى الدراسات المعاصرة عن (سيكولوجية الطفل) وكما ذكر هذا العالم الكبير ان دراسة الطفل استهوته وهو اساسا من المتخصصين في بيولوجية الحيوان والعلوم الطبيعية، واعتقد ان بضعة شهور كانت كافية لاشباع هذه الهواية للتعرف على ذكاء الطفل فاذا بها تمتد به الى خمسين عاما من الدراسات ليصل في النهاية الى (ان الابستمولوجيا التكوينية او النشوئية) لا تعني تاريخ الاكتشافات عبر الانسانية بقدر ما تعني تاريخ الاكتشاف عبر الطفل. ومع (جان بياجيه) تعرفنا على نشأة الذكاء عند الطفل وتكوين الواقع والرموز لديه وتقسيمه للاعداد، ونموه الكمي النفسي ومنطقه والاشكال العقلانية عنده. كذلك فرويد بدوره، في دراسته للجهاز النفسي ومراحل النمو النفسي ركز على تطور (الليبيدو) في هذه المراحل المختلفة، وحاول من خلالها ان يتعرف على اليات الكبت والتسامي بالغريزة الجنسية عنده.

وان كانت حضارة الغرب المعاصرة خصوصا الجانب الغالب منها اهتم بالطفل ... لتكوين الطفل بيولوجيا ونفسيا ونموه في بيئته الاجتماعية فقد شغل الطفل ... حيزا كبيرا من تاملات الفلاسفة ... الى ... في الاسلام القرآن ... الى ... يحتضن ... على ... حضارة ... ومكانة لها ... للطفل انطلاقا من المبادىء السماوية التي خطها لنا القرآن الكريم موضع العناية بتربيته وترشيده ورعايته. وابرز القرآن الكريم جانب الحقوق للطفل بل جعله صاحب حقوق واعفاه حتى بلوغ سن الرشد وبلوغه القدر، في مقابل رقابة بدنية لوالديه وذلك باحسانه لهما في مقابل تربيتهما له صغيرا (وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا) ونرى في هذا المبدأ القرآني الخالد ان تربية الطفل حق له على والديه ومن خلالهما على المجتمع بكل ما في كلمة تربية من معاني ومضامين وسهر على نموه بيولوجيا ونفسيا واجتماعيا تهذيبا ورعاية وعناية الى التأهيل للحياة الكريمة المنظمة.

هذا الى جانب ما ورد من احاديث نبوية شريفة تحث على العناية بالطفل ورعايته وحسن معاملته والرحمة به ويكفي معاملة الرسول عليه السلام للحسن والحسين وعطفه عليهما كما تواتر في السنة الكريمة والاثر. وهكذا حضارتنا في اسسها لم تغفل الطفل في حد ذاته ولم تغفل الاوليات الكفيلة بضمان الاستقرار لبيئته النفسية والاجتماعية، ونعني بذلك استقرار الاسرة ففي تصورنا ان الاهتمام بالطفل ينطلق اساسا من الاهتمام بالاسرة ومشاكلها الحياتية والانسانية خصوصا وان العصر الذي نعيشه الان اثقل كاهل الاسرة بتعدد الادوار للمرأة اسريا واجتماعيا وتداخل القيم وتدعيم انانية الذات على حساب الطفل وتربيته تحت شعار الرفاهية الشخصية، واصبح من الضروري طرح اشكالية الطفل باعتباره نصف اليوم وكل الغد في اطار واقعي حيث اصبح هو الضحية وعليه تنعكس الاحداث وتيارات وامواج التغير في بنية الاسرة وفي بنيان المجتمع على حد سواء.

حقوق الطفل

ولعل هذا يدفعنا من خلال طرح اشكالية الطفل حاليا الى التعريف بخصائص ما هو مشترك من هذه الانعكاسات على مستوى المجتمعات المتقدمة صناعيا وما هو خاص بمجتمعاتنا الفتية العربية في الصدارة اذ حققت الفئات المتقدمة صناعيا والتي تتمتع بالرفاهية المادية والرخاء الاستهلاكي من المجتمعات المعاصرة الكثير من بنود ضمانات الحياة الكريمة ماديا ومعنويا للطفل كما وردت في (اعلان حقوق الطفل) منذ ثلاثين عاما (٢٠ نوفمبر سنة ١٩٥٩) ويحتفل العالم بها الان كسنة دولية للطفل فلا ميز ولا تفرقة بالنسبة له جنسيا او دينيا او لغويا، وكفلت له شتى انواع التسهيلات وابواب الحماية واسعة مصلحته في الصدارة مؤمنة له الحياة في رحم الحمل وبعده مانحة له اسما وجنسية منذ ولادته ... من قصور او تخلف عضوي تسهر على علاجه جسميا وعقليا.

- ضمانات صريحة أو ضمنية تنتفي وحقوق الطفل الدولية
- حقوق يكفل المجتمع من خلال مؤسساته بالرعاية للطفولة والحضانة
- معاناة الطفل في المجتمعات المتقدمة لا تقارن بمعاناة غالبية أطفال مجتمعاتنا
- أم تبكي وتصفع .. وأب يتألم ويئن تحت كل متاعب الدنيا
- لا فائدة في إصلاح لا ينبع من الضمير والشعور بالمسؤولية

واجتماعيا . في اطار من العناية والتفهم مؤكدة على حقه في الرعاية من أمه إلا في الظروف الاستثنائية . التي جلبت حقه في التربية المجانية والالزامية والترفيه ووقايته من الاهمال والاستغلال المجراني بصحته أو تربيته أو يشكلان عائقا لنموه الجسمي أو العقلي أو الاخلاقي . مع تكريس طاقته وتشجيع مواهبه لمصلحته ولمصلحة الجماعة البشرية . ودعوة الآباء رجالا ونساء . وكذا المنظمات لاحترام هذه الحقوق .

هذا هو حال أطفالهم وما حظوا به من ضمانات صريحة أو ضمنية تتمثل في (إعلان حقوق الطفل الدولية) وإن كانت له من الشكاليات مردها النزعة في الرفاهية الشخصية التي أدت إلى الأنانية والمغالاة في المصلحة والمنفعة الذاتية . ولو على حساب الأسرة أو حساب الآخرين فإن كان طفل هذه المجتمعات المتقدمة في بعض الأحيان يعاني من غيبة الحنان ودفء العواطف الأبوية وعدم الحضور الجسدي لوالديه نتيجة لالتزاماتهما الاجتماعية طيلة أيام الأسبوع بالعمل أو الارتباطات ترفيهية جانبية وهامشية بإسم المزيد من التمتع والتنوع والتغير . فقد تكفل المجتمع من خلال مؤسساته لديهم بالرعاية للطفولة والحضانة وشغل الفراغ بسد هذا القصور نسبيا أو ضمنيا . ومن ثم فمعاناة طفل المجتمعات المتقدمة (وهذه قضيتهم) لا تقاس ولا تقارن بمعاناة غالبية أطفال مجتمعاتنا الفتية .

متاعب نفسية

أطفال الشقات الاجتماعية الأكثر عددا والأكثر فقرا . والتي تعنينا في الصدارة منذ لحظاته الأولى بل خلال ولادته وظلت تصاحبه المعاناة . حيث ظروف الولادة السيئة صحيا ونفسيا وقد تتعامل معه الكروبات وأنواع البكتيريا الضارة . في أثناء تكوينه [illegible] ... يعني من بعض أمه [illegible] ... ويتعايش مع الألم لأنه لم يعرف عضويا غيره . ويتحرك به مراحل النمو الذهني في جو أكثر تعاسة والقى مما يدور في أحشائه من متاعب وشوه تفكيه . وصعوبة في مواجهة الطبيعة والتكيف معها وكثيرا من الأطفال في السنوات الأولى من يرضون من الغنيمة بالإياب فيرحل عن الدنيا في أول ملامسة بعد أن تعرف على دوخة الحياة التي تنتظره . وأما من قدر أو كتب له الاستمرار في موكب المعاناة . فيضيف أولا بأول إلى متاعبه الجسدية متاعب نفسية . تنفذ إلى أغوار اللاشعور وتستقر فيه كترسيم كبتي ليس له أي قدرة على التسامي به .

أم تبكي وتصفع . وأب يتألم ويئن تحت كل متاعب الدنيا . وحجر تحشر فيه أعداد من الأنفس بلا مراعاة لأبسط الضروريات المعيشية والصحية فيضاف إلى ضيق النفس ضيق المكان وسوءه . وينظر الطفل ويدقق فيما حوله أطفال سبقوه في المعاناة من أشقائه وآخرين تلود فيها . والكل يتساءل عن واقع بلواه الأم تشكو بلواها من الحياة والأب يشكو بلواه منها ومن الحياة ويصبح القاسم المشترك لدى الجميع . البلاء والتواكل أمام ثقل الأحداث وتعقدها في هذا الإطار المظلم الغالق يتكون نصف اليوم المظلم ليتحول مع مرور الأيام إلى كل الغد المعتم . أجسد لا يتعامل إلا مع الدفاء الذي والتجانية النفسية والانعكاسات الفهوية في التنشئة التي لا تسمح بأي إشراق للشخصية فأين نحن من أسس التنشئة الواعية في الدول المتقدمة . تفهم . وسببية . ومشاركة لتكون الطفل الشرق بمعنى العيش في جو تفهمي . تسمى له فيه

طفلنا في سنته الدولية

- متى تصبح قضية بناء امتنا .. حركة تاريخية بلا ارتداد ؟
- وللأسف من قرون يحنو على قلب الطفل الذي نحن على قلب الامة

الموقف ويشارك في حياة اسرية تحاول الضروريات تتيح له بنفاذ ذاته ، بدلا من ذلك قهر للعصب يوميا وكل غدنا وحرمان من التمتع بابسط ضروريات الحياة وتواكل ومجازفات وشعور دائم بالخيبة وعدم ثقة في الذات ، ومن باب اولى عدم ثقة في محيطه الاسرى ، ولعل هذا ما يفسر لنا الكثير في حياتنا اليومية وما نعانيه الان من التصادم امسنا وكل يومنا على مستوى اغلب فئات المجتمع ، خصوصا وان طفلنا المشكل لغالبية فئاتنا الاجتماعية الاكثر عددا والاكثر فقرا حينما يتحول الى فتى وشابا قلما تتاح له فرصة التصحيح ، ولقرة المكونات الترسيبية في اغواره فعليا يبني مواقفه الاجتماعية ويطاقيتها تتحرك علاقاته : انفعال ، ريبة شك ، قلق ، مجازفة ، ويفقد الشيء لا يعطيه وقد يطول بنا موكب التحليل المسلوبة او اخضعنا مراحل تطوره الاجتماعي وبنيتها التي يتحرك في اطارها ، لذا نكتفي بهذا القدر من المعاناة لطفلنا المشكل لغالبية بيئتنا الاجتماعية في سنته الدولية ، نصف يومنا وكل غدنا املين من طرح هذه الانطباعات حول اشكاليته بهذه المناسبة ان يلتزم في تربيته وضمان حياته ككل بالنسبة لامتنا بتعاليم ومنهج القرآن الذي دعانا الى مجتمع التكافل المبني على التضامن في سبيل رفع الشقاء عن كل فرد ولا فائدة في اصلاح لا ينبع من الضمير والشعور بالمسؤولية عند كل فرد امام الله في مجتمعاتنا مهد النبوات وأرض الوحي



والرسالة الخالدة لقد كان العربي المسلم ومن شاركه من اعتنقه للاسلام وما زال ينطلق اولا من داخله ويحتكم لاغواره ، وقد كان وما زال كشخصية (تراثية ثقافية) ينفجر مشرقا او مدمرا حينما تشحن مكوناته او تطفو رواسبه ايجابيا او سلبيا ، وما احوجنا الان واكثر من اي وقت مضى الى تفجر قدرة قدرات طاقته المتصدة في

وجدانه الروحي واحياء ضميره موضوعيا ليشرق ويندفع بنى وطنه الى الاشراق ويبعث مكنونات دروه كممثل لامة صانعة رسالة خالدة للبشرية ، ولا نعتقد شخصيا في جدية حركة امة اقعدت رواسبها السلبية في اطفال طبقاتها الاكثر فقرا والاكثر عددا والتي تحدد محور ارتكازها نحو الغد في انطلاقة بمجتمع مجمع واع لحركة تاريخها ، فكل مؤمن قادر يحنو على قلب طفل من خلاله يحنو على قلب امته ، ومن هنا نعطي اولوية مطلقة لنصف يومنا وكل غدنا باعادة النظر في بناء النشئ والاتجاه بدعائمها الى الاتحاد والوحدة لا يتم في عتمة ترسيخ رواسبها ، او بتحرير امة من البريق عبر جلسة عاطفية انفعالية او من خلال لقاء ولو كان صادقا بعد حربة وعلي ... او بفضل شباب ان كان مظهره تفاعل مع العطاء والانطلاق فجوهره وتكوينه مبطن بالمعاناة والعوقات ، وانما يرتكز اولا على اطفالها لنصف يومها وكل غدها ان الاكتشاف منطلق معاناتها وتشعبه وبيان محوره ينطلق من الخطوات الاولى للطفل ويكتشف عبر مراحل نموه فلا نتغافل الان عن موقعه المصيري في تشييد صرح غدنا ، ونغفل حتى عن ذكره في سنته الدولية ، في الوقت الذي يشكل الطفل لدى عدونا ما تبقى له من ضمانات في حركته العاكسة للتاريخ ، اما نحن فحينما نتمكن من ارضية الاساس وركائزه ، تصبح بعون الله قضية الاندفاع ببناء امتنا الشامخة مسيرة ملازمة .. وحركة تاريخية بلا ارتداد .

العدد القادم

حالة غير مستعجلة

قصة قصيرة

بقلم : أبو العاطي ابو النجا



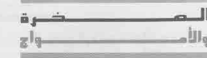
لابد للوحدة من لغة واحدة

مما يتناقله ثقاة الرواة (وما أقلهم) من شهود افتتاح أول جلسة لجامعتنا العربية الموقرة ، أن وفدا من الوفود السبعة التي كانت تمثل الدول العربية السبع (التي خاضت جيوشها حرب فلسطين الاولى في ١٥/٥/١٩٤٨) طلب احضار (بوظة) ، وكانت البوظة في لهجة بلد ذلك الوفد تعني تلك الحلوى الباردة المسماة بالانكليزية (أيس - كريم) ، والتي لا تزال ترد بالطائرات طازجة من أسواق أوروبا الى كل الاسواق العربية حيث تكثر محلات (السوبر ماركت العربية) ... ولما كانت كلمة بوظة تعني لسكان القاهرة (حيث المقر (القديم) للجامعة العربية) نوعا من الشراب نوع اعرافنا البيسون سكان أهالي الصعيد المصري وشمال وادي حلفا السوداني ... بصنعه من دقيق الذرة التي سبق استنباتها ... الزيمات خاصة) ثم تخفيفها ... في (ماء النيل القراح) ليتخمر الى شراب ذي رائحة وطعم ينافهما كل ذي ذوق سليم .. فقد أرسل (مدير العلاقات العامة) في مقر الجامعة انذاك (وكان ذلك المقر في قصر الملك فؤاد الاول بشارع يوسف الجندي، قرب ميدان الفلكي ، حيث تكثر عيادات الاطباء الشاميين الذين يعرفهم لا شك كل عربي يداوي أسقامه بالقاهرة) ... أرسل بمناوبيه الى أشهر محل لبيع البوظة في (بولاق أبو العلا) فأحضروا للوفود السبعة، أربع عشرة (قرعة) طافحة الكيل .. فلما وقعت أنظار أعضاء الوفد الذي طلب (البوظة) على ذلك الشراب الكريه صاح كبيرهم : ما هذا ؟ ... قالوا (بوظة ...) ودار أول نقاش شهير طويل تحت سقف الجامعة العربية حول تعريف (البوظة) لدى لهجات الاقطار العربية المختلفة .. ومرت تلك الحادثة الشائعة ظاهريا ، دون أن يدرك أحد من أعضاء الوفود العربية، مغزى ومعنى ومؤدى وخطورة مثل ذلك الشقاق في تعريف معنى (البوظة) واشتقاقاتها وتصحيفاتها ، تعريف يتفق عليه كل العرب ... وهنا يجدر بنا أن نقفز الى موضوعنا ، وهو دعوة الى اولئك الذين (يسيرون) الاذاعات العربية المرئية والمسموعة بالمسلسلات ، التي يشك أي عاقل أنها معدة (لتعد) الجيل العربي المعاصر لمواجهة الاحداث المؤلمة الشاذة على الطريق بخطى حثيثة أكيدة ، دعوة الى اولئك ليتكرموا بالنظر في عمل برنامج اذاعي يسمى مثلا (لهجات العرب) يقوم فيه المذيع كل يوم بزيارة لقطر عربي بعينه ، ويجري حوارا باللغة الدارجة فيه ، بين اثنين في موضوع ، وليكن الموضوع مثلا (موقف الاسلام من فلسطين المسلمة المحتلة) ثم يعيد صياغة ذلك الحوار (العامي) بلغة القرآن الفصحى ، ويتبع ذلك بنبذة ملخصة مركزة دقيقة عن ذلك القطر ، مساحته ، وسكانه وقبائله العربية ، والمذهب السائد فيه ، وشيء عن تقاليد أهله وأقاليمه وأطاريحهم ، والمساحات القابلة للزراعة بين ظهرانيهم ولا يستطيعون زراعتها ، ومشاكل ذلك القطر الرئيسية الظاهرة في التعليم والصحة والمواصلات والتموين ، بحيث يعطي ذلك البرنامج أو (المشنقة) كافة أقطار الوطن وأقاليمهم وبحيث يستطيع به الطالب العربي في دراسة متوسطة ثانوية ، على سمة الوطن العربي أن يعرف بلاده ولهجتها والالفاظ والعبارات التي لا ينبغي استعمالها في قطر أو اقليم عربي ، رغم حسن معناها في اقليم آخر ، ويمثل هذا البرنامج تضع لبنة على الطريق الصحيح لمعرفة أتمنا ...

... ولكي يصبح هذا البرنامج الاذاعي ذا نفع وفائدة فلابد أن يفرض على كل الاذاعات العربية (ولابد أن يستثنى من قرارات المقاطعة القائمة والقادمة) لأن اغفال موضوع (البوظة) وتركه دون علاج صحيح واضح جعلنا نتوهم أننا سائرون على الطريق الصحيح باسم (الوحدة العربية) ونتناسى أو نتجاهل الرباط الأساسي في الوحدة العربية ، وهو اللغة ، لغة القرآن .. ومن ذلك البرنامج الذي اقترحت تنبثق دعوة الشعوب العربية قاطبة الى العودة الى تكلم (لهجة واحدة) أقرب ما تكون الى الفصحى القرشية ، تكتب بها صحفنا وتبث بها اذاعاتنا المرئية والمسموعة أخبارها وتمثيلياتها وبرامجها خالية من الكلمات العاميات التي اعتبرها دون أدنى تردد أخطر معوق يقوض أواصر الوحدة بين أقطار هذه الامة ما بين الاسكندرية شمالا والخرطوم جنوبا وأغادير غربا والدوحة شرقا ..

درويش مصطفى الفار

جبرا ابراهيم جبرا



الصخرة والأمواج

- الحصى الصغيرة لا تحدث أمواجاً كبيرة. أما الصخرة فهي تهز كل شيء في الماء
- النقد مهمة صعبة وتحتاج إلى علم كثير واطلاع واسع وتدريب ذهني منظم
- الناقد الجاد عملة نادرة عن حق. إنه عقل يصعب إرضاؤه

كثيراً ما نجد هذه الأيام من يتساءل واحياناً بالحاح وعصبية حول قلة ما ينشر من دراسات نقدية إزاء ما يصدر من أعمال أدبية عديدة تتطلع إلى من يلتفت اليها بعين فاحصة. ثم يشكو المتسائل بأهمية النقد في مسيرة الأدب وتطوره، الى آخره، الى آخره، ويريد تعليلاً لشحة هذا النقد.

يخيل إلى أن الكثير من الأعمال الأدبية الصادرة هذه الأيام لا يثير الحماس أو الاهتمام، ولا يثير الجدل أو الدهشة، لضعف أساسي فيه. لعجز في أصحاب هذه الأعمال عن زعزعة ذهن القارىء أو هزه بشكل من الأشكال. هذا أمر يغفل عنه هؤلاء الكتاب، أو لا يدركونه، فيتذمرون من إهمال النقاد لهم. في حين أن العمل الجيد، العمل الذي يشق أرضاً جديدة، أو يحقق كشفاً في النظرة أو الأسلوب، أو يقول ما هو ضد التيار والموضة، لا أحسبه إلا واجداً استجابة من نوع ما تؤدي الى المعالجة النقدية، مهما يكن نوعها. فاللوم هنا، اذن، يقع على المؤلف، لا على الناقد.

لن يتوقع كل من أصدر مجموعة قصصية في ثمانين صفحة صغيرة أن يحرك أقلام النقاد، ويخلق زوابع الرأي ـ فإن توقعه في غير مكانه. الحصى الصغيرة لا تحدث أمواجاً كبيرة. أما اذا ألقى أحدهم صخرة في الماء، فإن الأمواج لن تكون كبيرة فحسب، بل ستهز كل شيء في البركة. غير أن طموح الغالبية من المؤلفين، لسوء الحظ،

[illegible] الحصى الصغيرة كثيرة [illegible] ، وليس بينها من صخرة [illegible] الكتابة التي تستفز [illegible] الأدب. وهذا أمر [illegible] الكتاب الجيد منتظر الصدف بعض النقاد [illegible] أو بعض أصحابها في أمرها، في فترات الأدب الثقافي. هذا النوع من الصمت أو الإعراض يتم التعويض عنه بالضجيج حول ما هو تافه أو مرضي عنه، ولن يبقى الضجيج إلى النقد. كتاب جيد كهذا، اذا كان مخطوطاً، قد يكتشفه يوماً ناقد مغامر. بل إن كتاباً كهذا لابد أن يكتشف، مهما تقادم عليه الزمن. الصخرة دائماً باقية.

مهمة صعبة

من الناحية الأخرى، علينا أن نتذكر أن نفراً قليلاً فقط من الأدباء يهيئون أنفسهم ليكونوا نقاداً. لأن النقد أصلاً مهمة صعبة، يحتاج إلى علم كثير، واطلاع واسع، وتدريب ذهني منظم، اضافة إلى الموهبة الأصيلة التي لا تقل شأناً عن موهبة القاص أو الشاعر. انك قد تكتب قصة جيدة، أو قصيدة جيدة، دون اطلاع أو علم كثير بالضرورة ـ تلقائياً. ولكنك لا تستطيع أن تكتب نقداً جيداً تلقائياً فقط.

هذا لا يعني، بالطبع، أن السوق ليست مليئة بنقاد لهم من الجهل ما يجعلهم، كما يقول الشاعر الانكليزي بوب، (ينطلقون بالحمقى حيث الملائكة تخشى أن تضع أقدامها)، ويتناولون أي عمل أدبي، مهما كبر على عقولهم، بقوالبهم الجاهزة ومساطرهم اليابسة، ليقيسوه ويقيموه. حين يخفقون في إدخاله في قوالبهم ويجدون أن مساطرهم لا تحصر أبعاده، يخرجون بنتائج غريبة، يتمازج فيها الشيء مع السذاجة الفكرية، رغم تغليفها بمصطلحات يتصورونها (نقدية)، وهي في الأغلب مستقاة من الكليشيهات السائدة التي ما عادت، في واقع الأمر، تقول شيئاً لأحد.

فالناقد الجاد عملة نادرة عن حق. انه رجل يصعب إرضاؤه، لتعدد أوجه الوعي لديه، ولأن ذوقه، كعلمه، مميز ومنضبط. وحتى اذا رضي هذا الناقد عما يقرأ، فانه قد يتحرك ذهنه، ولا يتحرك قلمه. ربما لأنه كسول، وربما لأنه لا يجد وقتاً كافياً للكتابة في كل ما يرضيه. غير أن الناقد الجاد هذا في الأغلب، اذا وجد عملاً يهزه ويستفزه فانه سيتناوله بحب، أو بقسوة، أو بكليهما معاً، ويتناوله مستعيناً بضروب معرفته كلها. مثل هذا الناقد، لندرته في السوق الأدبية، لا يستطيع أن يتصدى لكل ما ينهال عليه. فهو ينتقي بعناية ودراية، ويكتب ـ إذا كتب ـ بروح المبدع. لأن النقد في أفضل حالاته عملية إبداع يحركها إبداع آخر.

الأبيض والأسود

والناقد الجيد، لذلك، لا يفكر بالأسود

والأبيض ، لأن لا شيء في الحياة أسود وأبيض فقط ، بحيث يكون الحكم عليه أمراً نهائياً ومسلماً به . الناقد الجيد لا يرى فقط متدرجاً لونياً من الظلال والألوان ، ولا هو فقط يرى منظوراً عميقاً من تراكمات الإبداع الإنساني يتصل به ما هو ماثل عينيه في هذه اللحظة ، بل هو يرى أيضاً الثوابت والمتغيرات على أنواعها ، ويرى كيف تتداخل فيما بينها ، وتتبادل الأدوار . وهو إلى ذلك يرى كيف تفعل المتغيرات بالثوابت فعلها المعقد الذي لن يدعي الناقد ، كما لن يدعي أي شخص آخر ، مهما أوتي من معرفة وبصيرة ، أنه يستطيع توقع نتائجها كلها وحصرها .

هناك ، إلى هذا كله ، كتابة نقدية تلبسها قناع النقد ، في حين أنها في الحقيقة لا تعدو كونها شتيمة مطلقة وتجريحاً شخصياً . إنها عملة رديئة أخرى تساهم ، لكثرتها الهائلة ، في طرد العملة الجيدة من السوق .

وهكذا ، إزاء التساؤل حول قلة النقد ، يضطر المرء إلى إثارة مشكلات النقد نفسه ، والتأكيد على أن النقد إنما هو جزء من الحركة الأدبية ، أو الفكرية بوجه عام . فهو ينشط بنشاط الحركة وارتفاع مستواها ، ويخمل بخمول الحركة وسقوط مستواها . النقد والإبداع ـ إنهما عملية متكاملة ، متبادلة . ونحن لن نستطيع اتهام النقاد وإخراجهم عن غيرهم من المؤلفين . بل إن قلة النقد الجيد إنما هي شيء لن نسميهم ، تفاؤلاً ، بالمبدعين .

وهذه بحد ذاتها ، تعميمات أولية . ففي هذا القرن ، ولا سيما في نصفه الثاني ، أكثر من أي عصر مضى في تاريخ الحضارة ، تشعبت للنقد مدارس أسس لكل منها لغة ومصطلحات تكاد تنفرد بها ، وتبتعد بها أحياناً عن معظم ما عرف من نقد منذ أيام الإغريق والرومان والعصر العباسي ، وتميزها بحدة عن طرائق النقد التي عرفت في أوربا في عصر النهضة ، أو في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر . وسواء أكانت هذه المدارس تستقي غذاءها من ماركس ، أو فرويد ، أو يونغ ، أو كيركغارد ، أو جيمز فريزر ، أو ليفي ستراوس ، فإنها تعمل ، كلما اتسعت مناهجها ، إلى مساندة نفسها بيد ، أو بالأخرى بأيدي هذه الطرائق حول الجميع في المنطق أو العقل ... [illegible] ... الأخرى ... [illegible] ... بدائية تسعى وراء ... وراء النص ، أو الشكل ، أو الشخصية ، أو اللغة ، ولكنها تتحقق وتتكامل وتجيب أسئلة اللثام عنها ؟ هل هي طبقية ، أم جنسية ، أم رمزية ، أم هذه كلها معاً ، وإذا مختلفين وإيحاءات بدائية لا يعيها صاحبها بوضوح ؟ هل الرواية مثلاً ، على خطورتها كفن إنساني ، لعبة برجوازية في الآداب ؟ وهل الواقع فيها يوازي سطوتها الطبقية ؟ أهي تحريضية ، أم تبريرية ـ وإلى أي اتجاه بالضبط ؟ هل الشكل لعبة أخرى ، وإن تكن ذهنية ، أم إنه يفرض نفسه فرضاً ليكيف مجرى الفعل كما يشاء ؟ والفعل ، هل له ضرورة إذا عبر عن بطولة فردية لا مكان لها في المجتمع ، عوضاً عن أن تتمثل توازنه بقوانين جماعي أو صراع طبقي ؟ وهل للشخصية (قيمة بحد ذاتها) إذا تبين بعد تحليلها أو تشريحها على هذه الطريقة أو تلك ، أنها تتكشف عن ميول نرجسية مثلاً ، أو نخبوية ، أو يوتوبية ، الخ . الخ ؟ ـ وكل ذلك وفق تعاريف مسبقة لهذه المصطلحات يزعم أصحابها بأن لها معاني ثابتة ، ومطلقة

سيف ديموقليس

يخيل إلى أن الكثير من النقد الأدبي الحديث ، ولا أقول كله ، من لوكاش إلى رولان بارت ، لا ينتهي في آخر المطاف إلا إلى نتيجة أقرب إلى العدمية ، فيصبح اللابطل هو البطل المفضل ، واللارواية هي الرواية المثلى ، ويغدو الكاتب المبدع ، إذا أراد الاهتداء بهذا النقد ، كمن يعلق سيف ديموقليس فوق رقبته ، وينتهي بعض هذا الرقيب الذكي الصارم الذي يستثني كل ما هو خارج عن دائرة تفكيره ، إما إلى التضليل المقصود ، أو التلاعب الواعي بالشكل والمضمون ، إرضاء لهذه الفئة أو تلك . ولن ينجو من الشعور ، في لحظات الشك بينه وبين نفسه ، بأنه بذلك إنما يقيم جدراناً متناقضة حول تفجرات تجربته وخلقه .

والملاحظ أن معظم الأساتذة من دعاة هذا النقد ـ بكل ما يتمتعون به من علم وذكاء ـ عندما يخرجون من نطاق التنظير (وكلامهم في معظمه ، لحسن الحظ ، تنظير صرف ، قيمته الحقيقية في براعته وسعة حيله اللفظية والمعرفية) ، فإنهم لا يكادون يجدون في النتاج الأدبي المعاصر ما يستحق أن يعالجوه بطرائقهم ، ويضطرون في معظم الحالات إلى الرجوع إلى روايات ومسرحيات القرون السابقة ، من مآسي الإغريق ومسرحيات شكسبير وموليير ، إلى روايات ومسرحيات القرن الماضي الكبيرة ، ويحقق بعضهم مكتشفات لم تكن في حسبان الأعصر الماضية . وفي ضوء ذلك فإن المرء يعاوده خاطره القديم : أليس على المبدع أن يبحث عن المعجزة في قيافي دواخله وكهوف خصوصياته ، لكي يأتي ناقد ما في المستقبل ويجد فيه ـ وقد أصبح ماضياً ـ ما يجعل كشفاً لجيل قادم ؟ ومع ذلك ، رغم إلحاح خاطر كهذا على كل كاتب مبدع ، فإن الإبداع لا محيد له من أن يتأثر ويتأثر بمدارس النقد في كل عصر ، مهما توهم أن لنفسه استقلالاً عنها . ويبقى الكاتب الكبير ، مع اعترافه بالتكامل الحتمي بين الخلق والنقد ، هو الذي يقلب بإبداعه حسابات النقد وتوقعاته ، كما يقلب حسابات وتوقعات من أنواع أخرى كثيرة ، ويبقى الناقد الكبير هو الذي يتهيأ لإعادة النظر في مسلماته ، إيماناً في إبداعه هو على مستوى الإبداع الكبير الذي يتأمل فيه .

الشاعر العاصي ومأساته

في سنة ١٩٣٠ وقع حادث صغير في القاهرة ، نشرته الصحف في أسطر قليلة ولكن هذا الحادث كان يخفي وراءه مأساة جيل بأكمله ، هو جيل الشباب العربي المثقف في تلك الفترة السياسية الحرجة في مصر على وجه الخصوص . اما الحادث فقد كان وفاة الشاعر (احمد العاصي) في حجرته محترقا بلهيب النار التي اندلعت في هذه الحجرة ، والتي تبين فيما بعد انها استمرت في اشتعالها البطيء اكثر من أربع وعشرين ساعة ، وحين اقتحم الجيران حجرة الشاعر بعد ان رأوا الدخان يتسرب من نوافذ الحجرة ، وجدوا الشاعر قد فارق الحياة وأصبح مثل الفحمة المحترقة ، ذلك أنه كما يقول مؤرخ حياته الوحيد الأديب الناقد محمد محمود زيتون كان قد (دهن) جسمه كله بمادة كاوية لعلها ما نسميه باسم (ماء النار) ثم اوى إلى فراشه وظلت هذه المادة تأكل جسمه بالتدريج ، وتحرق الفراش ببطء (من الساعة التاسعة صباحا ، حتى الخامسة من اليوم التالي) حيث قضت على الشاعر واحرقت الحجرة ، وكان احمد العاصي قد بلغ في يوم انتحاره السابعة والعشرين من عمره ، وكان قد أصدر ديوانا واحدا من الشعر اسماه (ديوان العاصي) وأصدر رواية واحدة أيضا إسمها (غادة لبنان) . ومنذ وفاة العاصي مستمرا إلى اليوم — بعد ما يقرب من خمسين سنة — وهو يحتل في حياتنا الادبية هامشا صغيرا تافه الشأن ، حتى لا يكاد يحس به ولا يكاد يعرفه أحد ، رغم ما يمثله أدبه من تجربة حية نادرة ، شديدة الصدق ، ورغم ما يقدمه هذا الأدب من وثيقة امينة على ما كان يعانيه الجيل الرومانسي العربي من الام بالغة العمق والصدق ، كل ذلك بالرغم من أن شعره قد نضج بما فيه الكفاية

بداية حزينة

ولد احمد العاصي سنة ١٩٠٣ في مدينة (فارسكور) القريبة من المنصورة وكان أبوه من كبار التجار ، ومات أبوه وهو في السادسة ، وكان تلميذا ذكيا ، فانفرد عليه [illegible] الشروع في [illegible] لا يعرف [illegible] ، [illegible] الابتدائية والثانوية ، [illegible] كلية الطب [illegible] [illegible] النفوس [illegible] ، [illegible] بكلية الطب [illegible] تقتحم بمتقدم ، وبدأ القلق العميق يهاجم عقله وروحه ، ذلك لانه احد الاسئلة التي تواجه الشباب في مثل سنه مأخذا جديا ، فقد بدأ يفكر في معنى الحياة ومصير الانسان في هذه الدنيا ، واذا كان غيره من الشباب يمرون بهذه الأسئلة مرور الكرام ، ويعبرونها في أمان وسلام ، وينطلقون إلى الواقع العملي في الحياة يستمدون منه العون والقوة على الاستمرار والنجاح ، فان احمد العاصي ، صاحب النفس الحساسة والوجدان المتطلع إلى الفهم والمعرفة قد وقف أمام هذه الأسئلة وأصابته حيرة عظيمة ، ولعل كلية الطب نفسها قد ساعدت — بنوعية الدراسة فيها — على تعميق الأزمة التي أصابت الفنان الشاب ، ذلك أن دروس التشريح وغيرها مما يتصل بجسد الانسان ، قد كشفت له أن الانسان ضعيف تجاه الموت الذي يهاجمه بلا رحمة ، ويجعل منه كائنا عاجزا كل العجز كما يراه امامه كل يوم في مشرحة كلية الطب . ولذلك أصيب احمد العاصي بأزمة نفسية عنيفة وهو في السنة

الثالثة بكلية الطب ، فسافر إلى لبنان ، كما كان الكثيرون من ذوي القدرة الاقتصادية في مصر يفعلون في تلك الايام ، حيث كانوا يركبون القطار من القاهرة فيصلون به إلى بيروت في حوالي عشر ساعات ، ولم تكن اسرائيل قد قطعت هذا الخط الحديدي في ذلك الوقت ، ولعل احمد العاصي قد تصور أن طبيعة لبنان الجميلة الساحرة ، سوف تعطيه العلاج الشافي لروحه الشقية التعيسة وان هذه الطبيعة سوف تقضي على أزمته الروحية العميقة ، التي تحولت عنده إلى ما يشبه المرض العصبي الحاد . ولعل احمد العاصي كان قد قرأ كثيرا عن رحـــلات (شوقي) أمير الشعراء في ذلك العصر إلى لبنان كل عام ، وما كان يكتبه من شعر في عشق لبنان وفي تصوير طبيعتها الساحرة وتأثير هذه الطبيعة على النفس ، وفيما تقدمه لأصحاب القلوب الحساسة من شفاء ورضاء

من الطب الى الفلسفة

غاب احمد العاصي شهورا ثلاثة في لبنان ثم عاد الى مصر ، ومعه قرار بان يترك كلية الطب التي تدرس (جسد الانسان) ، وذلك بعد أن قطع شوطا في هذه الكلية يساوي نصف سنوات الدراسة او اكثر ، ولاتجه الى كلية الاداب قسم الفلسفة ليدرس (نفس الانسان) ولا يقف عند حدود الجسد كما كان الأمر في كلية الطب . ولقد كان قسم الفلسفة في كلية الاداب في سنة ١٩٢٦ عندما انتقل إليه احمد العاصي يضم عددا من كبار الأساتذة الفرنسيين ومن بينهم الفيلسوف الفرنسي الكبير (لالاند) كما يضم اساتذة عربا من اصحاب العقول

● قدمه أحمد شوقي إلى الحياة الأدبية عام ١٩٢٦ ويعدها البابع سنوات التجربة محترق في نيته؟

● بداية الفلسفة الغربية التي تنتقل كما هي إلى أرضنا

الكبيرة مثل الشيخ مصطفى عبد الرازق وفي هذه البيئة الحديثة وجد (أحمد العاصي) مناخاً روحياً أنسب فبدأ يقرأ ما يتجاوب مع همومه وشكوكه ، وبدأ يتعرف على مفكرين وفلاسفة عالجوا بعض الأسئلة الكبرى التي تحيره وتضنيه . وحصل العاصي على ليسانس الفلسفة سنة ١٩٢٩ وإذا عرفنا أن الجامعة المصرية كانت قد تحولت إلى جامعة رسمية سنة ١٩٢٥ فمعنى هذا أن أحمد العاصي كان واحداً من أول دفعة تخرجها قسم الفلسفة من كلية الآداب بالجامعة بعد أن أصبحت هذه الجامعة رسمية تستعين فيها الدولة بكبار الأساتذة الأجانب .

الشك والموت

ماذا كان العاصي يقرأ في هذه الفترة ؟

يقول عنه مؤرخ حياته الأستاذ محمد محمود زيتون ، الذي يبدو أنه عرفه عن قرب كما تدل كتابته عنه (في بحث صغير قيم) ، إنه كان يقرأ لديكارت ، ومن هنا نستطيع أن نستنتج استنتاجاً سريعاً أنه عرف من ديكارت معنى (الشك الفلسفي) الذي كان يدفعه إلى اختبار كل المعلومات والتجارب التي يتلقاها اختباراً دقيقاً ، ويسعى إلى أن تكون لديه الأدلة الخاصة التي تقنعه هو ، دون أن يكتفي بالآراء السائدة حوله . وهذا كله إنما ينبع من الاستقلال الروحي الذي تميز به العاصي ، منذ تفتحت مشاعره على الحياة ، فلم يكن من ذلك النوع الذي يكتفي بإجابات الآخرين ويرضى عنها ويستريح إليها .

على أن النزعة الفلسفية عند العاصي لم تكن نزعة باردة جامدة ، فقد كان العاصي (فناناً) حساساً ، ومن هنا اتجه إلى البحث في الفلسفة عن تلك المنطقة القريبة من

أحمد شوقي

الفن ، والتي تعالج المشاكل الكبرى للإنسان مثل مشكلة الموت والمصير ، وعثر على الفيلسوف الروماني (شيشرون) يقرأ كتابه المعروف باسم (كتابات من روما) ، وكان فيه حديث عن الموت ، وأخذ العاصي كما يقول مؤرخه (زيتون) يقرأ عن الموت في كتاب شيشرون ، حتى لقد كان يضع خطاً بالقلم الأحمر تحت كلمة الموت في الكتاب ، وبعد أن غمرته هذه الدراسة السوداء كتب خطاباً على الصفحة الأولى من الكتاب قال فيه :

(إلى من يهمهم أمري ، حيال من يخشى الموت ، ومن لا يرحب بهذا الملك الكريم الذي هو لي كالرائحة الزكية)

ثم وقع على هذا الخطاب باسمه الكامل : أحمد العاصي

فكرة الانتحار

كان العاصي قد ظن أنه بالانتقال من الطب إلى الفلسفة ، قد وجد مخارج النجاة في محيط الحياة ، ولكن الذي حدث هو أنه غرق في الحزن وأصبح يحس أن الحياة لا معنى

لها وأن الموت هو الفرج والفرح والخلاص الوحيد من هذه المأساة التي نسميها باسم الحياة . وسيطرت عليه فكرة الانتحار سيطرة كاملة ، والفرق كبير بين (الانتحار) و (الموت الطبيعي) فالانتحار اختيار ، والموت الطبيعي قرار خارجي وإجبار ومصير مفروض . والموت عن طريق الانتحار — الأسلوب الذي اختاره العاصي — هو نظرة للموت على أنه تجربة مرغوبة يختارها الإنسان بمحض إرادته . وإذا كانت هذه التجربة تعبير عن (رفض الحياة) فهي تعبير من ناحية أخرى عن تصور خاص للموت ، وهو أن الموت ليس سكوناً ونهاية وإنما هو عالم جديد أفضل من العالم الذي نعيشه في هذه الدنيا . وهذا هو الذي يفسر لنا قول العاصي فيما كتبه على غلاف كتاب (شيشرون) من أنه يرى الموت (ملكاً كريماً هو لي كالرائحة الزكية) فأحمد العاصي كان يعيش في (رؤية) تغريه وتسيطر عليه ، هي أن الموت (جميل) ويجب على الإنسان أن يسعى إليه ، بل لقد أصبح عاشقاً للموت ، يريد أن يحتضنه ويذوب فيه ويعطيه المواعيد الحلوة كما لو كان صديقاً له أو معشوقة من معشوقاته . ومما يدلنا على ذلك ما يرويه مؤرخه (محمد زيتون) من أنه قبل انتحاره (وقف على كوبري محمد علي ذات مساء ونظر إلى الأمواج ، واستحب أن يلتقي بها ويحتضن الموت ، ولم يكد يهم بذلك حتى راجعته سيدة المرنجية كانت تمشي ساعتئذ خلفه فعدل ...) ، على أن عدوله في تلك القصة التي يرويها زيتون كان مؤقتاً (لأنه عاد فنفذ قراره بالانتحار .

الفرحة الكبرى

وأحمد العاصي باختياره للموت ، حلاً لمشكلة الحياة ، هو واحد من أبناء المدرسة

الرومانسية في الشعر الحزين والعالي معا . فاذا كان في هذه المدرسة من مداريس الفن الانساني من يعشقون الحياة ويؤمنون بها ويرون فيها فرحا عميقا يستحق ان يدفعونا إلى التمسك بها ، فهناك جانب آخر من جوانب هذه المدرسة الرومانسية يتجسد في شعراء ومفكرين آخرين ، يرون ان اعمق ما في الحياة هو الموت ، بل إن فرحة الحياة الكبرى هي أن نموت ، فالموت في نظر أبناء هذه المدرسة هو تجربة كبرى ، خالدة وعميقة تتضاءل أمامها سائر التجارب الأخرى في هذه الحياة ، ومعظم أبناء هذه المدرسة الرومانسية ماتوا في سن صغيرة مثل (بيرون) و (شيلي) و (كيتس) . وفي الأدب العربي نجد (الشابي) و (العاصي) والهمشري والتيجاني وغيرهم من الشعراء الرومانسيين قد ماتوا قبل أن يبلغوا سن الشباب . وقد عبر معظم هؤلاء الشعراء عن حبهم للموت وعشقهم له وكما يقول (جون كيتس) (والترجمة هنا للشاعرة الكبيرة نازك الملائكة في كتابها قضايا الشعر المعاصر)

(الشعر والمجد والجمال أشياء عميقة حقا . ولكن الموت أعمق . الموت مكافأة الحياة الكبرى) ويقول ايضا (كنت نصف عاشق للموت المريح ، وناديته بأسماء عذبة في أناشيد عديدة ، والآن يبدو لي أكثر من أي وقت آخر أن من الخصوبة أن أموت)

وهذا الذي يقوله (كيتس) هو التعبير الصادق عن روح الشاعر العاصي ، فكيتس ينادي الموت بأسماء عذبة والعاصي يناديه أيضا بأسماء عذبة فهو يسميه باسم (الملك الكريم) ويقول عنه إنه مثل (الرائحة الزكية)

وبالطبع فإن الشعراء الرومانسيين يتشابهون في الملامح العامة لمواقفهم ومشاعرهم ، ولكنهم يختلفون بعد ذلك في طريقة تعبيرهم بل وفي التجارب الروحية الخاصة بهم والتي تقودهم إلى هذا الموقف العاشق للموت

واذا حاولنا أن نعرف جذور هذا الموقف عند لحمد العاصي فسوف نجد امامنا اسبابا متعددة

الام وزوجة الاب

اول هذه الأسباب ولا شك هو حرمانه من الأم في طفولته ، فهذا الحادث بالنسبة لنفسية حساسة مثل نفسيته لا بد أن يترك أثرا عميقا على شخصيته ، ويدفعه إلى الدخول في عالمه الذاتي الخاص ويعمق لديه الاحساس بالوحدة والعزلة ، ومما يزيد هذا الأمر تأثيرا عليه ما كان من موقف أبيه ، فقد تزوج بغير أمه ، مما دفعه إلى الاحساس بأنه فقد (الأب) أيضا وليس الأم وحدها ، وبذلك ترسخ في وجدانه احساس بالوحدة ، ويعمق مأساة الحياة ، وعبر عن ذلك تعبيرا شعريا ساحرا في كثير من قصائده ، حيث يقول

> فإن تكن الليالي مثل هذي
> فإن الأمن عندي في اعتزالي

ويقول في قصيدة أخرى

وما أنا إلا بعض من [illegible] معذبة [illegible] [illegible] بحرى يقولون [illegible] [illegible] [illegible] هموم عذبت يوما على العزم والصبر كأن [illegible] الدهر [illegible] وما [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] بجيش من الآلام في [illegible] ويأبى الأسى [illegible] فراق صريعه إلى أن يراهم اودعـوه ثرى القبر

وفي قصيدة ثالثة يقول

> ما حيلة المرء ، إن مال الزمان به
> إلا رضى يأسي يعزي له الكبدا
> أرعى همومي وترعاني ولا أحـد
> يحنو علي فالقى فيه معتمدا

عالم الفلسفة

ناتي بعد ذلك إلى السبب الثاني في أزمة الشاعر العاصي ، هو ما اصابه في طفولته من موت أمه وهو صغير ومن زواج أبيه من اخرى ، مما رمى به في أعماق الوحدة واليتم الروحي والتعاسة ... السبب الثالث لمأساة الشاعر هو دراسته الفلسفة ، والفلسفة بالطبع لا تقود كل من يدرسها إلى المأساة ... فما أكثر الذين درسوها وكانت بالنسبة لهم وسيلة للفهم والنجاة من مشكلات العقل والواقع والروح ، ولكن محنة العاصي مع الفلسفة نبعت من استعداده للقلق ومن عمق اخلاقه وتناقضه مع واقع الحياة في عصره ، وهنا نستطيع أن نتوقف


بيرون

لحظة أمام ظاهرة حقيقية هي أن الاساتذة الغربيين الذين قاموا بتدريس الفلسفة في جامعاتنا العربية وخاصة في المراحل الأولى من قيام هذه الجامعات ، لم يكونوا يدركون المشاكل الحقيقية للنفس العربية والعقل العربي ، وإن فهموا وأدركوا مشاكل النفس الغربية ومشاكل العقل الغربي ، لقد جاءوا إلى بلادنا وخاصة في السنوات التي كان العاصي يدرس فيها الفلسفة في آداب القاهرة ١٩٢٥ ـ ١٩٢٩ ... جاء هؤلاء الفلاسفة الغربيون من امثال (لالاند) وهم على علم بالروح الغربية ، وليسوا على علم بالروح الشرقية ، ولذلك فنحن نستطيع أن نتصور أنهم قدموا (الحلم) دون أن يدركوا حقيقة الأرض التي يزرعون فيها هذا الحلم مما ساعد على اضطراب الكثيرين من دارسي الفلسفة وخاصة في جيل (العاصي) ، بل وبعد جيله أيضا ، لقد طرحت دراسة الفلسفة في أعماقهم أسئلة كثيرة لا ترتبط بواقعهم ولا تعبر عن أحوالهم الروحية ، وساعد هذا الأسلوب وهذا المنهج على اقتلاع كل الروابط التي تصل هؤلاء الدارسين بواقع مجتمعهم ، وهذا هو ما نتصور هو الذي حدث لأحمد العاصي ، فزاده اضطرابا على اضطراب ، وضاعف الحيرة والقلق في نفسه ، وجعل الأسئلة في عالمه الروحي أكثر من الاجابات وأقوى منها

وهذه (عبرة حضارية) لا بد أن ننتبه إليها فلا بد أن يكون الفكر الوافد من الغرب مهما كانت قيمته وعمقه أرضا عربية صالحة لاستقباله وهضمه وفهمه ، واستبعاد ما لا يصلح منه ، وإلا كان مثله بمقتلة (النيتشة) التي تقتل الذي يصلي بها إذا كانت لديه حساسية معينة ، وهذا هو تماما عكس ما قرره العلم الحديث إنها كعلاج

انتقل الشاعر من الطب إلى الفلسفة بحثاً عن حل للشقاء الإنساني .. لكنه لم يجد غير اليأس والرفض والضياع!!



أبو القاسم الشابي



التيجاني يوسف بشير



نازك الملائكة

جانب جديد لبعض الأمراض ، ولكن (من العلاج ما قتل) ، وهذا هو شأن الفلسفة الغربية ، إذا دخلت أرضاً ليس لها فيها جذور ، أو دخلت أرضاً ليس فيها من القوة ما يساعدها على الاستيعاب الصحيح لهذه الفلسفة العميقة المتشعبة بمدارسها المختلفة منذ سقراط وأرسطو والمشائين إلى سارتر وما بعد سارتر .

سم هملت

وإذا فتحنا ديوان العاصي ، فلن نبذل جهداً كبيراً ، لكي نكتشف هذه الروح الفلسفية المتسائلة الحائرة التي سيطرت على شعر هذا الفنان ، وهي روح فلسفية تقوم على الشك والقلق والتردد وكثرة الأسئلة وقلة الإجابات ، وسوف نكتشف أن (سم هملت) - إذا صح التعبير - قد سرى في عروق هذا الفنان ، حيث أصبح يقف وحده في وجه أعاصير الحياة ، أي أسئلتها الكبرى ، دون سند أو عون يساعده على معرفة الطريق ، واكتشاف الصواب ، ومعرفة الحقيقة . ولنقف على سبيل المثال عند أول باب في الديوان وهو باب (الأدب) كما أسماه أحمد العاصي وقال عنه إنه هو ما كتبه (في عهد الاطمئنان والرجوع إلى النفس) ، فسوف نجد فيه الكثير من الشك والقلق والإحساس العميق بالضياع ، وليس كما يقول عنه العاصي من أنه كان ثمرة (للاطمئنان والرجوع إلى النفس) . ففي القصيدة الأولى وعنوانها سر الحياة يقول :

سر هذا الدهر قد أعيا طلابي
هل لنفسي أو لغيري من جواب
نحن نسعى في فلاة لا نرى
غايها والكل يجري كالسراب
ابحثوا ما شئتم لن تعثروا
في نواحي الأرض إلا بالعجاب
عفت أسرار دنيانا وما
من جلي غير أنواع العذاب

وفي قصيدة أخرى بعنوان الملل يقول :

حسبك المقدر من دونه المصاعب
وما كان مجدي المرء خلق بصاحب
وإلا الأعراض للشيء مهلك
بسهولة والدهر من الزمن صاحب
وكل فتى ... الدهر يحفظ
... بيضاً وسود
ومن السهولة ... نحوه

الحياة ، يقول :

أقل لنا في العيش مرح يا عيش
فمتى نفعم بمعشر حتى
وشبيه ما سمائي ما أتى
وخليق ناقتي أن يهزلا
مثل ما تهزل كل الأمم

هذا هو (الاطمئنان والرجوع إلى النفس) كما يتصورهما أحمد العاصي وليس في شعره السهل المباشر سوى الرفض للحياة والانكار لها والإحساس العميق بعدم جدواها وبعدم قيمة الإنسان فيها . وهذه أعلى درجات (الرفض الفلسفي) التي وصل إليها أحمد العاصي ، وهو رفض سلبي غير حقيقي يكشف لنا عن مدى اليأس العميق الذي سيطر على نفس الشاعر وحجب ألوان حياته وغطى كلها ألوان معتمة راقمة .

باب النقمة

فإذا انتقلنا من باب الأدب في ديوان العاصي وجدنا باباً غريباً عنوانه (باب النقمة) ويقول عنه العاصي إنه جمع في هذا الباب (ما قاله في عهد المحبة والتبرم بالحياة) ، وهذه الكلمات نفسها تعيدنا إلى المقدمة الصغيرة التي قدمها العاصي لديوانه ، والتي تحدد فهمه للشعر ، على أنه تصوير لمحنة الحياة ، أو (تصعيد) لها إذا صح التعبير ، فقد كان يجد في كتابة الشعر عوناً له على اجتياز محنته ، بمجرد التعبير عنها ، ويبدو أن هذا الحل كان مؤقتاً ، ولم يلبث في تخليصه من محنته التي لم تذهب إلا بالانتحار ... يقول العاصي في مقدمة ديوانه الصغيرة :

إنه في محنة من محن الدهر الرهيبة مرة حينا ، فشعرت بحاجة حادة لأن أشغل نفسي بقول الشعر فيما شغلني من شئون الحياة من قبل ، فلما وجدتني المحنة جمعت هذا الشعر وضممت إليه شيئاً من حديث شعري وقدمته إلى الناس ، فإن قبلوه كان ذلك خير عزاء وخير جزاء .

الشعر والمحنة

فالشعر عند العاصي إذن مرتبط بالمحنة في حياته ، بل هو محنة الحياة تحولت إلى أبيات وقصائد ، مما يكشف لنا عن أن شعره كله نابع من حالة نفسية واحدة هي اليأس والأسى والضياع ، وبعد أن عبر الشاعر عن هذه الحالة فارق الدنيا غير نادم ولا آسف . نعود إلى باب (النقمة) في ديوان العاصي ، فنجد أن هذا الباب غير مختلف عن باب الأدب كثيراً ، فهو أيضاً تساؤل عن سر الحياة ، وعجز عن فهمها ، وموقف فلسفي يهتم بعلامات الاستفهام ولا يجد أي إجابات أو حلول ، سوى الهم واليأس والعزلة ، إن كان في هذه الأشياء حل أو علاج .

ولو وقفنا أمام عناوين القصائد لعرفنا الموقف الفلسفي للشاعر حتى قبل أن نقرأ ما جاء في هذا الباب من شعر ، وهذا بعض ما جاء من عناوين في هذا الباب فنرى مثلاً (صيحة متألم - شكوى - نظرة على

الشاعر العاصي ومأساته

أرسطو

سقراط

جان بول سارتر

العيش ــ في ساعة يأس ــ نغمة مهموم ــ زفرة ــ عزلتي ــ حسرة ... ثلاثة من عناوين القصائد . أما القصائد نفسها فما أكثر ما فيها من التعبير عن عدم القدرة على التلاؤم مع الحياة . ففي قصيدة حسرة نقرأ هذه الأبيات :

ليس هذا العيش إلا ضحكة
كل فرد ضاحك ممن عداه
وأرى الدنيا مصابا بالغا
قد قضى الله علينا أن نراه

معشر افراد أصيبوا بالأسى
جمعوا فيها وسموها حياة
إنما الدنيا عقاب للفتى
والفتى لم يدر ذنبا قد جناه
والذي ادهشني من أهلها
أن يرجوا طول عيش في الحياة
أيها الأقوام هلا استيقظوا
إنها بؤس ولا شيء سواه

تعريف للانسان

ولعلنا نستطيع أن نرى في هذه القصيدة بعض الاصطلاحات والصياغات التي يستعملها الأدب الوجودي المعاصر في تعبيره عن غربة الانسان في هذه الحياة . وهذه الاصطلاحات والصياغات تكشف أثرا من أثر الدراسة الفلسفية في عقل العاصي ونفسه ، فمما لا شك فيه أنه نشأ ــ بفطرته ودراسته في نفس الوقت ــ مع بواكير الفلسفة الوجودية المعاصرة التي لم تكن قد انتشرت على نطاق عالمي واسع في أواخر العشرينات من هذا القرن حيث عاش العاصي ودرس وتألم وكتب الشعر وانتحر واحترق . ويمكننا أن نتوقف بالتحديد أمام البيت الذي يقول فيه العاصي

معشر افراد أصيبوا بالأسى
جمعوا فيها وسموها حياة

هذا البيت يقدم لنا [illegible] واضحة وفلسفية في مجموعة من [illegible] الكلمات التي [illegible] بالأسى [illegible] بسببه [illegible] الحياة [illegible] تعريف الانسان عند [illegible] الكاتب [illegible] الروح الوجودية [illegible] يعني أن العاصي [illegible] في حياته وفقه [illegible] توجيها [illegible] .

ونتوقف هنا لنعود في العدد القادم إلى الحديث عن بقية جوانب الأزمة التي عاشها الشاعر العاصي وهذه الجوانب الباقية تتركز في الجانب السياسي والجانب العاطفي من حياة الشاعر ، والاستطراد في دراسة مأساة العاصي يكشف ــ فيما أرجو ــ عن أزمة جيل بكامله في حياتنا العربية المعاصرة .

نداء شوقي

وأود أن أنهي هذه الحلقة من دراستي عن الشاعر العاصي بالنص الكامل للقصيدة القصيرة التي كتبها أحمد شوقي ــ أمير شعراء عصره ــ في تقديم العاصي وديوانه ، وفي هذه القصيدة يحاول شوقي أن يوجه (العاصي) توجيها روحيا جديدا نحو الفرح بالحياة والابتعاد عن التعاسة وينابيع الشقاء والخوف من الدنيا والرفض الكامل للحياة ، ولكن نداء شوقي على عذوبته لم يكن مجديا مع هذا الشاعر الذي عاش تعيسا رافضا الحياة حتى تخلص منها بالانتحار . يقول شوقي في تقديم ديوان العاصي ، حيث يشير شوقي في أول بيت إلى التشابه بين اسم (العاصي) ونهر (العاصي) الذي يتدفق في أرض الشام

هذا شباب الشعر يلمح ماؤه
من جدول العاصي ومن ديوانه
من كل قافية كأن رفيفها
من ظل اذار ومن ريحانه
وكأن رنتها ونغمة شعرها
من غيرة الصداح من أغصانه
هجر التكلف بيتها فكأنما
من قلبه نبتت ومن وجدانه
ويكاد يلمسك السرور براعه
وترى يد الأحزان حول بنانه
يشكو الزمان لنا فيالك يافعا
باتت بمهجته هموم زمانه
ولتعلم إذا السنون تتابعت
أن التشكي كان قبل أوانه

حقا (كان التشكي قبل أوانه) وكانت المأساة في حياة العاصي من العنف والقوة بما لا يتلاءم مع سنه التي كان ينبغي للأزمة أن تلعب فيها دورا ، ولكن صدق الشاعر وقلة حيلته قد جعلا منه ضحية لاقتناع عميق بعدم جدوى الحياة .

رجاء النقاش

العدد القادم

رجاء النقاش
يرد على
الدكتور المحتسب
والدكتور يحيى الجمل

د. عبد الواحد لؤلؤة

ت. س. اليوت
والقارئ العربي

- اهتم القارئ العربي بالشعر الأوروبي .. بدءاً بالشعر الفرنسي
- دراسات يتميز أغلبها بالنزعة الصحفية والتعليقات العابرة
- الأدباء الذين توافروا على دراسة الأدب الانجليزي جاءوا متأخرين



أحسب أن معرفة القارئ العربي ، والأديب العربي عموماً ، بالشاعر الانكليزي ت. س. اليوت ترجع إلى أواسط الاربعينات ، وربما بشكل أكثر تحديداً إلى السنوات التي أعقبت الحرب العالمية الثانية . كانت المجلات الأدبية في لبنان ومصر وفلسطين تنشر بعض الترجمات من شعر اليوت بأقلام أدباء عرب تيسر لهم الاطلاع على الشعر الانكليزي بدرجات شتى . منهم من تصدى لترجمة الشعر ، ومنهم من كتب دراسات عجلى من باب التعريف بهذا الشاعر الذي كان يسيطر على المحيط الشعري في انكلترا وأميركا منذ العشرينات حتى وفاته في أول شهور عام ١٩٦٥ .

كان القارئ العربي ، ممن يهتمون بالشعر الأوربي ، قد فتح عينيه على الشعر الفرنسي بخاصة . فوجد في ترجمات أدباء لبنان ومصر نماذج شتى من ذلك الشعر ، تدعمها دراسات يتميز أغلبها بالنزعة الصحفية والتعليقات العابرة ، التي تميل إلى التهويل في التعظيم بتصوير ذلك الشعر الفرنسي بأبدع الصور التي تحلق على الشاعر وشعره صفات قد يعجب لها الشاعر نفسه لو سمع بها ، وتجعل منه ومن شعره مخلوقات لا وجود لها خارج الفردوس قبل أن يهبط منه آدم بسبب من خطيئة حواء .

ولا أحسب أن الشعر الانكليزي أو غيره من آداب أوربا كان له نفس النصيب من التعظيم لدى القارئ العربي . وبعض السبب يعود إلى أن غالبية من درس الأدب في بلادنا قد فعل ذلك عن طريق الثقافة الفرنسية وفي جامعات فرنسا ، سواء في ذلك دراسة الأدب العربي أو الأدب الفرنسي ، على أنه دارسيه في السنوات التي سبقت الحرب العالمية الثانية أو بعدها .

أما الأدباء والدارسون العرب الذين توافروا على دراسة الأدب الانكليزي ، والشعر بخاصة ، فقد جاءوا متأخرين في الزمان . وربما كان الدكتور لويس عوض في مصر من أول من اهتم بالأدب الانكليزي كتابة في المجلات وإجمالاً في الكتب . ففي عام ١٩٤٧ أصدر مجموعة من الشعر بعنوان (بلوتولاند وقصائد أخرى) نجد فيها تأثير الشعر الانكليزي بالغ الوضوح . وفي حدود ذلك التاريخ بدأ الدكتور لويس عوض يتحدث عن (اليوت) والشعر الانكليزي ، وهو الذي درس الأدب الانكليزي في جامعة كمبردج البريطانية في سنوات الحرب الثانية ، واهتم بالشاعر (شلي) بخاصة . وفي أواسط الخمسينات حصل الدكتور لويس عوض على شهادته في الأدب الانكليزي من جامعة برنستون الأميركية ، موسعاً في بحثه السابق عن شلي و (برميثيوس طليقاً) . وصرنا نحن القراء نتابع نشاطه في التعريف بالأدب الانكليزي وغير الانكليزي في العقدين السابقة ، حتى دهمته دروب الحياة مذاهب شتى .

وفي عام ١٩٤٧ صدرت ببيروت مجلة



د. لويس عوض

(شعر) فالتف حولها الشعراء من المتحمسين للتجديد والتحديث . وكان من أعمال المجلة نشر الاهتمام بالشعر الأوربي ترجمة ودراسة . وكان حظ الشعر الانكليزي غير قليل . وفي عام ١٩٥٨ نشرت المجلة (مختارات من شعر إليوت) اشترك في ترجمتها الشعراء أسعد الخيدري ، يوسف الخال ، أدونيس وإبراهيم شكر الله إضافة إلى اثنين من الأدباء الانكليز المهتمين بالأدب العربي . وفي عدد خريف ١٩٥٨ نشرت مجلة (شعر) ترجمة كاملة لقصيدة (الأرض الخراب) صنعها الدكتور لويس عوض ، وقد سبق أن نشرها في مجلة مصرية قبل ذلك . كانت مناسبة نشر هذه الترجمة بعد الترجمة التي نشرتها مختارات مجلة شعر عام ١٩٥٨ . أن الصحف الأدبية في انكلترا نشرت جزءاً من مسودة القصيدة الأولى كما كتبها « إليوت » وأخرى أجراها « باوند » تصحيحاته . لقد ظهر للمهتمين بشعر إليوت أن ثمة مقاطع في (المسودة الأولى لم تظهر في القصيدة عندما نشرت عام ١٩٢٢ . لقد اختلف النقاد حول أهمية تلك المقاطع المحذوفة ، وتميل الآراء عموماً أنها أقل أهمية مما نشر فعلاً . وأن القصيدة قد كسبت كثيراً بعد حذف تلك المقاطع وبعد التغييرات التي أجراها « باوند » ، فاستحق من « إليوت » اعترافاً بالجميل بأن أهدى الشاعر قصيدته إلى « باوند » نعاتاً إياه بعبارة (الصانع الأمهر)

وفي عام ١٩٦٦ أصدرت سلسلة (مواهب الفكر) المصرية عدداً عن إليوت ، صنعه الدكتور فايق متى ، معتمداً على أطروحته للدكتوراه في الأدب الانكليزي ، ورغم أن المؤلف يريدنا أن نعلم أنه حظى بمقابلة إليوت قبل وفاته (الفترة زادت على عشرين دقيقة) فإني أجد هذا الكتاب يترك الكثير خلف حدود الأمنيات ، ويترك القارئ

أحمد سعيد (أدونيس)

المتعطش على عطشه لمعرفة واضحة سليمة عن (إليوت) الشاعر الناقد . وهو إلى ذلك كتاب لا يخلو من (الهنات) — أن شئت تلطيف العبارة — ولكنه يبقى (جهداً) يكسب صاحبه (ثواباً) واحداً ، لأنه لو كان غير ذلك ، لكان له (ثوابان) .

وعلى النقيض من كتاب الدكتور فايق متى يأتي كتاب المرحوم توفيق صايغ الذي أصدره قبل وفاته بقليل عام ١٩٧٧ ويشاء أن يقدم الكتاب ترجمة الرباعيات الأربع (التي عرفها من شعر إليوت) ، وكان الترجمة ... الطويلة التي ... تستغرق ... الشعر والشاعر ... التراث ... من شعر ترجمة الرباعيات في مجلة (أصوات) التي كانت تصدرها مطبعة جامعة لندن بين ١٩٦١ — ١٩٦٣ — وقد ظهرت على التوالي في الأعداد ٥ ، ٦ ، ٧ ثم ألحقها في العدد الثامن بدراسة تحليلية تقدم للرباعيات وتشرح للقارئ ما استغلق فيه ، وهو كثير ، في هذا الشعر الذي أتعب الأذهان خاصة المثقفين والنقاد في لغته الأصلية . وبذلك يكون توفيق صايغ قد ساهم مساهمة أصيلة في تعريف القارئ العربي بجانب صعب من جوانب شعر هذا الشاعر الصعب على أبناء لغته بالذات ، فكيف بالقارئ العربي ؟

وجه الصعوبة

ترى أين وجه الصعوبة في شعر إليوت ؟ الجواب السهل ، على سذاجته ، أن نقول إنه شعر شاعر عميق الثقافة واسعها ، كتب لخاصة المثقفين من قراء الشعر . وأين هم خاصة المثقفين من قراء الشعر ؟ في الغرب ، بعد الحرب العالمية الأولى ، كان القارئ عموماً يميل إلى (السهل) في الشعر والمسرح والرواية ، وإلى ما ينسيه ويلات الحرب وعقابيلها في مجتمع تهاوت فيه

عروش وامبراطوريات ، وشاعت فيه فلسفات وسياسات وأنظمة تريد إعادة النظر في الدين والمجتمع والاقتصاد والسياسة

وهذا شاعر جمع الجد من أطرافه ، ولد عام ١٨٨٨ في بيت علم ودين في سانت لويس بولاية ميزوري من ولايات الجنوب الأمريكي تواقر على الدرس في جامعتها التي أسسها جده لأبيه ، ثم انتقل إلى أقصى الشمال الشرقي ليدرس في جامعة (هارفرد) أول وأعرق جامعات أمريكا . هناك انقطع إلى دراسة الفلسفة والآداب القديمة واللغات هناك تلمذ لشيوخ العلم والمعرفة والفلسفة وعلم النفس والآداب القديمة . ثم ذهب في عام ١٩١٠ ليقضي سنة في (السوربون) ويعيش حياة الأدب والفن في باريس ، ويشهد تفتح العديد من الظواهر الأدبية والفنية والفلسفية ، وباريس يومها قبلة كل أديب وفنان وعاشق . ثم يعود إلى (هارفرد) ليتم دراساته العليا في المنطق والفلسفة ، ثم ليقوم بالتدريس في قسم الفلسفة حتى عشية الحرب العالمية الأولى فيذهب لقضاء صيف في ألمانيا دارساً باحثاً متأملاً ، ومن ألمانيا يذهب لقضاء سنة دراسية مع الفلسفة الاغريقية في كلية (ميرتون) إحدى كليات أقدم الجامعات البريطانية : أكسفورد . ومن هنا يبدأ بنشر الدراسات في الآداب والفلسفة في أهم الدوريات والمجلات الأدبية . وفي عام ١٩١٥ ينشر أولى قصائده (أغنية العاشق ج . ألفريد بروفروك) في مجلة (شعر) التي كانت تصدرها في أمريكا الشاعرة (هارييت مونرو) ، ومنذ ذلك التاريخ توالت قصائده المنشورة إلى جانب أبحاثه العديدة . وفي عام ١٩٢٢ تسلم تحرير مجلة أدبية (المعيار) حتى الحرب العالمية الثانية . وفي العام الدراسي ١٩٣٢ — ١٩٣٣ كرمته جامعته بتعيينه لكرسي (أستاذ الشعر) في هارفرد . وهي نعمة لا يلقاها إلا الذين اشتهروا . في العام ١٩٤٧ حصل على (وسام الاستحقاق) البريطاني ثم في عام ١٩٥٧ حصل على جائزة نوبل في الآداب ، وبقي شاعر الشعراء يكتب المسرح وفي التصوف حتى توفي في ١٩٦٥/١/٤ ، بعد أسبوع من وفاة عاشقه العربي : بدر شاكر السياب

والشعر الانكليزي كان قد مات بموت

نافذة على الأدب العالمي

الملكة فكتوريا عام ١٩٠١ . وإن شئت فقل بموت شاعرها تنيسون . كانت الحقبة التي سبقت الحرب العالمية الأولى قد أصابها الذبول من شعر الرومانسيين الكبار الذين انتهوا بموت زعيمهم وردزورث عام ١٨٥٠ . وكان الشعر الذي أعطى الرومانسيين يصدر عنهم في روائعه ، ولكنه في نهاياته صار يرزح تحت تأثير كتابين أحدثا خلخلة كبرى في الجذور ، صدرا عام ١٨٥٩ هما (رباعيات عمر الخيام) بترجمة ادوارد فتزجيرالد ، و (أصل الأنواع) الذي وضعه تشارلس داروين .

بمعنى من المعاني ، كان الكتابان ، على غير قصد ، يقودان الى نهاية واحدة : ضرورة اعادة النظر فيما نعلم ، ولنبدأ بالمسائل (البسيطة) مثل : خلق الانسان ، بداية الحياة ، الحياة بعد الموت ، ما تقوله الاناجيل لحضارة الغرب الأوربي ، وباختصار ما عرفه الأولون ، وما ورثنا عنهم من علم وصلوه إليه بالخرافة والخطأ والطرق الوعرة ، حتى خلفوه لنا تراثاً في المعرفة البشرية .

ولا ادرك الانسان الأوربي أن هذه المسائل غير بسيطة ، وأن الاحاطة بها تقتضي معرفة لغات عدة ، وتواريخ عدة ، وفلسفات عدة ، لا تتسع لها (ثلاثة عشريات وعشر) من السنوات حددها الكتاب المقدس لبقاء الانسان على هذه الأرض ، لم يجد الانسان – الشاعر أمامه سوى أحد طريقين : إما أن يستسلم لليأس والشكوك فيصير تنيسون أو هاوسمن ، أو أن يستسلم النسيان ويتجاهل الأمر بنوبة يعينه على ذلك حكمة النادل يرفعها الخيام في كأس مترعة ، تحيل الى العقل بدون استئذان . بين تنيسون وهاوسمن كان يقف شاعر ناقد مفكر اسمه ماثيو ارنولد ، هذا الرجل الذي يتنفس بين جدران الحجارة السوداء التي تحيط مكتبات اكسفورد وإزاء نور الفسق الكابي الذي يشع في تلك المكتبات طيلة أيام السنة ، راح أرنولد يدرس الفلسفات والآداب القديمة بعدد من اللغات القديمة والحديثة ، وطلع علينا يقول : إن على الناقد والشاعر أن يحمل في اهابه (أفضل ما فكر به الشعراء وكتبوه في العالم منذ أيام هوميروس الى الوقت الحاضر) . مثل أرنولد مخلصاً لهذا الرأي في ما كتب



ت . س . اليوت

من شعر ونقد ومقدمات لمجموعات شعرية ودراسات ، فكنت ترى مقتطفات من كتاب شتى [illegible]

[illegible]

في عام ١٨٨٨ [illegible] اليوت وحده [illegible] الوشائج بين الرجلين ، فاضافة الى ما سبق الحديث عنه من اهتمام بالثقافة بمعناها الأوسع عند الرجلين ، نجد اليوت يطلب العلم ولو في باريس أو اكسفورد ، وبلدان شتى ولو كانت السنسكريتية . وبعده يقول في واحدة من أهم كتاباته النقدية المبكرة (التراث والموهبة الفردية) أن (الحس التاريخي لا محيص عنه لكل من يريد أن يبقى شاعراً بعد الخامسة والعشرين من العمر) وأن هذا (الحس التاريخي يرغم المرء أن يكتب وهو لا يحس بوجود جيله بكامله يسكن في عظامه ، بل أن يحس أن أدب أوربا برمته منذ هوميروس ومعه أدب بلاده برمته يتفقان معاً ويشكلان نظاماً في آن معاً) .

هذا الكلام وكأنه يكون صادراً عن ماثيو أرنولد نفسه . ولكن اليوت ، مثل أرنولد ، بقي مخلصاً لهذا الرأي في كل ما كتب من شعر ونقد . خذ الشعر ابتداء من (أغنية العشق ج . ألفريد بروفروك) عام ١٩١٥ وعلى التداد الخمسين سنة بعدها ، وفي النقد من مجموعة (الغابة المقدسة) عام ١٩٢٠ الى حدود آخر مقابلة أجريت له في هيئة الاذاعة البريطانية (نشرت بالعربية في مجلة حوار عدد ١٥ آذار ١٩٦٥) .

هل من الضروري أن يكون قارىء الشعر محيطاً بكل المسائل الثقافية أو ببعضها كي يجد المتعة أو الفائدة في ما يقرأ من شعر ؟ يكون الجواب بالايجاب إذا كان القارىء جاداً ، وإذا لم يكن مطوياً من الشعر أن (يهزك عند سماعه) . وفي الواقع فإن شعر اليوت قد أثار وما زال يثير الكثير من التساؤلات والاستنكارات منذ أول عهده بالصدور وعلى امتداد أجيال من القراء والمهتمين بالشعر في النصف الثاني الأخير في العالم الناطق بالانكليزية . فليس من السهل أن تطلب من قارىء متوسط الذكاء والثقافة فصاعداً أن يحيط بإشارات الى ٣٥ كاتباً وكتاباً يوردها اليوت في قصيدته الكبرى (الأرض اليباب) . كما ليس من السهل أن تطلب من مثل هذا القارىء مهما كان مخلصاً في اهتمامه بالشعر ، أن يفهم اشارات بست لغات غير الانكليزية يوردها الشاعر في النص الأصلي ، وإذا أضاف شروحاً أو تعليقات كانت لا تشفي الغل الصدي . ويكون العذر أقبح من الذنب إذا طلبنا من القارىء أن يدرك أن هذا الشعر للخاصة ، وأنه إذا لم يستطع الاحاطة به فليدعه لمن يستطيع . هذا الموقف المتعالي قد لا يوجد من عبر عنه صراحة بين الكتاب العرب ، ولكني أشعر أنه لم يغب عن عبرة من كتبوا عن اليوت ، على قلة عددهم .

نظرة أولى

مثل هذه الافكار كانت تدور في ذهني شخصياً منذ أن بدأت في دراسة اليوت قبل حوالي عشرين سنة . وما زلت أذكر يوم قرأت تقريراً من خمس صفحات أمام زملائي في حلقة دراسية ، كنت أنا الطالب الأجنبي الوحيد بينهم . كان عنوان التقرير (نظرة أولى في شعر ت . س . اليوت) . وأذكر أنني كنت أعبر عن برم القارىء بكل هذه الاشارات والرموز والاقتباسات التي فاقت ما يوجد في (الفردوس المفقود) وغيرها من شعر ملتون . لقد أطلقت أحكاماً حسبت أن الاستاذ الشيخ الودود سيحاسبني عليها ، وأن زملائي الذين لا يعرف أغلبهم غير لغتهم الانكليزية سيطبقون على هذا العربي الذي جاء الى بلادهم يحاسبهم على

تجاوزات أكبر شعرائهم ، ويأخذ عليه هذه العقلانية والتقعر والشطط عن جادة الشعر الغنائي الطيب الأنيس .

ولكن المفاجأة جاءتني في تعقيب الاستاذ الشيخ الودود : لا عليك يا بني . فنحن أبناء اللغة نفسها والحضارة نفسها نرى ما ترى . ولكن القليل منا يملك ما تملكه أنت من صراحة في القول ، وحسبك انك أزلت غشاوة من ريائنا وادعائنا اننا نفهم ما نقرأ .

اذا كان الحال كذلك بين المتخصصين في دراسة الشعر الانكليزي في جامعة ورثت (أفضل ما فكر به الشعراء وكتبوه في العالم منذ أيام هوميروس الى الوقت الحاضر) فكيف يكون الحال في بلادنا العربية ، حيث تبلغ نسبة الأمية بين المثقفين درجة مضحكة ؟ لنكن صريحين ونسأل انفسنا في صراحة ترقى الى منزلة الوقاحة : كم من شعرائنا يقرأ بلغة غير لغته ؟

واذا كان بعض شعرائنا يقرأ بلغة أجنبية واحدة ، ترى كم منهم يقرأ لغتين ؟ هل ثمة من يقرأ بثلاث لغات الى جانب العربية ؟ لنتذكر ارنولد واليوت ؟ هذا أكاد ألمح طيف جواب يحاول النهوض على شكل سؤال ملاذا عن الترجمة ؟

لا بأس . وأنا بدوري أسأل : متى بدأت الترجمة الجادة في بلادنا العربية ؟ هل أتاك حديث ذلك المترجم المشهور من بلد عربي كبير لم يعجبه فصل في رواية كان يترجمها الى العربية ، فحذف الفصل برمته ، وكسر رجل البطل وأدخله المستشفى ، واختلق (قصة غرام) مع الممرضة لينتهي بالرواية نهاية سعيدة ؟ أم هل أتاك حديث الوراقين في عاصمة عربية متحضرة كانوا (يفسخون) الكتاب الى (ملزمات) يفرقونها على بعض من طلبة الجامعة ، وفي غضون أسابيع (تستوي الطبخة) ويصدر الكتاب مترجماً بغلاف ملون عليه صورة في (مطابقة المقام لمقتضى الحال مع بلاغته) ؟ وماذا تقول عن امرىء يترجم الى العربية كتاباً روسياً عن الترجمة الفرنسية ، ويقول انه (طابقه على الأصل) ثم ماذا تقول عن امرىء يدعي انه يترجم عن اللاتينية كتاباً لم تبق لغة أوربية لم تترجمه ، ومعرفة ذلك المترجم باللاتينية لا تزيد عن (سنة ثانية جامعة) ؟

أرجو الا يتصور القارىء انني لا أجد في

● لا عليك يا بني نحن أبناء اللغة نفسها نرى ما ترى

● الترجمات الدقيقة التي تحترم ملامحة الأديب .. قليل عندنا

بلادنا العربية ترجمة يطلبون الدقة والأمانة . ولكني أقول إن الترجمات الدقيقة الامينة التي تحترم شرف الكلمة وسمعة الأديب (قليل عديدها) ، وقل مع [illegible] أو شئت (إن الكرام قليل) . واذا كنا لا نريد الخروج عن دائرة الشعر وترجمته ، فلعلنا [illegible] الأمر المحاصر الذي يقدمنا [illegible] أن الشعر لا [illegible] ترجمته [illegible] [illegible]

[illegible] في [illegible] ديموقراطية الثقافة وعلى اشاعة المعرفة وعدم تركها حكراً على القلة ممن خدمته الظروف فتوافر على دراسة في خارج بلاده وبلغة غير لغة بلاده . وهذا يعني دور المتعلمين وان شئت فقل دور المثقفين ثقافة غربية . مثل هذا الانسان يستطيع أن يساهم في بناء صرح المعرفة والثقافة في بلادنا شريطة الا يتنكر لجذوره العربية ، وبالضبط أن يتجنب لبس (البرنيطة) بالمقلوب . لقد انتبه الى ذلك جدنا الكبير الآخر ، الطليعة للتوت يوم أسس مدرسة الترجمة ببغداد .

وبعد كل هذا الكلام الذي يشبه اللوم والتقريع ، ولكنه ليس كذلك ، ما الذي فعلته أنا شخصياً حول اليوت منذ بداية اهتمامي به كنموذج للشاعر المثقف الذي أتمنى أن يظهر في بلادنا من يستطيع الوقوف الى جانبه شهرة وأثراً ؟ الذي فعله الداعي لكم يطول العمر بسعة الصبر أنني بدأت افكر جدياً قبل حوالي عشر سنوات بأن أخرج للناس كتاباً تعريبية مقروءة يترجم أهم قصائد اليوت : (الأرض اليباب) شريطة

أن (أعقد) فصلاً عن الشاعر وثقافته وشعره المطلق على تلك القصيدة الكبرى . وكنت أرى ، وما أزال ، أن ترجمة القصيدة وحدها لا تكفي للقارىء العربي الذي ليس (في طوقه) قراءة الأصل واستيعابه ولكنه (في طوق) من يدرس هذا الشعر في لغته الأصلية . ثم ، من الضروري (عقد) فصل آخر يشرح ويفسر جميع الاشارات الواردة في القصيدة لتوضيح ما استغلق منها ، وهو كثير كثير . ولا (مندوحة) كذلك عن تقديم تحليل للقصيدة يستند الى تفسير الاشارات الكثار بعد ارجاعها الى أصولها الخمسة والثلاثين . وبحرية أرجو أن تكون مقروءة كذلك . ووجدت من المستحسن اضافة فصل خامس يستعرض النقد الذي تعرضت له (الأرض اليباب) سلباً وايجاباً ، يكون خاتمة الكتاب .

عشر سنوات ؟ نعم ؛ لأنني كنت عالقاً بين التردد والاحجام . التردد : لأن عملاً مثل هذا يتطلب مشقة ليست (في مقدوري) ، والعبء أن يقوم به من هو أقدر مني عليه . والاحجام : لأنني كنت أحسب أن بعض عمالقة الكتاب العرب لا بد وأن قام بمثل هذا العمل ولكنني أجهل الفاعل ، ولكنه يجب أن يكون موجوداً في بلد عربي لا تصلني منه مجلات أو كتب أو رسائل ، لأن هذه تنقلها الابل عبر الفيافي والقفار ، وهي معرضة أن تنام في بعض ادراج الكاتب قبل أن تصلني . واذا كان هناك من قام بهذا العمل قبلي ، فلماذا أضيع جهداً يمكن أن أصرفه في مجال آخر ؟

ويبدو أن هناك من فعل هذه الفعلة ، والا فما معنى هذه الأحاديث هنا وهناك بأقلام الشعراء والمتأدبين في حديثهم عن اليوت حديث العارف ؟

المهم انني خرجت من حلقة التردد والاحجام وشرعت في كتابة هذا الكتاب على الشكل الذي كنت أتخيله طيلة هذه السنوات وقد (أخذت علماً) بالأعمال السابقة وسجلت ملاحظاتي عليها ومآخذي على بعضها في محاولة لتبرير إخراج مثل هذا الكتاب للناس . وأحسب انه (سيصدر قريباً) ولكن لا داعي لأن (تحجز نسختك من الآن) يا (أنت ، أيها القارىء المرائي ! ــ يا شبيهي ! ــ يا أخي !)

د. عبد الواحد لؤلؤة

أقوال

فتحي سعيد



١ ـ سل دموع النهر

قال : غض البصر
فعيناك تصلان شفا الحجر
تسلقتا كل شيء عبر ..

●●

فقلت أحاوره .. لن يهون
جدار لنا .. حط وجه القمر
عليه .. وسالت عيون المطر ؟

●●

لا أشد النظر
لغير التي في ضلوع الوتر
تداعبني من وراء السكون
رماني بها .. ورماها .. وفي
أطاردها في شفاف الظنون
واجذبها من ضمير السحر
واشربها في رحيق المتون
ويشربني من دمي المعتصر
واسكبها عليها مرة ..
تدفق ملء عروق المشي ..

●●

فما ضر جاري ألا يكون
على الباب .. بعض غصون الشجر
فعيناي ستر
من الجين .. ولين

●●

سل دموع النهر !

٢ ـ قـــول جميـــل ..

قيل إن القليل
يداوي به كل قلب عليل
أي كيل الكيـــل
إذا كان للشعر قصد السبيل ؟

●●●

حين طـــال المسير
سألت : الذي جئته استجير
أي كاس أدير ؟
أداوي به صدع قلب كسير ؟!

وأين العسير
وأين اليسير ؟
وماذا منقك خلف المصير ؟!

●●●

قال لي : وهو نحوي يميل
قاطعا رحلة ألف ميل وميل
تزود بما شئت قبل الرحيل
ومل بالصغير ..
وكل بالكبير
فإني علمت بأن الكثير
يعين على هم ليل طويل !

●●●

قلت : ما المستحيل ؟
وأي الثلاثة يشفي الغليل
قال قولا جميلا :
الهوى والجوى ودوام الخليل

٣ ـ المـــأدبة

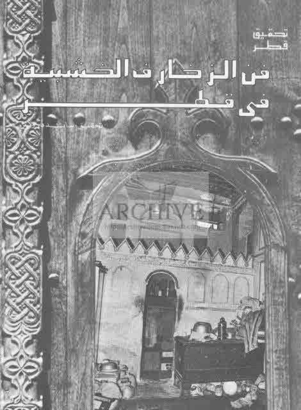
تكاثروا .. تكاثروا ..
إني أرى الرؤوس أينعت ..
وازهر القطاف
وابصر النجوم في طوالع العراف
السيف .. يا غلام .. والسياف ..

●

تقاطروا تقاطروا ..
من كل فج فوق كل ضامر خفاف
وراء هودج العروس ليلة الزفاف
الدف يا عذراء والسلاف ..

●

تكاثروا تكاثروا
تقاطروا تقاطروا
قد صفت الصحاف
ومدت الموائد النظاف
فلتطعموا من بعد سبعة عجاف
الحور والولدان .. والأحفاد والأسلاف
الضان والثريد والصحور والأرداف
وليمة لكم ..
وحسبنا الأصداف !


تحقيق
قطر
فن الزخارف الخشبية
في قطر



● لما وجد الإنسان القطري في البحر مكاناً لكسب الرزق تعامل مع الأخشاب المتوفرة كجذوع الأشجار وسعف النخيل، ليصنع منها السفن لركوب البحر



تعامل الانسان القطري في الماضي مع جميع الخامات الطبيعية المتوفرة في البيئة ، من أجل تلبية احتياجاته، فالطين والحصى مثلاً استخدمهما في بناء مسكن يأوي زوجته وأولاده ويرجع اليه بعد تعب النهار .

ولما وجد في البحر مكاناً لكسب الرزق ، تعامل مع الاخشاب المتوفرة كجذوع الاشجار وسعف النخيل ليصنع منها السفن لركوب البحر . وبعد ركوبه البحر وانتقاله من بلد الى آخر ، ووصوله الى الهند وغيرها من الدول المجاورة استطاع أن يتعرف على أنواع كثيرة من الاخشاب الجيدة التي أحضر منها الى قطر لصناعة السفن المتوسطة والكبيرة .

ومما لا شك فيه أن القلافة (صناعة السفن) التي تحدثنا عنها في العدد قبل الماضي ، كان لها أثر كبير ومباشر في جميع مظاهر الحياة في دولة قطر ، فازدهرت هذه المظاهر وخاصة تجارة اللؤلؤ ، مما كان له أثره الكبير على تحسين الظروف المعيشية للمواطنين ، وبالتالي الى التطلع لتحقيق بعض الكماليات في وسائل معيشتهم .

والقلافة بعلاقتها التي صقلت على مر الأيام مع أنواع الخشب المتعددة، اتاحت الفرصة أمام النجارين لاحتراف الفنون الدقيقة في صناعتهم وبصفة عامة فيما يتعلق بالأبواب والنوافذ والمرازيم والرفاعة والصندوق ، مما يعكس عليها جمالاً وروعة في التنفيذ النابع من داخل الفنان دون حاجة الى رسوم أو تصاميم .

تجارة الأخشاب

ولقد لعبت موانئ البصرة والبحرين وعمان دوراً هاماً كحلقة وصل تجارية بين جنوب شرق آسيا وشرق افريقيا من ناحية والخليج العربي من ناحية ثانية ، وبصفة خاصة فيما يتعلق بتجارة الاخشاب .

وكان الساحل الشرقي لدولة قطر الذي يطل على تلك المناطق هو الذي ترتكز فيه مناطق رسو السفن ، فكانت الدوحة والخور والرويس والوكرة هي أهم الموانئ التي تستقبل سفن التجارة بصفة عامة ومن بينها سفن الاخشاب .

ولابد من الاشارة هنا الى أن تجار الاخشاب في الماضي وحتى خمسين سنة مضت ، كانوا يسيطرون على التجارة بصفة عامة .. فكانوا يجمعون بين تجارة الاخشاب وتجارة الاغذية والادوات المختلفة ، وكانوا يستخدمون « العمارة » لترويج بضائعهم ، (والعمارة مستودع كبير يجمع بين الاخشاب والاغذية والادوات في آن واحد) . ولعل مستودع العم محمد المال ، الذي كان من أشهر تجار الاخشاب ، يقوم شاهداً على ذلك حتى يومنا هذا .

أنواع الخشب

والاخشاب التي كانت تستوردها قطر تتفاوت بين الرخيصة والثمينة فكانت الانواع الرخيصة تستخدم في الاغراض العامة .. بينما تستخدم الانواع الثمينة مثل الساج والسيسم والدنجل والفيني والبنطيج والبمبو والبابي وغيرها في صناعة السفن والادوات الحيوية في المجتمع .

أما بالنسبة للاخشاب المحلية فانها قليلة ، لقلة الامطار التي تهطل على





قطر ، ولعل اهم هذه الانواع هو خشب البدر الـذي كان في الماضي يكفي لسد حاجة البلاد من الوقود .

ويتربع خشب الساي الذي يجلبونه بصفة خاصة من زنجبار ، على قائمة أجود الاخشاب التي استخدمت في قطر والخليج العربي وذلك لصلابته وتماسكها بحيث لا تسمح ببرور الماء من خلالها ، وخاصة عندما تتشبع بالرطوبة فتنغلق مساماتها وتصبح قوية جدا ومرنة في نفس الوقت .

ويستخدم هذا الخشب في صناعة السفن وأبواب المنازل الخشبية التي سنتحدث عنها فيما بعد .

الادوات المستخدمة

لقد بدأ النجار يمارس مهنته بأدوات غاية في البساطة صنعها بنفسه أو بواسطة الحداد .. مثل المطرقة والجدوم والمقدح والمنشار والجلجلة (لخلع المسامير) .

وهذه الادوات كان يتقن في صناعتها ، ويطبع عليها النقوش الجميلة حتى ان هذه الادوات كانت تتوارث لمدة أجيال .

ولقد بلغ اهتمامهم بأدواتهم وتصنيعها حتى انهم عرفوا حديد الانواس وطريقة تسقيه .. وهي الطريقة التي تتبع الآن في مصانع الحديد والصلب .. وقد كانوا يسنون أدواتهم بواسطة نوع خاص من الحجارة يجلبونه من جزيرة خارك حتى الملمس ولونه يميل الى الخضرة .

ومع تطور المهنة تطورت أدواتها ، فاستخدمت « الرندة » وهي أداة لتنعيم ملمس الخشب ، وكذلك « الطرمة » لمغرز اطراف الخشب وتثبيته بدون مسامير ، ثم « الكمتي » وله نفس وظيفة الطرمة ولكنه يستخدم في صناعة الادوات الاكثر دقة . أما « المقبض » فيستخدمه النجار لعمل الزخارف الخشبية . وكانوا يستخدمون نوعين من المثقب « .. » الولايتي » وهو من الهند ، « والمريس » وهو مصنوع في قطر ويتميز بالقوة والصلابة بحيث يستطيع كسر « فلس المسمار » أي رأس المسمار .

الابواب الخشبية

لقد كان النجار في الماضي يصنع جميع أدوات المنزل من الخشب فكان يصنع الابواب والنوافذ والمرازم والرفاعة والصندوق البيتي ، وحتى

تحقيق
قطر

الاطباق والملاعق كانت تصنع من الخشب .

ولقـد كانت الابواب هي أكثر الاشياء التي اشتهر بصناعتها النجار لما كان يضيفه عليها من زخارف اسلامية بديعة .

والباب الكبير كان يدل على أن أصحاب المنزل يعيشون في بحبوحة من العيش .. وكان يتكون من قطعتين تسمى كل قطعة « صفاقة » .

أما متوسطو الحال فكانت أبوابهم صغيرة ، وفي بعض الاحيـان كان الباب في الماضي يتكون من جذع نخلة يستند الى صخرة توضع خلفه .

ولقـد ساعد على تطـور هذه الصناعة ازدهار تجارة اللؤلؤ ، حيث تمول الناس العطاء مما دفع النجار الى استخدام أحسن أنواع الاخشاب وتزيينها بأبدع اللوحات الفنيـة النابعة من أعماق أحاسيسه الفنيـة الاصيلة . وأهم الاجزاء التي يتكون منها الباب عادة هي الاطار الخارجي والصفاقة وأنف الباب والمزلاج .

والصفاقة هي درفة البـاب .. وقديما كان لجميع الابواب صفاقتان، أما الآن فنجد معظم الابواب بصفاقة واحـدة . ثم المزلاج وهو قطعـة الخشب يثبت بها الباب بعد اغلاقه ، وتطور المزلاج حين تدخل في صناعته الحداد ، فأصبح يصنع من الحديد . أما عن أنف الباب فهي قطعة الخشب التي تفصل بين الصفاقتين وتثبت في احداهما وتترك الاخرى لتستند عليها الصفاقة الاخرى عند اغلاق الباب .

الزخرفة الإسلاميـة

لقد جاء موقع البيئة القطـرية وسط مجموعة من التيارات الاسلامية، فمن ايران الى الهند ثم العـراق فعمان . وكان لابد للفنان القطري بدون شك أن يتأثر بما يحيط به من هذه الحضارة الاسلامية العريقة .

ولقـد كانت الزخارف الهنـدسية وزخارف النباتات والازهار تشكل القطاع الرئيسي في الزخرفة الاسلامية والفنان القطري تعامل مع الزخارف الهنـدسية اكثر من غيرها .. وذلك لتأثره ببيئته التي يندر فيها وجود الزخارف النباتية .

والزخارف التي كان يطبعها النجار القطـري على الابواب الخشبية وغيرها ، كانت على علاقة بعلوم الهندسة من حيث المربع الذي كان يرسمه بالمسطرة .. ثم قام بعمل أشكال لا حصر لها من الزخارف الاسلامية الاصيلة .

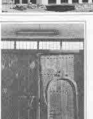
وقد كان على احتمام النجار يتصب من أنه الباب بحيث يبدأ في تقسيمه الى مربعات يشكلها بالمسطرة ثم يكون علاقات متـداخلة بين هذه المربعات بحيث تصبح وحدة زخرفية واحدة .

ثم يأتي بعد ذلك الى زخرفة اطار الباب والصفاقتين الى أن ينتهي من زخرفة جميع أقسام الباب بحيث تكون جميع الزخارف عـلى البـاب من الخارج .

الدرايش .. (النوافـذ)

الدريشه (النافذة) كانت وظيفتها في الفترة الماضية ان تقوم مقـام المراوح والمكيفـات الكهربائيـة وكانت على شكل فتحات في الحائط . ولكن عندما يأتي البرد ، تصـبح الحاجة ملحة الى ما يحول دون دخول البرد والرياح الى داخل المنزل .. فبـدأ النجار في صـناعة النوافذ الخشبية التي تغلق وتفتـح حسب الحاجـة .

ولقـد كانت النوافذ تصـنع بصفاقتين مثل الابواب . ومع تطور التجارة وصلت الزخرفة الى النوافذ، حيث أصبح النجار يقـوم بزخرفة



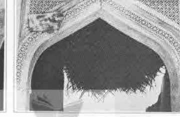
نوافذ المنازل من الخارج أيضا ... وزين الاطار بقطع خشبية مثلثة ثم صنع « الكمر » وهو شكل من أشكال الزخرفة على هيئة قوس خشبي مقسم الى عدة أقسـام ، مستمد من قرص الشمس وأشعتها . وعادة يكون في وسط النافذة .. فاذا ما أضاء المنزل في الليل ، فانها تتشكل من الخارج بطريقة فنية تضـفي على المنزل شكلا يكون غاية في الروعة .

وكانت زخرفة « الكمر » تعتبر شكلا من أشكال الرفاهية والحال الميسور .

المرازيـم

والمرازيم هي عبارة عن مناقـذ لتصريف المـاء تثبت على أطراف سطح المنزل ويطلق عليها في بعض البلاد « المرازيب » . ولقـد كانت هـذه المرازيم تصنع في الماضي من الخشب على شكل مربع خشبي تكون قاعدته المثبتة من ناحية السطح أعرض من الطرف الآخر .

ولوضع هـذه المرازيم لتصريف المياه المتجمعة على أسطح المنازل خوفا من نفاذها من خلال السطح الى داخل المنزل . وكان النجار يعتني بحرفته





جيدا ويطورها باستمرار ، فوضع في طرفي المزراب قطعة خشبية لتصد من اندفاع التيار المائي من فوق السطح حتى لا يجرف معه الطين وينزل الى حائط البيت الخارجي فيشوه طلاءه الذي يكون في العادة ذا لون أبيض .

ولقد تفنن النجار في زخرفة حواشي المزراب بالنقوش الجميلة .. وكان هذا يعتمد على طلب صاحب المنزل ، وسخائه في الدفع .

المرفاعة (الثلاجة القديمة)

لقد كان من اختصاص النجار أيضا صناعة المرفاعة ، وهي عبارة عن قطعة خشبية مربعة تربط من أطرافها بالحبال وتعلق في سقف المنزل .. وكان الغرض من هذه المرفاعة هو أن يحتفظ فوقها ما يريد من الطعام حتى لا تصل اليه الحشرات أو الاوساخ ، ويظل معرضا للهواء مما يحفظه من الفساد .

ولقد اهتم النجار بصناعة المرفاعة وادخال النقوش والزخارف عليها .

الصندوق الخشبي

والصندوق الخشبي الذي تحفظ في الأحياء الشعبية . كان موضع اهتمام الناس في الصندوق الذي يصنعه النجار ، ولا يبخل عليه بالزخارف والنقوش البديعة التي تجعله تحفة فنية توضع في داخل المنزل ولعل المسمار « ذو قبة » من أكثر الوسائل التي استخدمها النجار في زخرفة هذا الصندوق بأشكال فنية بديعة . وقد اشتهرت هذه الصناديق باسم السيسم لأنها في الغالب تصنع من خشب السيسم .

الفن ... أولا

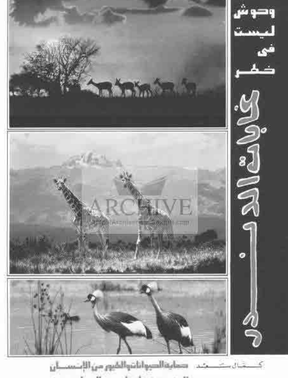
لقد تمكن النجار القطري أن يضع بصماته الفنية الرائعة على جميع الوسائل التي تعامل معها من أبسطها الى أعقدها ، فقد كان يستخدم المطرقة والازميل بعقله وأحاسيسه النابعة من داخله ، فيطبع على قطعة الخشب التي يتعامل معها لوحات فنية رائعة ، تقف الهموم حائرين أمام تفسيرها .

واذا كان الفن يخلق من رغبة الانسان في العيش حياة أفضل من التي يحياها ، فان هذه الظاهرة الفنية البديعة التي عكسها الانسان القطري على انتاجه .. انما جاءت نتيجة طبيعية لتطور الامم الحية والعريقة التي تسعى دائما لتطوير نفسها والوصول الى الافضل .

والنجار القطري ، كان يصاحب طفله في كل رحلة عمل يقوم بها ، فالطفل يتأمل والده ببراءة وذكاء فطري وهبته له البادية . وبعد التأمل تأتي المشاركة فيقوم الطفل ليلبي حاجة والده الى بعض الادوات التي يستخدمها وتكون مبعثرة هنا وهناك . ثم ينتقل الى مرحلة التعليم فيعرف الطفل أسماء هذه الادوات واستخداماتها . ثم تأتي بعد ذلك مرحلة التنفيذ ، حيث يبدأ الطفل في مشاركة والده العمل !

ووسط هذا الجو الطبيعي يولد الفنان القطري ، ليبدأ بعد ذلك بمفرده في ترجمة أحاسيسه الداخلية في أشكال فنية ، عجزت كل أدوات التكنولوجيا عن تقليدها .

لقد بلغ حب الانسان القطري وعشقه واخلاصه لمهنته ، أن آخر ما كان يفكر به هو المردود المادي . ولقد أدى ذلك الى اضافات كبيرة وهامة لصناعة النجارة في قطر .



وحوش ليست في خطر

كنوز العـــالم

كمال سعد

حماية الحيوانات والطيور من الإنسان الذي صنع أسلحة الدمار بيديه!

بصراحة : أنا ضعيف تماما أمام مناطق تجمع الحيوانات البرية في العالم ، ففي مثل تلك المناطق أحس دائما بأنني قد خلعت ثوب الزيف الذي يرتديه إنسان تلك العصر ، وعدت إلى أحضان الطبيعة الأم ، حيث تتبدد غربتي ويضيع سأمي وانطلق في تلقائية مع لحظة من أمتع لحظات العمر .

ولهذا فعندما قطعت ٣١٥ ميلا من الخرطوم في اتجاه الجنوب الشرقي نحو مديرية النيل الأزرق ، وجدت نفسي في أعظم حظائر الحيوانات البرية في أفريقيا .. في حظيرة الدندر ذات المساحة الهائلة التي تصل إلى ٢٤١٧ ميلا مربعا ، وتمتد حدودها شمالا حتى نهر الرهد ، وشرقا حتى الحدود الأثيوبية ، وتتميز بوفرة في الثروة الطبيعية والغابات الكثيفة التي يتخللها نهر الدندر الذي يخترق الحظيرة في جريانه من هضاب أثيوبيا إلى سهول السودان ، حيث يلتقي بالنيل الأزرق داخل الأراضي السودانية ، وهو نهر موسمي في فصل الخريف ، سرعان ما يتحول بعد ذلك إلى برك متقطعة في فصل الجفاف ، إلا أنه جعل الحظيرة تتمتع بالعديد من الصور الطبيعية الساحرة ، فمن حوله الوديان الجميلة الخضراء ، التي اتخذت منها الحيوانات والطيور بيوتا آمنة لا تشعر في أثنائها بأي خوف أو تهديد من طلقات صيادي الوحوش ذوي القلوب المتحجرة !

الطرق المسدودة

وأنسب موعد للوصول إلى حظيرة الدندر هو فصل الجفاف فيما بين شهري ديسمبر ومايو ، حيث تستطيع أن تصل إليها إما بالطريق البري ، بأن تقطع ثماني ساعات إلى محطة القويسي المزودة بمعسكر للراحة ، لتستأنف بعد ذلك بقية الرحلة في ثلاث ساعات .. أو تسافر بالقطار إلى محطة القويسي التي تصلها بعد ١٢ ساعة ، ثم تكمل رحلتك بعد ذلك بالعربات التي تقطع حوالي مائة ميل .. وتستطيع أن تقطع .. أيضا .. الرحلة عن طريق الجو حيث يوجد مطار صغير في معسكر فلفلو تسير عليه الخطوط الجوية السودانية بسفريات منتظمة ، وهذا المعسكر يستوعب مائة زائر وهو مزود بكافة الوسائل التي تشبع هواية زوار هذه الحظيرة النادرة !

وحظيرة الدندر .. كما عرفت .. هي واحدة من ثلاثة حظائر عامة للحيوانات البرية في السودان ، فالحظائر الأخرى هي حظيرة نمولي والحظيرة الجنوبية ، وقد





خصصت تلك الحظائر في السودان لحماية وحفظ الحيوانات غير الأليفة ، وهذا بخلاف دورها في حماية البيئة التي تعيش فيها تلك الحيوانات .. وأيضا دورها في الدراسات العلمية والسياحية والترفيه ودراسة التاريخ الطبيعي !

وكل هذه الحظائر لا دخل لأحد في حياة حيواناتها أو نباتاتها ، فكل شيء هنا .. في حظيرة الدندر .. متروك على حاله كما خلقه الله دون أي تدخل من إنسان أو آلة ، لدرجة أنك .. إذا ما توغلت في قلب الحظيرة

فستفاجئ بأن أشجار الطلح والسنط والهجليج والصفق والعرديب ذات السيقان الطويلة ، قد تشابكت مع بعضها وتكاثفت لتجعلك تقف في بعض المناطق أمام طرق مسدودة بالأشجار !

وهذه الحظيرة لم تنشأ إلا بعد عامين من المؤتمر العالمي الذي إنعقد في لندن عام ١٩٣٣ تحت شعار «حياة الوحوش في خطر» فقد جاء إنشاؤها لحماية الحيوانات من عنف الإنسان الذي لم يكفه ما اخترعه من أسلحة دمار تقتل بني جنسه ، فأصبح يتسابق في إرضاء ذاته وإشباع رغباته المكبوتة بقتل الحيوانات والطيور وهدم الغابات ومحاربة الطبيعة بكل ما فيها من رقة وشاعرية !

إثبات الذات

وفي داخل الحظيرة التقيت ببعض العلماء الذين جاءوا من مناطق متفرقة من العالم بحثا وراء هواية دراسة الحيوانات والطيور !

وقال لي أحدهم إن الإنسان في بداية حياته كان يخاف الطبيعة والحيوانات الموجودة بها ، إلا أنه اليوم يقتل الحيوانات المتوحشة والطيور ويهدم الغابات ويملأ الأرض حفرا بحثا عن المناجم ، وقد يكون السبب في ذلك أن الإنسان يحاول أن يوجه كل جهوده لإثبات ذاته في ذلك العالم الذي وجد فيه منذ جاليليو إلى نيوتن ومن أينشتين إلى فلمنج !

وقلت لهذا العالم : ولكنني أعتقد أن علاقة الإنسان بالطبيعة بدأت تتطور ولم يعد ينظر إليها من باب الاستغلال ، فقد عرف أخيرا مسئوليته إزاءها بعد عندما عرف ما فعله بها ؟

وقال : نعم .. ولكنه لن يستطيع أن يصحح كل الأخطاء التي فعلها ، فبسبب ما فعله انقرضت مئات الحيوانات من الغابة وهناك مئات أخرى مهددة بالانقراض !

وسكت محدثي قليلا ثم عاد يقول : إننا مسئولون عن الحياة فوق الأرض .. علينا أن نوفر الحياة للوحوش البرية تماما كما نوفرها لمجتمع الإنسان ، فنحن في حاجة إلى تقدير وتأمل جمال ومعجزات المخلوقات .. فغذاء خيال الإنسان يأتي من الطبيعة .. الفن يولد من إنفعال الإنسان بالطبيعة ، وحتى لا نقع في اللامبالاة وعدم الإحساس بالعالم كما خلق لا بد أن نوجد دائما رباطا بيننا وبين الطبيعة

وقلت له .. وهذا بالطبع بخلاف أن

لماذا تعدم الطبيعة وهي مصدر غذاء خيال الإنسان ؟

وحوش ليست في خطر



المحافظة على الطبيعة لها أسبابها وأهدافها العلمية لمعرفة كل كائن حي على الأرض .

وقال لي : هذا حقيقي . فالفضول يدفع الانسان إلى معرفة كل شيء ، وعندما سألوا (سالوري) لماذا تريد الوصول إلى قمة الافرست قال لأنها موجودة . وهذا هو الذي دفع أيضا الانسان إلى الوصول إلى القمر وارتياد الفضاء . ورغم أن التكتيك حديث للغاية فإن الدوافع قديمة قدم الانسان . ولذا فعالم الحيوان فوق الأرض يحتاج إلى نفس الجهد الذي بذل تجاه القمر ، فمعارفنا عن الحيوان ما زالت ناقصة ، وما زالت الحيوانات البرية تحدثنا على الطبيعة في افريقيا ، حيث نراها دون قيود وأسلاك مثلما الحال في حدائق الحيوان . نراها وهي تتصرف بتلقائية ودون إحساس بالقيد من حولها في الغابة المفتوحة .

الموضة القاتلة !

ويعطيني أحد العلماء من رواد حظيرة الدندر كتابا يثير اليوم ضجة في أوربا والكتاب بعنوان (عالم الوحوش في خطر) لمؤلفه (آلن جانكز) الذي يتحدث فيه عن ضرورة الحفاظ على الحيوانات والطيور من الانقراض ، بانشاء الحدائق العامة المفتوحة وتوفير الحماية لحيواناتها والبيئة التي تعيش فيها ، وإقامة مراكز أبحاث علمية بها المراقبة الدائمة حتى لا يزيد عدد الحيوانات عن قدرة المنطقة للاستيعاب ، كذا لا بد من توفير المياه الكافية حتى لا تلجأ الحيوانات إلى خارج حدود المنطقة الآمنة والحدود التي تحميها . فكثير من تلك المناطق تصبح جافة مثلما حدث أخيرا في مناطق عديدة بافريقيا وفي كينيا منذ سنتين عاما عندما هربت الزيرا فقتلتها الأسود في نيروبي !

والكتاب يتحدث عن غياب الحراسة والرقابة على تلك الحدائق أحيانا . فكثيرا ما يهجم التجار والصيادون على هذه المناطق ، خاصة إذا كانت الموضة تحتم نوعا معينا من الجلود أو الريش فتكون النتيجة قتل الأفيال أو النعام أو التماسيح أو أي نوع آخر من الحيوانات التي تحتاج لها الموضة ، التي كثيرا ما تكون من ألد أعداء الحيوانات .

ويرى مؤلف ذلك الكتاب أننا نستطيع أن نصنع صاروخا أو طائرة .. أن نشتري تليفزيونا أو آلة لغسل الأطباق .. ولكننا لن

عالم الحيوان فوق الأرض في حاجة لنفس الجهد الذي بذل تجاه القمر !

نستطيع أن نمسح حيوانا إنقرض .. وانه غير معقول الا نترك للأجيال التي سوف تأتي من بعدنا اي فكرة عن حياة الغابة إلا من الكتب .. فالأرض في حاجة إلى اصدقاء لحمايتها بدلا من الأعداء الذين يحطمونها اليوم .. وعلينا ان ننقذ الحياة الطبيعية والا نتركها تختفي حتى لا يأتي اليوم الذي يسألنا فيه احفادنا : ما شكل النمر ؟! .. هل كان هناك شيء إسمه التمساح ؟!

فوقتها سنشعر بالمرارة والندم بعد فوات الأوان .. وسيستيقظ الضمير من داخلنا ليسألنا .. لماذا حطمنا بأيدينا الجمال والطبيعة والمعرفة الانسانية ؟؟

حكم القوى

إن حظيرة الدندر في السودان كغابة مفتوحة من السافانا التي تكثر بها الأشجار الشوكية والحشائش الطويلة .. إستطاعت .. فعلا .. أن تلبي نداءات العالم بالحفاظ على الحيوانات .. بعد أن أصبحت تعج بأنواع كثيرة منها بداية بالأسود والفهود والزراف والنعام والتيتل وأبو عرف .. ونهاية بالأنواع المختلفة من الغزلان والثعالب والجاموس والقرود والسناسير والتماسيح .. وهذا بخلاف الأفيال التي تأتيها من هضاب ومرتفعات اثيوبيا والطيور التي من بينها النسور والصقور الجارحة .

والحظيرة في هذه الأيام ضجة بالنشاط والحركة .. ففي مثل هذه الشهور .. الواقعة من ابريل إلى يونيه .. يأتي فصل التزاوج وفي هذا الفصل يكثر إستعراض الطيور والحيوانات لجمالها وقوتها .. ويسيطر كل طير على منطقة له تكون بمثابة مقاطعة خاصة له .. وهذه المقاطعة لا يسمح للذكور التي من نفس نوعه بدخولها .. فالطائر يدافع عن حدودها في شراسة وقوة .. وعندما يستقر به الامر ويضمن عدم منافسة أي مخلوق له في مقاطعته يبدأ في الغناء لسببين .. أولهما .. لكي ينذر أي طائر تحدثه نفسه بالاقتراب من مقاطعته .. وثانيهما .. لكي يعلن عن نفسه فتعرف الأنثى انه وحيد أعزب يبحث عن شريكة للحياة .. والغناء يكون دائما في أوج قوته عند الفجر وفي لحظات الغروب !

وفي كثير من الطيور تلاحظ ان الذكر يقف في وضع خاص أمام الأنثى التي يبدو وكأنها غير مهتمة به .. ولكنها في النهاية تخضع لاغرائه !

وفي طيور أخرى نجد الذكر يقدم لأنثاه







الطعام بمنقاره حتى يشعرها بحنانه .. أما ذكر النعام فيرقد أمام الأنثى على الأرض فاردا جناحيه كالمروحة ليشعرها بخفته وحيويته وعاطفته الجياشة !

وفي عالم الحيوان والزواحف داخل الحظيرة تشاهد أيضا حركة بالغة في هذا الفصل .. فالثعبان في ذلك الفصل يقف أمام انثاه مثل الفنان العاشق للتمثال أمامه في صمت .. والقرود والسناسير تصيح الثانية إلى أبعد الحدود .. والذكر منها يستحوذ على الاناث وكأنها ملك خاص .. وفي نفس الوقت يحكم على الذكور الضعيفة بأن تقضي حياة العزوبية طوال حياتها !

والجاموس البري الذي له قلب قصير .. إنه شغوف باستحواذ كل افراد عائلته إلى اي مكان يذهب إليه وخاصة في أوقات رعي العشب .. وهو لا يعرف طرق تهذيب الأطفال ومبدؤه أن يتصرف وفق هواه دون مراعاة لشعور الحيوانات التي حوله !

والزرافة الأم تعتني بأطفالها .. وعندما يتخلف واحد منها عن إطاعة الأوامر تلكزه برأسها حتى يستقيم حاله !

أما وحيد القرن فانثاه إذا ما أرادت الرحيل .. فإنها تجعل صغيرها يسير أمامها حرصا منها على سلامته .. وتوجه الأم صغيرها في الطريق عن طريق قرنها الذي تدفعه به في مؤخرته !

ومن الأوامر والتعليمات المتداولة عند القبيلة هو أن تسير النساء والأطفال في المؤخرة .. وعندما يحدث أي خطر للجماعة تندفع الاناث للاحاطة بالصغار لحمايتها ويتقدم الذكور نحو العدو صانعين خطا قتاليا لا يستطيع أي حيوان مفترس مهما كانت قوته أن يجد ثغرة فيه أو نقطة ضعف !

دموع التماسيح

وعندما سألت بعض الاخصائيين في حظيرة الدندر .. لمن تكون الكلمة بعد الحياة الزوجية في الغابة .. هل هي للذكور أم للاناث ؟ .. عرفت أن الذكور هي التي تسيطر في الغالب .. ففي الغزلان مثلا نجد أن الديوك هي التي تسيطر على الاناث .. وفي السناسير والقرود يكون الذكر هو صاحب الكلمة الأولى والأخيرة في اختيار نوع الحياة التي يعيشها مع الأنثى .. أما الأسد فله أربع أو خمس زوجات يعيشن معه !

وسألتهم عن حكاية دموع التماسيح التي يضرب بها المثل .. وعرفت أن التمساح لا

عالم صغير هو السعيد
في دموع التماسيح الغزيرة!



وحوش ليست في خطر

يبكي على فريسته بعد أن يأكلها ، ولكن العلماء يفسرون سبب الدموع بحقيقة تقول أن طائر (القيشر) هو أقرب الأصدقاء للتمساح ، وعندما ينتهي التمساح من الأكل يفتح فمه ليتلقى هذا الطائر ويجمع الفضلات من بين أسنانه .. وكلما طال الوقت الذي يفتح فيه التمساح فمه لينظف الطائر أسنانه كلما كثرت الدموع المنهمرة من عينيه !

وقالوا أيضا أن الأسد هو ملك الغابة بدون منازع ، وأن ضربة واحدة منه كفيلة بأن تحطم الجاموس البري الضخم ويفقد وعيه ، كما أنه يستطيع بمجهود قليل أن يأخذ بين أنيابه غزالا ويقفز به فوق صخرة إرتفاعها عشرة أمتار !

وأكدوا أن أكبر ممثل في الغابة هو الفهد وليس الثعلب ، فهو أمام فريسته ينقلب ويدور حول نفسه على الأرض ، ويقفز بحركات بهلوانية تلفت نظر الفريسة ، وعندما تقترب منه لمشاهدة المشهد يتحول الممثل إلى قاتل عنيف لا يعرف الرحمة !

وقالوا إن صيد الحيوانات أو الطيور ممنوع اليوم في غابة المندر ، وأنه في السنوات القديمة وقبل صدور قوانين الصيد كانت مئات الحيوانات والطيور تهلك بفعل بنادق الصيادين ، ومن قبلها كان الأهالي الرحل يمارسون الصيد بمطاردة الحيوان على صهوات الخيل حتى يخور قواه ، أو يثخنوه بجراح سيوفهم ورماحهم .

ووضحوا لي كيف أن التخريب في المناطق البرية ينشأ من نهب الإنسان وجشعه لاستغلال المصادر الطبيعية ، وينشأ أيضا من عدم الاستخدام الملائم للبيئة والجهل بها ، وأن إنشاء أي حديقة عامة يعني الحفاظ على الحياة البرية كلها .. الماء .. الزرع .. الحيوانات .. الحشرات .. الطيور .. الثدييات .. الزواحف .. فالطبيعة كل لا يتجزأ .

وهناك ١٢٠ حديقة طبيعية بمساحات شاسعة في العالم .. وهذه الحدائق متعة للحيوان وللانسان أيضا !

وأعود بعد تلك الرحلة الممتعة في حظيرة المندر وأنا أحدث نفسي عن الأسباب التي دفعت الملكة حتشبسوت لاقتناء مجموعة حيوانات مختلفة مثل الزراف والنمور والقردة .. وهي نفس الأسباب التي دفعت الملك شرلمان في فرنسا ووليم الكبير وهنري الثالث لحيازة مجموعة من الحيوانات .. وهي نفسها أيضا التي جعلت الاسكندر الأكبر مغرما باقتناء أي حيوان أو طائر يسمع عنه .. فاللقاء المباشر مع الحيوان أو الطائر شيء ضروري وهو متعة ما بعدها متعـــة !

كمال سعد



غزة هاشم

تاريخ وعراقة وفداء

نبيل خالد الآغا

- مات بها هاشم بن عبد مناف ، وولد الإمام الشافعي ، والتصق عمرو بن العاص .
- وإني لمشتاق إلى أرض غزة وإن خانني بعد التفرق كتماني
- قررت الأمم المتحدة عام "١٩٤٩" وضع غزة كأمانة لدى مصر .. ثم ضاعت الأمانة !

مدينة من ابهى المدن الفلسطينية القريعة في احضان الأبيض المتوسط ، عانقها المجد منذ القدم ، تغزل في محاسنها الشعراء ، وهواها الانصار ، وطمع فيها الغزاة والفاتحون ، فعانت الويلات من غزواتهم وحروبهم ، وما برحت تعاني مذلة الاحتلال الصهيوني الذي جثم على انفاسها منذ ما يزيد على اثنى عشر عاما

وقد حظيت غزة بكل هذه الاهتمامات لما تمتاز به من ميزات عدة قلما توفرت في مدينة أخرى .

عراقة المحتد

انها مدينة موغلة في القدم ، وتعتبر من اقدم المدن التي تعرف عليها التاريخ ، اما سبب تسميتها بهذا الاسم فهو غير معروف بدقة ، برغم أن هذا الاسم كان قابلا للتبديل

والتحريف بتبدل الأمم التي صارعتها ، فهي عند العبرانيين (عزة) ، وعند الكنعانيين (هزاتي) ، وعند الفراعنة (غازتو) ، اما الاشوريون واليونانيون فكانوا يطلقون عليها (عزاتي) و (فازا) ، والصليبيون اسموها (غادرز) ، والاتراك لم يغيروا من اسمها العربي (غزة) ، اما الانجليز فيطلقون عليها (جازا)

غزة هاشم
تاريخ وعراقة وفداء

وقد اراد اهلها بعد ظهور الاسلام ان يشرفوها بتسميتها الى جد رسولنا الاعظم هاشم بن عبدمناف الذي مات فيها فاطلقوا عليها (غزة هاشم) ، وما يزال هذا الاسم متداولا حتى اليوم .

وقد اختلف المؤرخون ـ كعادتهم بالنسبة لكثير من المدن القديمة ـ في سبب تسميتها بغزة ، فهناك من يقول انها مشتقة من المنعة والقوة ، وهناك من يقول ان معناها (الثروة) والاخرون يرون بانها تعني (المميزة) او (المختصة) عن غيرها .

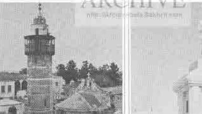
وكما اختلف المؤرخون في سبب تسميتها ، فانهم كذلك مختلفون في بناتها الاول ، فمنهم من يرى ان بناتها الاولين هم اجدادنا الكنعانيون العرب الذين نزحوا من الجزيرة العربية واقاموا بفلسطين والشام في اوائل القرن الثالث قبل الميلاد .

واما البعض الاخر فيرى بان المعينيين العرب هم الذين وضعوا حجر اساسها ، اول من ارتادها من العرب الاوائل يحملون منها واليها البضائع المختلفة . واعلهم اول من اكتشف اهميتها التجارية وموقعها على الطريق الصحراوي الذي يربط مصر بالهند ، ومنذ ذلك العهد البعيد اكتسبت غزة شهرتها التاريخية الاولى .

لقد اعتبر ارباب التجارة غزة (مفتاح الثروة والغنى) ، واعتبرها قادة الجيوش وكبار العسكريين (المخفر الامامي لمصر وافريقية وباب اسيا) ، ولهذا كانت موضع اهتمام الملوك الذين اعتلوا عرش مصر منذ عهود الفراعنة ، وقد احصى المؤرخون اسماء سبع عشرة فرعونا مروا بغزة او فتحوها لانهم كانوا يدركون ان الاستيلاء على غزة معناه السيطرة على طرق الحرب والتجارة بين اسيا وافريقية .

كان شمشون الجبار يهوديا ، ويعتمد الثقة في القوة الجسدية الخارقة ، وقد بطش باكثر من ثلاثين فلسطينيا في اشقلون (عسقلان) ، ونهب املاكهم ، وقد خشي الانتقام فهرب الى غزة ، وهناك تعرف على امرأة غزية تدعى (دليلة) ، فصعد اليها اقطاب الفلسطينيين وقالوا تملقيه ، وانظري بماذا قوته العظيمة ، وبماذا نتمكن منه لكي نوثقه لاذلاله ، فتملقته دليلة وخدعته فكشف شمشون لها عن مكنونات قلبه ، وعرفت ان سر قوته يكمن في قوة شعر رأسه واخبرت دليلة سادة اهلها من الفلسطينيين بهذا السر ، واتفقت على خطة معهم ، فانامته على ركبتيها ، فجاءوا وحصدوا شعر رأسه ، وقلعوا عينيه واوثقوه ، وفي الاصحاح السادس عشر انهم (اوقفوه بين اعمدة المعبد ، وكان مملوءا رجالا ونساء ، وقبض شمشون على العمودين المتوسطين





كيف خدعت دليلة الفلسطينية شمشون اليهودي ، وكانت السبب في هلاكه ؟

وصاح (بي وباعدائي الفلسطينيين ، والتمس فسقط البيت) .

ولقد غضب الاسرائيليون لقتل (قاضي قضاتهم) شمشون الجبار ، وظل صراعهم قائما مع الفلسطينيين الذين قاوموهم مقاومة عنيفة خاصة بعد أن دخلت غزة في حكم بني اسرائيل ايام ملكهم سليمان الذي اعتلى الحكم بعد ابيه داوود عام ٩٦٠ ق.م وبرغم ذلك لم تستسلم غزة لحكمهم ، وقد جاء في كتاب (تاريخ غزة) : ان الحرب كانت سجالا بين الفريقين ، تارة تغلب غزة وطورا تغلب على امرها ، وكثيرا ما كان الغزيون يحملون على بني اسرائيل ، فيسبون أولادهم ، ويبيعونهم لعرب الجنوب سكان ادوم ، وكان هؤلاء يحملونهم الى سكان مصر ، ولا عجب اذا غضب بنو اسرائيل على غزة ، اذ كانوا يعدونها شوكة في حلق مملكتهم ، ولذلك حمل عليها أنبياء بني اسرائيل حملة شعواء ، وراحوا يصبون عليها جام غضبهم ، ويتمنون لها الخراب والدمار .

في عهد الفرس والرومان

كانت غزة تابعة للحكم الفارسي حينما هاجمها الاسكندر المقدوني عام ٣٣٢ ق.م ولقد قاومته غزة مقاومة عنيفة ، وصمدت أمام جحافل المقدونيين شهرين كاملين ، ويقال أن سهما غزيا قد اصابه في ركبته وعلى قول آخر في صدره ، مما أثار حفيظته وعندما تغلب عليها أعمل فيها وفي أهلها التنكيل والتعذيب ، فدمر قلاعها ، وهدم منازلها ، وباع كثيرا من نسائها وأطفالها في أسواق العبيد !

يقول بلوتارخ : لقد كانت غزة أعظم مدينة في بر الشام عندما استولى عليها الاسكندر الاكبر .

ومن ناحية أخرى فلقد افادت غزة كثيرا خلال العهدين اليوناني والروماني ، فلقد ازدهرت فيها آداب اليونان وثقافتهم ، وكان مشهودا لمدارسها بالتفوق خاصة في دراسة الفلسفة والبلاغة والخطابة في قرون الميلاد الأولى ، وكثيرا ما كانت معاهد فارس تستعين بكفاءة المعلمين الغزيين للتدريس فيها .

وعندما نتحدث عن تاريخ غزة في هذه الفترة فلابد من الاشارة بموقف الامبراطور الروماني هادريانوس الذي قهر اليهود ، وشتت جموعهم ، وسبى نساءهم وباعهن في أسواق غزة .

لقد أحب هادريانوس غزة حبا كثيرا ، وقد زارها مرات عدة ، وخلال احدى زياراته عام ١٢٩ ميلادية اسس (عيد غزة الكبير) ووضع مبدأ التقويم الغزي أو الهدرياني

[illegible]

أشبال غزة [illegible]





[illegible]



غزة هاشم
تاريخ وعــراقة وغدا

وبدأ بسنة ٦٠ قبل الميلاد

وفي عهد الرومان أيضا ازدهرت صناعة الفخار والحرير.

.. الفتح الاسلامي

عند أسس العرب غزة وهم يقصدونها في تجارتهم وأسفارهم واعتبارها مركزا مهما لعدد من الطرق التجارية، وكانت تمثل الهدف لاحدى الرحلتين الشهيرتين اللتين وردتا في القرآن الكريم في (سورة قريش) رحلة القرشيين شتاء الى اليمن، ورحلتهم صيفا الى غزة ومشارق الشام. وفي إحدى رحلات الصيف هذه مات هاشم بن عبد مناف جد الرسول المصطفى عليه الصلاة والسلام، ودفن في غزة، وما يزال قبره قائما فيها حتى اليوم وله جامع معروف بجامع السيد هاشم. وقد قال أحمد بن يحيى بن جابر: ان هاشما مات بغزة وله من العمر خمس وعشرون سنة، ورثاه مطرود بن كعب الخزاعي في قصيدة قال في مطلعها

مات الندى بالشام لما ان ثوى
فيه بغزة هـــاشم لا يبعد

وفي غزة أيضا عاش عمر بن الخطاب فترة من الزمن، ويقال انه اثرى فيها عن طريق التجارة. كما أن والد رسولنا الأعظم زارها قبيل وفاته حيث كان يخرج للتجارة. ويقال أيضا أن النبي محمد قد جاء اليها قبيل بعثته المباركة. ويروى أن مصعب بن ثابت قد روى قوله (طوبى لمن سكن احدى العروستين عسقلان وغزة).

يقول شيخ مؤرخي فلسطين المرحوم عارف العارف: (انما يجب أن نعتبر أن غزة كانت على مر الدهور مدينة عربية لا شك في عروبتها. وان الفتح الاسلامي لغزة لم يكن سوى تأييد للفتح العربي الذي سبقه. ولم يكن الجنود المسلمون الذين احتلوها سوى أولئك العرب الذين كانوا يترددون عليها من جميع أنحاء الجزيرة العربية قبل الفتح الاسلامي).

ولقد استطاعت كتائب المسلمين بقيادة ... العاص ... لفتح وجهها العربي عام ٦٣٤ م (٢٣ هـ). ولعله من أسباب فخر غزة بل وفلسطين برمتها أن يكون الامام الشافعي - أحد الائمة الأربعة المجتهدين في الاسلام - فلسطينيا من مواليد غزة. يقول عن نفسه (ولدت بغزة سنة خمسين ومائة، وحملت الى مكة وأنا ابن سنتين. وكانت أمي من الأزد، وغزة من بيت المقدس على ثلاث مراحل) ويروى انه كان يحن دوما الى غزة، فقال معبرا عن هذا الحنين العارف:

وإني لمشتاق الى أرض غـــزة
وإن خانني بعد التفرق كتماني

سقى الله أرضا لو ظفرت بتربها
كحلت بها من شدة الشوق أجفاني

وقد توفي الامام الشافعي رحمه الله عام ٢٠٤ هـ وهو ابن أربع وخمسين سنة، ودفن في مصر، وفي غزة فقدت أمته أسيا وخاتمه التليم عليه.



البرتقال من ... في غزة

رقصة الدبكة الفلسطينية الشعبية



في عهد الصليبيين

لقد احتل الصليبيون غزة عام ١١٤٩ م ، وبعد ثمانية وسبعين عاما تحررت من نيرهم على اثر انتصار المسلمين في معركة حطين الخالدة بقيادة البطل المسلم صلاح الدين الأيوبي.

غير انه وبعد اقل من ثمانين عاما ، وبعد ان اكتسحت جيوش التتار بقيادة هولاكو كثيرا من المناطق القريبة احتلت جحافلهم مدينة غزة عام ١٢٦٠ م ، الا ان القائد المظفر الظاهر بيبرس استطاع ان يحرز النصر عليهم في معركة غزة . وبرغم محدودية هذه المعركة على المستوى العسكري الا ان صداها المعنوي لدى العرب كان رائعا جدا حيث استردوا ثقتهم بانفسهم ، فكان حافزا لانتصارهم الاكبر على التتار في معركة (عين جالوت).

غزة والاحتلال الانجليزي

لم تقف غزة في صراعها مع الغزاة عند هذا الحد ، بل كانت على موعد مع نابليون بونابرت ـ الذي توجه إليها قادما من مصر ـ فاحتلها بتاريخ ٢٥ من فبراير عام ١٧٩٩ م بعد ان حطم بقايا سورها الكبير وهدم اربعة من مساجدها ، وقد كان نابليون يعتبرها (الحفر الاساسي لافريقيا وباب اسيا).

وفي عهد محمد علي توجهت القوات المصرية بقيادة ابنه ابراهيم باشا على رأس جيش تعداده اربعون الف رجل في اتجاه فلسطين وسوريا فاحتل غزة في نهاية عام ١٨٣١ في غير معارك تذكر ، وبعد ثلاثة اعوام تقريبا انسحب منها.

وفي خلال الحرب العالمية الاولى انهزم الانجليز مرتين امام الاتراك في غزة ، وبعد ان اعادوا التنظيم قواتهم شنوا عليهم هجوما ثالثا استمر ستة ايام كاملة ، وقد استطاعت القوات البريطانية ان تحتل غزة صباح ٧ من نوفمبر عام ١٩١٧ بعد ان هزمت الاتراك هزيمة قاسية.

وقد اتخذ الانجليز من غزة عنوة وقسوة دفنوا فيها رفات امواتهم ، ولما حضر اللورد اللنبي فاتح فلسطين لتدشين هذه المقبرة عام ١٩٢٢ قال : (لقد كانت غزة من فجر التاريخ حتى يومنا هذا بوابة الفاتحين).

رجالات من غزة

شهدت غزة مولد عدد من الفقهاء والمؤرخين والوزراء والشعراء ، وعندما هبطها قاضي القضاة ابو اليمن مجير الدين الحنبلي قال عنها في (الانس الجليل) : ان غزة هي من احسن المدن المجاورة لبيت المقدس ، وفيها ولد سيدنا سليمان بن داوود عليهما السلام ، والامام الاعظم محمد بن ادريس الشافعي رضي الله عنهما ، ولو لم يكن لغزة من الفخر إلا مولد النبي سليمان والامام الشافعي بها لكفاها).

ومن الغزيين الشاعر ابراهيم بن عثمان الكلبي الاشهبي ، والعالم الفقيه احمد بن عبد الله العشري الغزي ، وممن اشتهر من مواليد غزة الملك المؤيد احمد بن الملك الاشرف اينال ، وشمس الدين ابو العون

الشعب سيرفض كل الحلول المطروحة اليوم





محمد العزي الفاروقي ، وحاكمها التوفي عام ١٠١٧ هـ أحمد رضوان ، ومن رجالها حسين بلشا مكي ، والمحدث الشهير أحمد المؤقت ، ومحمد باشا أبو مرق ، ومحمد الريس الطبيب الحاذق الواسع الشهرة .

وقد حظيت غزة بثناء من زارها ، ومن زوارها الادريسي عام ١١٥٤ م ، وأبو الفداء في أواخر القرن الثاني عشر ، وابن بطوطة في أواسط القرن الرابع عشر ، والشيخ عبد الغني النابلسي الذي قال ضمن قصيدة له :

سقى الله غزة وابل السحب انئا وجدنا بها ما لا بمصر وجلق
بدورا وغزلانا ومــاء وخضرة وكثبان من رمـل على بحر ازرق
وعندما هبطها العالم مصطفى البعد

قطاع غزة هاشم [illegible]



العلمي عام ١١٤٢ قال :

سر بي الى غزة الفيحاء ان بها رياض زهر تحاكي جنة الخلـــد
مر النسيم عليها والصبا سحــرا يروى حديثا لنا عن ساكني نجــد
فهاجني بلبل الافراح حين شـــدا يلحن معبد فوق الأغصن الملــد

غزة والانتداب البريطاني

منذ عام ١٩١٧ وحتى عام ١٩٤٨ كانت فلسطين برمتها تابعة للانتداب البريطاني ، يديرها مندوب سام عينته بريطانيا ، وكان يساعده مجلسان احدهما استشاري والآخر تنفيذي ، وجميع أعضاء هذين المجلسين بريطانيون يعينون مباشرة من وزارة المستعمرات بلندن . وقد قسم المندوب السامي فلسطين الى ستة ألوية ادارية هي لواء القدس ، لواء حيفا ، لواء الجليل ، لواء السامرة ، لواء اللد ، لواء غزة . ويحكم كل منها نواب هم بريطانيون ، وكانت بريطانيا تسعى لتحقيق ... دولة يهودية على ... وكانت غزة عاصمة اللواء الجنوبي الذي يحمل اسمه ، ويضم ٤٠ قرية وثلاث مدن هي غزة وخان يونس والمجدل .

غزة بعد النكبة الأولى

بعد أن تم اعلان الهدنة بين العرب والصهاينة في جزيرة رودس عام ١٩٤٩ م احتفظت مصر بالشريط الفلسطيني الذي يحاول حدودها كأمانة قومية لديها تديره بمعرفتها ، وهو ما اصطلح على تسميته بقطاع غزة ، يمتد حوالي ٣٧ كم ، ويعرض يبلغ ٦ كم ، ويشمل ثلاث مدن رئيسية هي غزة وخان يونس ورفح وبعض القرى وكنتيجة مباشرة لهذه الحرب التي هزمت فيها سبعة جيوش عربية اكتظ هذا الشريط المحدود بأعداد ضخمة من اللاجئين الموزعين على ثمانية معسكرات كبيرة من أهمها جباليا ، الشاطىء ، البريج ، النصيرات ، ويشكل هذا العدد اكبر كثافة سكانية في العالم نسبة الى رقعة الأرض المحدودة ، التي يقطنها حوالى نصف مليون نسمة ، كما ان مستوى التعليم بها من اكبر المستويات في العالم بالنسبة لعدد السكان حيث يصل الى حوالي ٨٢ بالمائة .

وفي عام ١٩٥٥ شنت القوات الصهيونية عدة غارات مؤثرة على مدينتي غزة وخان يونس ، وعلى اثرها تشكلت اولى التنظيمات الفدائية الفلسطينية بقيادة البطل المصري مصطفى حافظ الذي اغتالته اسرائيل فيما بعد بواسطة طرد بريدي ملغم .

وإبان العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦ وقع قطاع غزة في قبضة الصهاينة ، فكانت فرصة ذهبية اغتنموها للانتقام من أهله ، فارتكبوا مجزرتين رهيبتين سجلهما تاريخ الجريمة العالمي هما مجزرة خان يونس ومجزرة رفح .

ونتيجة للتدخل العالمي تقرر سحب القوات المعتدية من سيناء وبورسعيد وقطاع غزة ، وفي صبيحة انسحابهم كتب أحد الجنود الصهاينة على حائط جامع السنية بخان يونس هذه العبارة : انتظرونا فسوف نرجع مرة أخرى !

واثناء حرب حزيران عام ١٩٦٧ عاد الصهاينة لاحتلال قطاع غزة من جديد !

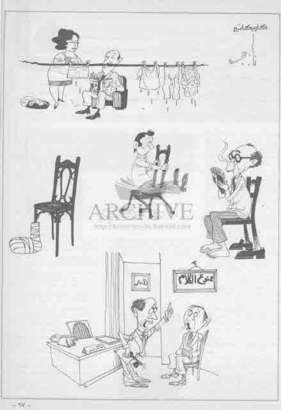
مقاومة الاحتلال

لقد اظهر جيش التحرير الفلسطيني وقوات المقاومة الشعبية بطولات فذة ورائعة خلال وبعد العدوان ، ويكفي دليلا على هذا القول ان القوات الصهيونية لم تكن لتسمح للمدنيين اليهود بدخول القطاع اسوة بالمناطق المحتلة الأخرى ، وكانت تواجه القادمين الى مدينة خان يونس لافتة حديدية ضخمة عليها هذه العبارة : هذه مدينة القتلة .. مدينة السفلة !!

وقد أجمع الصحفيون الأجانب الذين زاروا الوطن المحتل خلال تلك الفترة بأن (الفدائيين يحكمون قطاع غزة ليلا ، واسرائيل تحكمه نهارا) .

ولقد شهد القطاع الباسل عمليات فدائية مشرفة ومكثفة في الفترة من عام ١٩٦٨ وحتى عام ١٩٧٢ ، ولكن حدة هذه العمليات قد خفت بعد حملات القمع الصهيونية الشرسة ، ولأسباب أخرى . والقطاع اليوم يقع تحت قبضة الحكم العسكري الصهيوني مباشرة ، ولم تجر فيه اية انتخابات بلدية مثلما حدث في الضفة الغربية .

ان وطننا العربي الفلسطيني المحتل يرفض هذا الاحتلال الرخيص بكل أشكاله المطروحة على الساحة اليوم ، ولن يرضى بوطن بديل عن فلسطين المحررة المستقلة .


كاريكاتير
ممنوع الكلام



محمد جابر الأنصاري

لمحات ثقافية من الإمارات العربية

الانطباع الذي يخرج به المرء عن الوضع الثقافي العام بدولة الامارات العربية ، هو ان الجو الأدبي والفكري يتميز بالحيوية والتفتح والتنوع ، سواء كان ذلك على صعيد شباب الامارات ومثقفيها انفسهم ، أو على صعيد الاشقاء العرب الآخرين الذين يقيمون ويعملون بالدولة .

غير ان هذا الجو الذي لا يخلو من حوار حي ورغبة في البحث والاطلاع ، لم تتيسر له بشكل كامل - بعد - إمكانات الطبع والنشر، وادوات الاعلام الثقافي المنتظم من صحافة وكتب لتعكس ابعاده وجوانبه . وتشكل صورة حقيقية عنه الى من يرغب في متابعته على صعيد الكلمة المطبوعة أو الذاعة أو المنظورة . وهكذا يمكن القول إن ما يجده المرء من صحافة ومطبوعات لا يعكس بصورة كاملة ابعاد الحركة الادبية والثقافية التي ما تزال تعبر عن نفسها في الحوار بين المثقفين وفي الندوات الادبية والفكرية العامة التي لم تتبلور في كتابات مطبوعة ، او في مجلات ثقافية منتظمة بعد .

وتبدأ عملية اكتشاف الذات والوعي بها من خلال إحياء التراث الأدبي الشعبي . وتتخذ هذه العملية طريقين متكاملين :

١ - ما تقوم به الادارة الثقافية بوزارة الاعلام والثقافة من تحقيق ونشر الشعر الشعبي والتعريف بأعلامه . وقد نشرت هذه الادارة حتى الآن ديوانين . الأول ديوان الشاعر مبارك العقيلي الذي جمعه وحققه فالح حنظل ، والثاني ديوان الشاعر حمد الزري الذي جمعه وشرحه غسان الحسن .

٢ - تكوين لجنة عليا لتدوين التراث الشعبي بالامارات والمنطقة تتبع مركز الوثائق والدراسات . وقد تم بالفعل تدوين شهادات حية لبعض المعمرين عن بعض القضايا التاريخية والتراثية . ومع أن

عملية التدوين تأخذ مجراها . إلا أنها تحتاج الى من يدرس الوثائق المسجلة ويقيمها ويستخرج منها الخلاصات والنتائج التاريخية والأدبية .

روح الماضي في الحاضر

وتستحضر عملية احياء التراث الشعبي سلسلة متصلة من أسماء [illegible] في دبي والشارقة [illegible] والصحافة والسياسة [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] عبد الله صالح المطوع من موجهي الشارقة [illegible] الاربعينيات والخمسينيات وأسهم في الحركة الادبية وفي الحركة الوطنية الديمقراطية في الامارات ايام النضال ضد الاستعمار البريطاني .

ولعل افضل ما يمثل امتداد هذه الروح الفكرية والقومية في الوقت الحاضر الموقف الذي تعكسه مجلة (الازمنة العربية) الاسبوعية التي تصدر في الشارقة .

ذكرت هذه المجلة بالمجلات الوطنية الخليجية الاصيلة التي اصدرها عبد الله الزايد في البحرين وعبد العزيز الرشيد في الكويت . فهي مجلة لا يكتبها صحفيون محترفون ، او كتاب صحافة مهنيون ، وإنما يحررها شباب مثقف من ابناء الامارات يحاولون أن يكون لهم موقف محدد من قضايا الاجتماع والسياسة والفكر . لذلك تعد (الازمنة العربية) ذات نبض متميز بين صحافة الامارات وصحافة الخليج بوجه عام . لانها صوت الاقلام المتجذرة في الساحل وفي البحر وفي عمق الارض الطيبة .

الغيث و السناء :

اما على صعيد الشعر والادب المحلي المعاصر ، فيبرز إسم الدكتور احمد أمين المدني صاحب ديواني (الشرعة وأمواج) و (حصاد السنين) . كما يبرز إسم حبيب يوسف الصايغ المحرر الادبي لجريدة (الاتحاد) ، ومحمد شريف الشيباني امين المكتبة العامة بأبو ظبي ، وهاشم حسين الموسوي ، والباحثة المؤرخة عائشة السيار ، والصحفي القاص محمد ماجد السويدي .

ولا يمكن اصدار احكام نقدية بالنسبة لهذا النتاج الادبي الذي ما يزال في طور النمو والتبلور . وهنا أيضا تبرز الحاجة الى على طبع هذا النتاج ونشره فأغلب من ذكرنا لهم نتاج مخطوط في الشعر أو في القصة ، ولا يمكنهم معرفة مدى انتشار ادبهم ، وطبيعة موقف النقاد منه ، اذا لم يقدموا على نشره . وحبذا لو اهتمت الادارة الثقافية بهذا الأمر ، اهتمامها بنشر الشعر الشعبي .

ربيع الشارقة للثقافة

وعلى صعيد الانشطة الثقافية بصفة عامة ، يبدو أن إمارة الشارقة قد دخلت مرحلة تنظيم هذه الانشطة مما انشأته من مسارح وقاعات للمؤتمرات والمحاضرات

الشيخ سلطان بن محمد القاسمي حاكم الشارقة



● اكتشاف الذات يبدأ من خلال إحياء التراث الأدبي الشعبي
● أعظم مقاومة وطنية جابهها الاستعمار البريطاني في الخليج

الشيخ احمد بن حامد وزير الاعلام والثقافة [illegible]

والدية ثقافية . ويولي الشيخ سلطان بن محمد القاسمي حاكم الشارقة هذه المسألة عنايته الخاصة ، فهو احد ابرز الشباب المثقف في الاتحاد . ولقد سعدت بمقابلته والتحدث إليه اثناء زيارتي للشارقة فأخبرني بأنه

ـ (قد تم تخصيص ربع ميزانية الخطة الإنمائية للمشروعات الثقافية ، ولكن الخدمات الاجتماعية الأخرى استنفدت اثناء تنفيذ الخطة قسماً من مخصصات الثقافة فعملنا وما نزال نعمل على إعادة كفة الميزان كي تنال المشروعات الثقافية حقها الفعلي من الميزانية)

والواقع ان اعطاء الثقافة ربع الميزانية في اية خطة إنمائية يعد ظاهرة غير عادية لذا دفعني الى الاستفسار عن نوعية النشاط الثقافي الذي يهدف إليه ويريد تحقيقه . فحدثني سموه عن مخططه للنهوض بالمسرح ، وعن برامج المواسم الثقافية ومحاضراتها ، وعن فعاليات (المركز الثقافي) الذي اوشك بناؤه على الانتهاء في موقع من احدث الاحياء في مدينة الشارقة . وهذا المركز في الحقيقة معرض لصور الثقافة يتعدد القاعات وتنوع اجنحته .

تجربة فنية :

ثم تطرق الشيخ سلطان الى فكرته لاقامة المشاركة في تذوق الفنون التشكيلية على مستوى مدينة الشارقة كلها . وقال انه يأمل في ايجاد نوع من المتاحف الفني الكبير يأتي الفنانون الخليجيون والعرب والاجانب لممارسة الرسم والنحت فيه ، على طريقة المرسم الحر ، بينما يتاح لهواة الفن وطلابه مشاهدة الفنانين في لحظة الابداع وهم يرسمون وينحتون . فتتحقق بذلك تلك المشاركة المنشودة بين الفنانين والجمهور ويصبح الفن عملية جماعية يرقى من خلالها الجمهور .

ومن خلال هذه التجربة الفنية في الشارقة سيتاح للمدينة الجديدة اكتساب عدد من لوحات الرسم وأعمال النحت لشوارعها وساحاتها وشواطئها ، فيصبح الفن معلماً من معالمها الدائمة .

تراث المسرح :

وفي إشارة اخرى إلى ما تمتاز به الشارقة من وعي قديم وأصالة فنية ووطنية ، اخبرني الشيخ سلطان انه كان بنفسه من هواة المسرح ، وكيف كان يؤلف المسرحية ويخرجها ويمثلها مع رفاقه في المسارح الشعبية التي كانت تقام في أحواش البيوت القديمة خلال الخمسينات والستينات من هذا القرن . وكيف كان ذلك المسرح الشبابي البسيط مسرحاً سياسياً يحرك وعي الجمهور بطرح قضية اغتصاب فلسطين ودور الاستعمار في تحقيق ذلك ، حتى ان المعتمد البريطاني بالشارقة ـ في ذلك الوقت ـ كان يشترى تذكرة ويدخل بين الجمهور لمشاهدة ما يجرى على المسرح ، ومراقبة ما يدور بين شباب المسرح والجمهور الوطني من تفاعل حماسي

هذه الاشارة على بساطتها تعني ان ساحل الامارات العربية لم يطلقه النفط من لا شيء ، وانه كان ساحلاً خصباً بالرجال وبالروح وبالتاريخ .

إن اعظم مقاومة وطنية جابهها الاستعمار البريطاني في الخليج جاءت من ثغور هذا الساحل وجباله ، ومن عشائره ورجاله بقيادة القواسم الذين كان لهم مع الانجليز مواقف لا تنسى .

المبنى .. والمعنى :

هذا الماضي التاريخي الحافل هو الذي يبرر وجود مبنى علمي كمركز الوثائق والدراسات في أبو ظبي اليوم .

ويقع هذا المركز في قصر الحصن ، وهو قصر تاريخي ، قدمته الدولة ليكون مقر مركز الوثائق والدراسات ، فتناسب المبنى مع المعنى .

وعندما يدخل الزائر هذا الحصن ، بعد ان يجتاز الشوارع الحديثة في مدينة ابو ظبي ، يشعر انه قد دخل التاريخ فعلاً ففيه ما يوحي بهدوء التاريخ ووقاره وحبه الحقيقة .

ويضم هذا المركز اليوم أروقة منظمة







تمتد معها الوثائق والمراجع على امتداد البحر. ويستقبلك مديره الدكتور محمد مرسي عبد الله، وهو باحث عربي خبير بواقع المنطقة وتراثها وتاريخها ليكشف لك بتواضع العالم ما تم جمعه من وثائق كانت حتى وقت قريب مقصورة على الباحثين الأجانب ومحصورة في جامعات الغرب ومعاهده.

ولا تقتصر الوثائق على الأرشيف البريطاني عن الخليج، بل تشمل أيضا مجموعات هامة تتناسب مع الوقت من الأرشيف العثماني والأرشيف الفرنسي والأرشيف البرتغالي والأرشيف الألماني، بالمراجع لمحققين ومختصين وباحثين ومختصين في تلك الموضوعات.

هذا المركز يتكامل مع مشروع جامعة الإمارات في العين. فعندما سيبدأ الطلاب بعمل بحوثهم عن تاريخ الخليج لن يضطروا الى الذهاب الى لندن، وباريس، والشبونة، واستنبول، وبومباي لجمع الوثائق لأنها ستكون في انتظارهم جاهزة، مبوبة ومرتبة في قصر الحصن بأبو ظبي.

ويزداد ارتياحك في زيارتك لهذا المركز عندما تعلم أن التعاون العملي قد قطع أشواطا مثمرة بين دولة قطر ودولة الإمارات في حقل جمع الوثائق الخاصة بتاريخ الخليج من مختلف تلك العواصم ذات الصلة، وأن مركزين في كل من الدوحة وأبو ظبي قد وضعا البرامج والخطط المشتركة لتبادل الدعم والخبرة في حقل البحث العلمي الخليجي الموحد.

... وتدوين الفن

وإذا كان البحث العلمي يعيد صياغة تاريخ الساحل بالحقائق العلمية الوثائقية، فإن ريشة الفن الشبابي في الإمارات تعيد صياغة الماضي والتراث بوفاء الفنان لإرث الأجداد.

تتضح هذه المعاني في لوحات فنان الإمارات أحمد عبد الله الأنصاري الذي قدم معرضه الفني الأول للجمهور قبل فترة يسيرة، وافتتحه الشيخ أحمد بن حامد وزير الإعلام والثقافة.

ومن اللوحات التي شاهدناها، يتضح أن هذا الفنان الشاب قد اتجه الى واقع التراث في حياة الإمارات يستمد منه، بنظرة واعية أمينة مع دقائق الماضي، تلك المعالم واللحظات والمشاهد التي تستحق الحفظ والتخليد ليكون الفن صلة الوصل بين الماضي والمستقبل، بدل أن يكون تجريدا منفصلا عن الزمن، أو سوريالية منقطعة عن الواقع.

نظرة الطائر

هذه هي الصورة العامة للوضع الثقافي والفني بدولة الإمارات العربية أجملناها هنا للقارىء بأسلوب (نظرة الطائر) للتعرف الى معالمه وأبوابه ككل... من خلال أبرز المعالم.

ونأمل أن نفصل في مقالات تالية ما أوجزناه من موضوعات وميادين مستقلة بذاتها، تحقيقا لغايتنا في التعريف الموضوعي بالحياة الثقافية في بلدان الخليج والجزيرة العربية.

محمد جابر الأنصاري

العدد القادم

قال كيوبيد فرحا:

أخيرا وجدت عملا!

قصة قصيرة بقلم: زينب صادق



السراب المحنط

الدعوى الزائفة التي تقول ان بعض البلاد العربية لها من اثارها الفيورية قبل العروبة والاسلام ما يمكن ان تستوحيه في حياتها المعاصرة ، دعوى لا نرى لها من محتوى ومعنى غير محتوى الحقد والهدم ، وغير معنى التمسك بالتجزئة التي أوجدها الاستعمار والقائمون المروجون او المختفون وراء الاقنعة .

وقبل الاسترسال في ايضاح مقصدنا نقول : ـ

اذا كانت المسألة مسألة دراسة لتاريخ الحضارات القديمة في منطقة الشرق الأدنى دراسة اكاديمية ، فهذه ناحية مقبولة في حقائقها ونتائجها العلمية الموثقة طالما انها دراسة واقعة في نطاقها الأكاديمي النزيه .

اما ان يظهر لنا دعاة يريدون تعويض عدم التوحيد من فينيقية وفرعونية وقرطاجية الى مذاهب سياسية واحزاب تلغي العصرية تلك دعوى الجاهلية التي رفضها والتي نتهانا عنها قيم العروبة والاسلام اذا كنا مؤمنين حقا ـ لا تظاهرا ـ بهذه القيم .

ومستندنا فيما نقول هو ان تلك الحضارات القديمة حضارات بائدة ميتة لم يبق منها شيء في ضمير الشعب ولا في روحه او قلبه ولا حتى على لسانه .

فلعي متحدى دعاة الفرعونية ـ مثلا ـ ان ينشروا خمس كلمات هيروغليفية ـ لا اكثر ، على لسان الشعب العربي في مصر العربية ، ويجعلوه يتحدث بها ، ان كانوا قادرين . نتحداهم ان ينشروا خمس كلمات فقط (هذا اذا عرفوا هم انفسهم ان يقرؤوها في نقوشها الفيورية) مقابل ذلك الفيض من لسان العرب الذي ينبض به قلب مصر وعقلها قرآنا وحديثا وشعرا وفكرا وحوارا يوميا متصلا حافلا بالحيوية والجمال وروح النكتة البارعة .. واذا كان الشيء بالشيء يذكر فهل يستطيع دعاة الفرعونية مثلا ان يحكوا لنا نكتة مصرية واحدة .. بالهيروغليفي !؟) .

وهل بمستطاع دعاة الفينيقية في لبنان ان ينظموا للمطربة فيروز اغنية واحدة تغنيها في جمال لبنان ذاته باحدى اللهجات الفينيقية البائدة ؟ ام تراهم قادرين على تحويل فكر فيلسوفهم الفينيقي زينون الصوري الى عقيدة مقاومة وصمود تحمي الجنوب اللبناني من التوسع الاسرائيلي ؟ وهل يستطيع دعاة القرطاجية في تونس ان يكتشفوا ادبا قرطاجيا يصلح لمقاومة الفرنسة الثقافية والروحية التي حاولها الاستعمار ؟

وما هو سلاح معركة « التعريب » اليوم لايقاف موجة التفرنس الثقافي ؟ أيتحقق ذلك بادب قرطاجي متحقق ام بثقافة عربية اسلامية صامدة في روح تونس منذ معارك الكفاح السياسي قبل الكفاح الثقافي ؟

ونحن ابرز معك نتحكم على هذه الدعوى الاثرية ما يجعله متحمسا بيغن من ان اجداده اليهود ساهموا في بناء الاهرامات . وجانه يريد ان يتسلل الى تاريخ المنطقة عن طريق نبش الحضارات الميتة وادعاء المشاركة فيها . اليهودية بما لهم من تأثير على علماء الاثريات الاوربيين قادرون على ترويج مثل هذه الاساطير وبيعها .

ولكن هل يستطيع بيغن او غيره الادعاء بان اجداده ساهموا في بناء حضارة الاسلام ؟ وهو يعلم حق العلم ان النبي العربي محمد بدأ تأسيس دولة الاسلام بتصفية الكيان اليهودي في جزيرة العرب تصفية عسكرية حاسمة ..

لقد بعث الاستعمار في زمانه حكاية الحضارات الاثرية لتجزئة العرب ويحاول بيغن اليوم اكمال رسالة الاستعمار بالعودة الى الحكاية ذاتها فالكيان الصهيوني في اصله هو كيان اثري ميت لا يحيا الا باحياء الكيانات الموميائية المشابهة له . وهكذا فالصهيونية حليف طبيعي للفينيقية والفرعونية وامثالهما .

ولكن عبثا يحاولون ... فبالامس القريب حاولوا احياء العصبية الكسروية المجوسية في ايران وتحويلها الى واقع . وكانت المحاولة اخطر بكثير لان ايران كما هو معلوم ليست عربية لغة او سلالة . ولكن ، والمهم ، حولته روح الاسلام السارية في الشعب الايراني المسلم الى سراب والى انقاض .

وها هي ايران تعود الى اسلامها نقية اصيلة وعيونها تتطلع مع اشقائها الفلسطينيين والعرب الى .... القدس .

فالى متى سيبقى بعض العرب المسلمين ينفخون الروح في الموميائات المحنطة ؟

محمد جابر الانصاري

ياشباب العرب

د. صالح الشماع

لكم قدسان كونيان : مكة والمدينة
وقدس ثالث وحرمه الشريف والصخرة
والعقبة وميناؤها وبردى والشام وبلاديها
وفاس والمحيط والجزائر البطلة وشهداؤها
تونس وزيتونها والقيروان ونسماتها
والبحر الأبيض والبحر الأحمر ومضايقه
والبحر العربي وعمان والجبل الأخضر
بغداد والكوفة وغابات النخيل في البصرة
والمنامة وبرقة واسمرة المناضلة
وصور وصيدا والصحراء الكبرى
شنقيط والقاهرة والنيل العظيم
وجبال وجوامع وخلجان ووديان بلا عدد

تسالني عن فتى العرب ؟
أيحب أرضا زحف على تربتها سقيما ؟
وسجد عليهـــا كبـــرا ؟
وخر صريعا في خنادقها مدافعا ؟
تنسم هواءها جافا ورطبـــا
وسمع اطيارها في الواحات والغابات
وتعلم لغتها لغـــة الضـــاد !
ونطق بعينها والقاف !
وقلى فوارسها وأيامها !
وحفظ قصائدها وحولياتها
وسمع بامجادها وخفق قلبه بامالها
وجود قرآنهـــا ؟

• • •

تسالني عن فتى المستقبل !
أيحب الرسالة الخالدة ؟
واهداف أمة كان لهـــا وجدان عريق ؟
زحفت بقلمها قبل سيفها من قارة الى قارة
ومن بحـــر الى محيط

انها رسالة الاجيال والدهور
أحبها الخلان ودهش لهـــا الخصوم
حروفها من ذهب ساطع
وكلماتها ذات رنين وحنين
أينكر ابن بار أمه او يخرج على أمته ؟
او يسلم ارضا مقدسة ويستسلم ؟
او يرضى بالذل والهوان ويستكين ؟

• • •

تسالني عن فتى الامنيات
سماع تجميل الوصيات
يحب حتــــه في الحياة
سليم الطوية ، مزود بالعلم ، شجاع ابي
اذا استنجد في الملمات سعى زاحفا صادقا
واذا سئل عن علم عرف به ، اجاب بجد
واذا نعي بوطنه خر قتله بدمه وماله
يحب موالليه واخوته
يعاشرهم مخلصا في الحرب والسلم
في السراء والضراء ويرنو للمستقبل بثبات
انه فتى الامنيات المشرقة ذات الوهج الساطع
ذاكر لكتابه المنزل من السماء السابعة

• • •

ايه فتى العرب
نعمت أنهار تسقي ارضك وبحار ترطب انفاسك
وعظمت جبال صامدة على محيطك وخلجانك
ما اجمل صحرائك بصفرة الذهب
وما اشد زرقة سمائك وبحارك
شمسك لاسعة الحر عند الظهيرة
وترابك رطب في ظلمة الليالي الشاتية
لك ماض واي ماض عبر الاف السنين
ولك مستقبل زاخر عبر الالاف أخرى
حروف لغتك خالدة في الارض وفي السماء

وامجاد قومك بعيدة الاغوار والعلود
وابطال امتك ملأوا الشرق والغرب

• • •

ايه فتى العرب
في الماضي البعيد توجت ملوكا في الجـــزيرة
وحتى بلاد الروم
ومن قبل ومن بعد تقف في وجه الطغاة والطامعين
ترجمت اشعارك الى اللغات الحية
واصداء نغمك تعرفها اللغات العالمية
عقائدك الروحية انتشرت في القارات
وعرفت فلسفاتك بين الامم
وادرك القاصي والداني مجيد اعمالك وصناعاتك
بك تاريخ كجبالك الشاهقة
وكل ادب وشعر بجمال غابات نخيلك وزيتونك
ابعد هذا ينكر عربي امته ؟
الا انه يعمى ويسابر حتى يأتيه اليقين !

• • •

ايا شباب الأمة المجيـــدة
وحملة الرايات الحمر والخضر
لكم اخوان على وجه البسيطة ينتظرون هبتكم
اسلافكم في السماء يسمعون وينظرون
واخلافكم في الارحام يرتقبون
ما انتم منقطعون في صحراء مجدبة
ولا انتم متقلقون او مكابرون او عرقيون
وان امامكم مجيد الافعال وجميل الاقوال
عوالم اليوم والغد عجيبة غريبـــة
وفي الفضاء والنجوم لكم محط قدم ومستراح
فانظروا ، واملأوا نفوسكم بالجمال والحق
واعملوا ليل نهار ففي ذلك جلال رزق وذكر باق

د • صالح الشماع
كلية الاداب ـ جامعة بغداد





الراهب

من الأدب الياباني المعاصر

المدات المثير كما تحدثنا تعاليم الشي في « لزوميات انغلاص » لا تعدو قطرة في محيط. ان هي فورثت يسباهج الارض الطاهرة ومسراتها . ارض سنوية منبسطة لا يعرف لها حد تحف بالدروب المفضية اليها سلاسل من ذهب . في كل بقعة من بقاعها المباركة يسبق في تموج وابهة خمسون الف مليون رواق وبرج شيدت من الذهب والفضة واللازورد والبللور والمرجان واللؤلؤ . بها ارائك مطعمة بكريم الحجر اكتست بفرش نسجها يبهر الانظار . وقد احتشدت داخلها كما اصطفت على قممها اعداد غفيرة من الملائكة تعزف الموسيقى المقدسة تفيض الحانها على الجو من حولها الى ابد الابدين ترتل اناشيد الحمد والتمجيد للتاتاجاتا بوذا . وفي الحدائق الفيحاء من حول الاروقة والابراج والارائك تنبثق عيون جارية من ذهب وزبرجد احيطت للمؤمنين يتوضئون منها ويغتسلون . وتحف بالعيون الذهبية رمال فضية وبالعيون الزبرجدية رمال بلورية وتطفو على مياه العيون زهور اللوتس تتلألأ بألوانها المتباينة . واذا رفت نسمة خافية ... فرخت اشعة متقاطعة من النور وانتشرت في كل الاتجاهات . وتصدح في الجو اثناء الليل والنهار انغام الكركي والاوز والبط والطواويس والكلافينكا ذات الصوت الرخيم والوجه النسائي المليح .

كل هذه الطيور واعداد سواها تفوق الحصر صنعت من مئات الاحجار الكريمة تبعث صيحاتها الحلوة الجميلة تسبح كثيرا بمجد الاله بوذا . (ولكن مهما كان صوتها لا يقارنه شيء قط عذوبة وسحرا فان عندنا صنفا من هذه الطيور لابد وان يحتث جنية هائلة) .

وعلى حافة العيون وعلى ضفاف الانهار والاقادير تمتد ايكات من اشجار الكنز الشمس جذوعها ذهب واغصانها فضة ونواراتها مرجان وجمالها ينعكس على صفحة الماء متعة للناظرين . وفي الجو تسمو حبال من الاحجار الكريمة كما ان آلات موسيقية سحرية تعزف دون ان تمس الفاظا ينتشر رنينها الى مسافات بعيدة في هذا الملكوت العالمي .

واذا شعر المرء بجوع لا ... امتد امامه خوان تستقر ... صحفة الملوث الاسبع قصعات محشوة بشهي الزاد ... وضعت كل قصعة منها بسبعة احجار كريمة . ... تناول الطعام في فمه . ما عليه الا ان ... الشهية ويستمتع بنكهته فتمتلىء ... بينما يظل هو على حالة من نقاء الروح وطهارة البدن . بعدها تختفي القصعات والمائدة في غمضة عين . وتنشر الطريقة التلقائية بتدثر المرء بثياب لا تتطلب حياكة او غسلا او صباغة او رتقا .

يوكيو ميشيما

١٩٢٥ - ١٩٧٠

يحتل يوكيو ميشيما مركز الصدارة بين كتاب الرواية والمسرح في الادب الياباني المعاصر . وهو يحق احد اقطاب مدرسة التجديد على الصعيد الفني . استطاع بحدته وتحرره تجسيد انطلاقة الادب الياباني الى افاق اكثر رحابة وعمقا عابرا به حدود الجزيرة الصغيرة . تأثر بالآداب الاوروبية والامريكية متخذا منها نقطة انطلاق دون تقليد او محاكاة حرفية . وصهر هذه العملية المعقدة غير المباشرة بقوله « اننا لا نستوعب من عناصر الآداب الاجنبية الا مقدار ما يتلاءم والتقاليد الاصلية ويتمشى مع مفاهيم تضرب جذورها في وجدان امتنا » . فجاءت اعماله تحمل مفهوما جديدا يغاير كافة المفاهيم . بالبائية الروح والرداء تتحلى بالصفات الانسانية المتطلعة . تعكس مأساة الانسان الحديث وما احاط به من اهوال وكوارث وتعبر عن نظرة في فلسفة التاريخ مستقرة الماضي لمستوعب الحاضر ولمستلهم الحاضر لمستمر اغوار الماضي .

لم يعالج فن الرواية وحدها بل الف المسرحية والقصة والمقال والسيناريو السينمائي . كان غزير الانتاج وهب حياته كلها للفن فهجر الوظيفة الحكومية بعد شهور من تقلده لها فور تخرجه من جامعة طوكيو عام ١٩٤٢ . تفتقت مواهبه الابداعية النادرة واصبحت من نضج مبكر بهر جمهرة النقاد عندما نشر روايته الاولى « الايكة المزهرة » (١٩٤٤) وهو طالب مازال بالسنة الاولى بالجامعة . توالت اعماله بعد ذلك وترجمت الى لغات عديدة ولاقت رواجا شديدا فأعيد طبعها ومازال يعاد مرات ومرات . وتحولت بعض رواياته الى افلام تعتبر من روائع الانتاج السينمائي .

ويعزى نجاح ميشيما وعالميته الى انه استطاع اكثر من غيره ان يصور سلوك الشباب والكثرة من ابناء ما يسمى بالجيل الضائع في اليابان ما بعد الحرب العالمية الثانية . خليط متنافر من الرغبات المحسوسة والشطحات الغيبية تجمعها علاقة متصارعة بين ذاتية الفرد وموضوعية العالم الثابت .

كل هذه الرغبات القلقة المتناقضة المحيرة كالاشخاص التي تمثل ما اصاب الانسان المعاصر من دمار وتحلل تتجلى في كل اعماله . نقابلها في رواية « اعترافات قناع » (١٩٤٩) ونلتقيها في الظما الى الحب (١٩٥٠) التي يستعرض فيها حياة امرأة شابة مرهفة الحس مسرفة في عاطفتها مغالية في التجهم والكآبة تتعطش الى الحب في عالم امرتها اللا اخلاقي المجدب وفي النهاية تجد في الانتحار سبيلها الى الخلاص . وفي نفس المناخ المعتم الشاذ تدور احداث رواية « معبد المقصورة الذهبية » (١٩٥٦) . والانسان المعاصر هذه المرة كاهن شاب مختل العقل يقع اسير الهالة المعبد وجماله فيستحوذ على حياته ويصبح شاغله الشاغل . والخير انتكاسة مقلقة من التمرد وتصيبه نوبة من التحدي الحقير لسلطان المعبد العاتي فيشعل فيه النيران متوهما انه بذلك يحقق حريته المطلقة . وفي رائعة « الامواج المحرمة » (١٩٥٥)



بقلم: يوكيو ميشيما
ترجمة: د. عبد الله البشير

ونوره في الارض الطاهرة ليس بحاجة الى قناديل لانه لا يرى الا نورا لا يغيب يأخذه من كل وجه • كما ان الارض الطاهرة معتدلة الحرارة طول العام ليست بحاجة الى تدفئة او تبريد على الاطلاق • جوها تعطره روائح عبقة وزهرات اللوتس تساقط كالامطار دون انقطاع •

ويحدثنا اشين في فصل من « بوابة التفتيش » فيقول ان المشاهدين عن الهيئيين تعجب عنهم كنوز الارض الطاهرة وعليهم ان يشحذوا همتهم لادكاك قوى تبصرهم الخارجي • وبعدها يوطنون العزم على تلقيـة تلك القوى بالاذن ما يملكون من جهد معتنين بالايمـان والحكمة • فقوة التبصر هي القصر السرى المتخلص من قيود حياتنا الدنيوية وازالة عراقيلها • وهي النهـاية لفناهم نورانية بوذا • واذا كنا نملك ... جامعا استطعنا ان نركز اهتمامنا على زهرة لوتس واحدة منها ننطلق الى آفاق بلا حدود •

فمن طريق الملاحظة الميكرسكوبية والاستقصاء ... يمكن لزهرة اللوتس ان تصبح ... الكون ومعبرا يوصل الى الحقيقة المطلقة • ولكن علينا اولا ان ندرك ان كل تويج من تويجاتها ... وثمانون الف عرق وان كل عرق يبث اربعا وثمانين الف

شعاع من نور وان قطر اصغر هذه الزهور مائتنان وخمسون يوجانا • واذا افترضنا ان اليوجـانا التى نقرا عنهـا في الكتاب المقدس تعادل خمسا وسبعين ميلا فاننا نستخلص ان زهرة اللوتس البالغ قطرهـا تسعة عشر الف ميل هي اصغر هذا النوع من الزهـور جميعـا •

اضف الى هذا ان مثل هذه الزهرة بها اربع وثمانون الف تويج رصعت بمليون جوهرة بين كل تويج ينبعث من كل واحدة منها الف شعاع من نور • وفوق تويج الزهرة الزيان على اعلى الصور ترتفع اربعة اعمـدة طعمت بالاحجار الكريمة • كل عمود يفوق في ضخامته ... ذلك الجبل الذي يسمق ... اليوتي • • من هـذه الاعمدة ... كل ستر منها بخمسين الف مليون جوهرة وينطلق من كل جوهرة اربع وثمانون الف شعاع من النور كل شعاع مركب من اربع وثمانين الف لون ...

... هذه الصور يعرف « بالتامل في ... الاله بوذا » • ومفهوم العالم ... فتنا مفهوم استلهمناه على ... هذا ... الرحيب •

الذي تعثر في اليابان اعظم ما كتب ميشيما على الاطلاق ملتقى بنفس العالم المفزع بعد الحرب ، بل كل الانسان المعاصر بعد هيروشيما بمجانته وبمظاهر الخرافة وقيوده ... الارستقراطيين السابقين يخوضون حظهم في السوق السوداء والازواج من محدثي النعمة والثراء ينغمسون في اللذات والاشرار يبتزون الاموال بالتهديد والوعيد والمنحرفون جنسيا يحققون احلام روحهم عالم تنفث فيه الشياطين سموم ثقافتها الجديدة يتدفع بعضهم الى الاعماق السفلى

الى ميشيما مصرعه عام ١٩٧٠ في تمثيد ... سياسي فشلة ، وكانت ابطال روايته ... منتحرا امام ... مصرا على اوضاع ... عبيرا عن ... في ثورة التغيير ... ينابيعها من التقاليد الراسخة ... وهو يقود حركة انقلاب وفي نفس الوقت يهتف بحياة الامبراطور . وتلقت الاوساط الادبية في بلدان عديدة النبأ بجزع شديد واعتبرت موته خسارة للادب العالمي فادحة لا تعوض .

الكاهن الاعظم في معبد شيقا كان اشيبة ورعه وتقاه وكثرة تعبده ، وكان لتطهره من الادناس والاوضار واحدا من المصطفين الاخيار • هذا امر لا شك فيه ولا ريب • كان شيخا مهيبا جليلا طاعنـا في السن وكان يزينه من مهابته حاجبان ابيضـان كالثلج • وكان يشق عليه أن يحرك عظامه اليابسة الا بجهد جهيد واذا انتقل من مكان الى مكان في المعبد مشى متكئا عـلى عصاه في وهن وفتور •

وكانت « الدنيويـة المثقلة » في نظر هذا الزاهد المتبحر في العـلم سقط متاع فقد عاش دهرا طويلا في عزلة عنها مرضيا أمرها راغبـا عن ملذاتها وما تثيره الملذات من ضروب المشاعر والاحاسيس ، دهرا طويلا حتى ان شجرة الصنوبر التي غرسها بيديه عندما هبط الى هذا المكان واتخـذ

الراهب والحب

صومعة يحتفل فيها قد تقدم بهما السن هي الاخرى وأصبحت شجرة ضخمة تنتشر في الفضاء في رزانة ووقار . وان ناسكا يمرض عن دنيا الزوال على طول هذا المدى البعيد منقطعا عن الناس جميعا مترفعا عن المتاع متنزها عن الآثام متطهرا من الرجز ليفوز بحظه من الآخرة راض كل الرضا مطمئنا غاية الاطمئنان .

كان الكاهن الاعظم يبتسم كلما لقي السادة من النبلاء وأصحاب الثراء وينظر اليهم في كثير من الاشفاق ويتساءل في عجب مستنكرا كيف لا يدرك القـوم أن متاع الدنيا وزخرفها ان هو الا أضغاث أحلام . وانا هو ابصر النسوة الجميلات رثى لهؤلاء الرجال الذين ما زالوا يستجيبون لأضاليل آلام الحياة ويغرقون في الضلال بأدران الشهوة والمكروه من الملذات .

وفي الساعة التي لا يبدي فيها المرء الا نفورا وازدرارا من أبهر الدوافع وأقواهـا التي تبسط سلطانها على عالم السادة يتراءى هذا العالم وكأنما يغط في سبات عميق . هكذا كان العالم في نظر الكاهن الاعظم جامدا هامدا لا حراك فيه . حتى بالنسبة اليه كصورة رسمت على قماشة من ورق أو كخريطة لبلد أجنبي في مكان ناء قصي . وعندما يصل الانسان الى درجة يعتصم فيها عقله من شرور الدنيا فان الخوف ينقبض من دنياه ؟ وهكذا كان حال الكاهن . عندما تساءل في دهشة وانكار كيف يمكن أن تنشأ آثمين او حتى شياطين خلقت جهنم . كان يعلم علم اليقين ان الاسباب لم تعد تتصل بينه وبين هذه الدنيا . ولكنه لتجرده من كل خير وشيطان لم يكن يدرك أن العمل غدا راجع الى ورعه وتقاه .

اما بالنسبة للجسد فيمكن القول بأن الكاهن كان قد تخلص من أدران جسده بل ان لحمه قد تخلى عنه تماما منذ زمن طويل . وفي مناسبات بعينها ـ عندما يستحم مثلا ـ كان يسعد بروعة عظامه البارزة بالكاد يغطيها جلده الذاوي . كان يعي بأنه ـ وقد وصل الى ما وصل اليه ـ قادر على أن يتعامل مع جسده وكأنه ملك لشخص آخر . كان حقيقا بهذا الجسد على ما يبدو أن يطعم زاد الارض الطاهرة لا أن يقتات من طعام هذه الدنيا وأن يرتوي من شرابها .

كان في أحلامه وفي مسرات لا يصيبها ببلى في الارض الطاهرة . دار الخلص والدعة والهدوء . وعندما يستيقظ كان موقنا انه ارفع وأسمى من أن ينهزم لسلطان الدار الفانية وما يقع فيها بالمرء من لحظات وخطوب وما يتعرض فيها لفتنة وبلاء . الحياة كانت تختل أمامه كأمواج الأحلام الأخرى .

في فصل الربيع تمتع الزهور [illegible] [illegible] الى الطويل [illegible] [illegible] [illegible] الى [illegible] [illegible] الكاهن يشهد حتى أبهى الشجر والأصوات المتشابكة التي تأتيه من كل وجه فقد خرج منذ زمان بعيد من الطور الذي يضيق فيه المقل بما في العالم من صخب وضجيج . وفي أمسية من أمسيات الربيع خرج

من صومعته متكئا على عصاه وسار منحدرا الى حافة البحيرة . كانت ساعة يلقي فيها الشفق ظلاله في هوادة على المرآة المعماري فيزداد الشحوب وجه النهار . لم تكن موجة واحدة تترقرق فوق سطح الماء والكاهن والقمر وحده عند البحيرة داخلا حتما حوله غارقا في تأملاته منغمسا فيها ممارسا شعائر « تأمل الحياة » .

في هذه اللحظة اقبلت حول البحيرة عربة يجرها ثور يكشف جلال منظرها عن جاه صاحبها العريض . اذ العربة من مكان الكاهن وتوقفت فجأة على غير موعد انتظار . كانت صاحبة العربة احدى سيدات البلاط من حي كيوجوكو في العاصمة تحمل

من الالقاب ارفعها وأسماها « عقيلة الامبراطور الاخيرة » . وقد اقبلت الى اريه شيها تستمتع بمقدم الربيع . وفي طريق عودتها الى المدينة اوقفت عربتها ورفعت ستيرة النافذة لتلقي نظرة اخيرة على البحيرة .

وعلى غير ارادة منه وكأنما يستجيب لقدر واقع لا محالة أدار الكاهن الاعظم بصره نحوها . وفي التو اجتاحه جمالها وبهرته رقة وجهها . وجه مشرق مطمئن ينبيء عن نفس مشرقة مطمئنة . والتقت عينه بعينها مبهورا فلم يحول بصره عنها ولم تكلف خاطرها هي الاخرى الغض من بصرها . لم تكن روحها السمحة المطلقة من التي تستبيح الرجال أن يحدقوا فيها بنظرات فيها لمحة وقحة .

ولكنها احست أن دوافع عبدنا الشيخ الزاهد الصارم لابد تختلف عن دوافع غيره من بني جنسه .

وبعد دقائق أسدلت السيدة ستيرة النافذة وتحركت عربتها . وبعد أن اجتازت ممر شيجا مضت في هوادة على الطريق الرئيسي المفضي الى العاصمة . انحسرت الشمس الى مستقرها الغربي وانتشرت الظلمة والعربة تمضي الى بعيد صوب المدينة عن طريق القبيد الفضي . ظل الكاهن ثابتا في مكانه يمعن النظر في اتجاه العربة حتى تضاءل حجمها في الافق وأصبحت في حجم رأس الدبوس ثم اختفت نهائيا بين الاشجار البعيدة .

في ومضة ازالت دنيانا الفانية بالكاهن الهرم جام غضبها وانتقامها المروع . تلك الدنيـا التي كان يحسب دائما انها لن تبلغ منه شيئا حدث أنه وقوضت نتائج الطمأنينة والدعة .

سار الرجل عائدا الى المعبد مسرعا في السير أسراعا رقيقا . واتجه الى تمثال بوذا لائذا بنصره وحمايته من امر عظيم اعطى

جعل يردد اسمه المقدس بطلوه ، ويعاود تلاوته . ولكن أفكارا نجسة ملوثة كانت قد لفت الوجود بظلالها القاتمة كأنها الليل الابدي الذي لن يخرج منه ولن يرى بعده الضوء . كان يعقل النفس بأن جمال المرأة فقط سريع الزوال ، ظاهرة موقتية خلقت من لحم ودم ـ لحم يلحقه العطب سرعان ما يتآكل ويندوي ـ ورغما من محاولاته الجاهدة لايجاد مخرجا عن خاطره الا ان هذا الجمال الواهي الذي اجتاحه في ومضة على ضفة البحيرة مس شغاف قلبه في قوة امتصار يهب من أبعاد نائية في زمجرة وزئير . لم يكن الكاهن الاعظم

يروحه أو جسمه غرا حديث السن حتى يتوهم أن الاحساس الجديد مجرد نقمة سجتها شهوات اللحم والدم . كان على يقين ان الجسد البشري لا ينقاد بهيلمانه المرهفة الفاضلة . يبدو أنه وقع تحت تأثير سم زعاف أفسد من طبيعة روحه وأتلف عقله .

لم يحدث من قبل أن حنث الكاهن الاعظم في قسمه على أن يظل أبيض الذهن نظيفا طاهرا . وان المعركة التي خاض غمارها في شبابه بما فيها من جهاد متصل ضد رغبات الجسد جعله يرى في النساء مجرد مخلوقات من لحم ودم . لا غير الا



من هذا . وان اللحم والدم الحقيقي هو ذلك الذي يعيش في تصوره . ومنذ أنكر اللحم كحقيقة مادية صار بالنسبة اليه مثلا أعلى معبرا . وقد أحتمد على ارادة الروح كلها وعزمها حتى أخضعته لسلطانها . وقد أصاب الكاهن في هذا المضمار غاية النجاح . نجاح لا يتطرق اليه أدنى شك .

ولكن وجه المرأة التي رفعت حصيرة ناقلة العربة وشخصت ببصرها عبر البحيرة كان وجهها متناسقا وشاع الخده كوميض البرق في الليلة الظلماء . لا يمكن ان يعتبره وجها من لحم ودم ولم يكن يدري من أي مادة يكون . وكلما أسترجع تلك اللحظة المبهرة أحس أن شيئا مخالفا يكمن داخل نفسه قد هتك الاستار في النهاية عن حقيقته . هذا الشيء هو الدنيا الغرور التي كانت حتى تلك اللحظة مطمورة في أغواره فانشق عنها الظلام وبدأت تتحرك وتضطرب .

كان يتخيل نفسه واقفا على الطريق الرئيسي المتجه الى العاصمة وقد غطى أذنيه بيديه وأحكم الشكام وهو يرقب عربتين هائلتين يجرهما ثوران تتقطع الواحدة عبر الاخرى . وفجأة يرفع يديه ولكن الضوضاء في الخارج ما زالت تصطخب في قسم هوادة وتنشره من جميع أقطاره .

وإذا أنزلا المرء ما يعترض تلك الظواهر العارضة من مد وجزر وإذا سمع ضوضاءها يصك أذنيه وتدفعه دفعا عنيفا فقد دخل دائرة الدنيوية الفانية . وبالنسبة الى رجل قطع علاقته بكل الظواهر الخارجية كالكاهن الاعظم فان هذا يعني ردة الى العلاقة الدنيوية . كان حتى وهو يتلو آيات السترايوترانات لم يبرح مرات متلاحقة وهو يدير رأيه فيما عسى أن يسلكه من طريق . ويلتمس لنفسه مخرجا من هذا الضيق في الطبيعة حواليه فيتخلص ببصره من نافذة صومعته محدقا في الجبال الشامخة تحت قبة السماء في الافق البعيد ولكنه يرقد مضطرب الرأي

الراهب والحب

كئيبا كاسف البال وتضيع أفكاره كقطع من السحاب تتشتت في كل صوب ومرمان ما تتلاقى . كان ينظر الى القمر ويطيل النظر ولكن افكاره كانت تترود دائما . ووقف مرة أخرى أمام تمثال بوذا الرئيسي في محاولة يائسة مستهينا به مستنصرا عله يسترد نفسه ويستعيد سرايه ولكن وجه بوذا تحول فجأة وصار يحاكي وجه صاحبة الأمرية القاهرة! لقد احتل عاله في حدود دائرة ضيقت عليه السبل يقف الكاهن الاعظم في طرف منها وتتشح فبالته في الطرف الاخر خليلة الامبراطور الاثيرة .

كانت خليلة الامبراطور الاثيرة في كيوجوكو قد نسيت الكاهن الشيخ الذي شاهدته ينظر اليها في استغراق عميق عل ضفة البحيرة في شيجا . كان الامر بالنسبة اليها حدثا غير ذي بال ولكن لم تمض أيام حتى طرقت سامعها اشاعة يتحدث بها أهل القصر

ذكرتها بالواقعة . فقد تصادف ان مر احد المقربين الكاهن الاعظم وهو يرقب العربة حتى توارت في الافق البعيد . ذكر الواقعة سيد من رجال البلاط كان يزور شيجا في موسم اعياد الزهور واضاف انه منذ ذلك اليوم والكاهن يتصرف وكأن عارضا من الجنون ألم به .

وسارعت خليلة الامبراطور الاثيرة بتكذيب الاشاعة فقد اشتهر هذا الكاهن بالذات في كل أرجاء العاصمة بورعه وتقواه . ولو أن ما سمعته كان يخلي على نفسها طرفا من خيلاء وفضلا من غرور . لقد كانت تضيق ذرعا بهذا اللون من الحب الذي يقدمه لها رجال هذا العالم . كانت خليلة الامبراطور الاثيرة تقدر قيمة جمالها حق القدر ولكنها كانت تذعن لكل سلطان عظيم كسلطان الدين لا يحتفل بجمالها ولا يقيم لـه وزنا . وكان ضيقها بهذه الدنيا ومرضها الزائل يجعلها تؤمن بالأرض الطاهرة . لهذا فان بوذية الجودو التي ترفض جمال العالم المرئي وبريقه وتعتبره قشاء

وتجاسة كانت تستهوي امرأة كخليلة الامبراطور التي خاب أملها كثيرا في ترف الحياة في دنيا البلاط . كانت

تراه ترفا يعني من نهاية عهد الناموس وبداية الفوضى وما تحمل في طياتها من تدهور وانحلال .

كانت خليلة الامبراطور الاثيرة تحتل مركز الصدارة والتفوق بين المحظيات والحسان اللاتي يغدن بحب لهن من دل وما يملكن من اغراء وفيها تتبلور ذروة ما وصل اليه البلاط من تحضر وأبهة . وكانت تؤدي واجباتها نحو الامبراطور بكل ما هو خليق بها من تحشم وحسن معاشرة . وكثيرا ما ان أحد يعتقد انها كانت تهيم في أحبال قطيل . فخليلة الامبراطور الاثيرة في تجربة ... تداعيها أحلام ... الحب المحرقة ... [illegible]

[illegible] الكاهن الاعظم في ... نفسه ... ولكن ... ابناء الحياة يبدو جامعا ان هذا الكهل الشيخ قد خرج ... الدنيا المتقلبة ... امره ... دارت الشاعة تقول انه افتتن بجمال خليلة الامبراطور الاثيرة وانه من اجلها ضحى بعالم المستقبل . وان تخليه عن مباهج الارض الطاهرة ومسراتها التي كان منها قاب قوسين او أدنى تضحية ما بعدها تضحية وهدية لا تعدلها اثمن الهدايا .

أما خليلة الامبراطور الاثيرة فقد

سئمت بكل ما حولها ولم تعد تحفل بألوان اللهو والعبث والمجون التي يحتفل اليها شباب القصر الخلعاء ويزينت بملاطفات النبلاء المترفين في اناقتهم الذين كانوا يغرقون بالعكوف عل الملذات . لم تعد تأنس الى فتنة الرجال أو تصبو الى احسانهم وما يصدر منها من شهوات متقنة . ان شاغلها الاكبر هو أن تجد رجلا يستطيع أن يذكي فيها جذوة الحب التي تتحرق اليها متأججة وعميقة وكأنها ضرب من المستحيل . لو كانت مجرد غانية من بائعات الهوى لتحدث بما يقدم اليها من ثراء الدنيا ومتاعها .

لقد ظفرت خليلة الامبراطور الاثيرة بما لا يظفر به انسان من جاه وقوة وسلطان ولكن الرجل الذي

نال انتظارها له هو الذي يكلف نفسه ما لا يطيق ويحقق امالها في الوصول الى كنوز الأرض الطاهرة .

وشاع بين رجال البلاط خبر ذلك الكاهن المجنون وتندر به الحكام السادة حتى نسيج الامبراطور نفسه والجنود عل سبيل المزاح والدعابة . ولم تكن الخليلة الاثيرة تسعد بأن يكون الكاهن اضحوكة رجال القصر ولم تكن نفسها تطيب لسماع هذا الغضو ولم يكن الرواة يلقون منها سوى قلق في التحلل والاستغراق في الانعزال . كانت تعلم أن أهل القصر ما كانوا ليتندروا بهذه الواقعة غير محتفلين الا لسببين . فهم يرون في افتتان الكاهن الاعظم اطراء لجمال المرأة التي استطاعت أن تحرف حتى هذا الحبر الورع عن تأملاته وتملك عبادته . والسبب الثاني هو ان الجميع يدركون ان حب الشيخ الهرم للسيدة النبيلة لا يعوضه عما فقده من أرض طاهرة . واستوحت وجه الكاهن العجوز الذي رأته من خلال نافذة العربة . لم يكن هناك مجال للمقارنة بينه وبين أي رجل هام بها حتى تلك اللحظة . وعجبت كيف يتدفق الحب في قلب رجل لا تعيب انبراءه من الحب . وتذكرت عبارات

الحب الضائع اليائس الذي يحرق شعراء البلاط في ترديدها طامعين في قسدر يسير من عطف محبوباتهم المتمنعات . ولكن الكاهن الاعظم في شقائه كان يبدو لهما اوفر حظا من اقل هؤلاء العشاق شقاوة وبؤسا . ان تعبيراتهم الشعرية المتدلة تراءت الآن زخارف عبث دنيوي يوميها غرور أحمق خلا من كل عاطفة .

وهكذا يتضح لنا ان خليلة الامبراطور الاثيرة لم تكن كما يجمع بين القوم الصورة المجسدة لما في عالم البلاط من ترف وتحضر . ولكنها كانت بالأحرى مجرد انثى تبعد الحياة الحياة الحقيقية في ادراك انها تحب فعلى الرغم مما كان لهما من علو قدر ورفعة مقام فهي امرأة قبل كل شيء وكل ما في هذا العالم من قسوة وجبروت يتراءى لهما بمثابة قارعة الخوف ان جردها من هذا الادراك ان الرجال حولها قد يكرسون حياتهم للصراع من أجل السلطة السياسية ولكنها كانت تحلم باخضاع هذا العالم لسلطانها بوسائل اخرى . ووسائل انثوية خالصة . كم من نساء جرفتهن انتهى بهن الامر الى اليأس المهلك فطلقن المعترضين ونبذن العالم . وأمر هؤلاء النسوة يضحكها كثيرا . اما من المحال أن تتنازل عن اشياء تمتلكها . ان الرجال لا النساء لديهم القدرة وحدهم على ان يتنازلوا عما يملكون .

لقد استطاع هذا الكاهن الشيخ الذي رآته على حافة البحيرة أن يتخلى في مرحلة معينة من حياته عن الدار الفانية بما تحمله من لهو ومتعة . انه في نظر خليلة الامبراطور الاثيرة « اكثر رجولة من سادة البلاط الذين التقت بهم في حياتها . وبنفس الطريقة التي تخلى بها عن هذه الدار الفانية فانه ومن أجلها وحدها يوشك ان يتخلى أيضا عن الدار الآخرة » .

وتذكرت « خليلة الامبراطور » مغزى زهرة اللوتس التي طبعها ايمانها العميق في مخيلتها . وفكرت في زهرة اللوتس الهائلة التي يبلغ قطرها مائتين وخمسين يوجانا . كان

العزف الاسطوري اكثر ملاءمة لذوقها واشد انسجاما مع [illegible] الفرس الوردية التي تطير من سطح الاغادير وقنوات المياه في العاصمة . والنغم الذي كانت [illegible] الربيع تعزفه خلال الليالي [illegible] ان [illegible] بالموسيقى العذبة [illegible] في الارض الطاهرة التي [illegible] الريح [illegible] خلال أشجار [illegible] المقدس . وكلما فكرت في الآلات العجيبة التي تتدلى من السماء وتعزف ألحانا دون ان تمس صار صوت القيثارة التي تتردد اصداؤها في ابهاء القصر الامبراطوري مجرد محاكاة رديئة مؤذية .

كان الكاهن الاعظم في معبد شيجا يخوض حربا ضروسا . لقد كانت معركته ضد الجسد في ايام شبابه يحدوها أمل في ان يرث الدار الآخرة .

ولكن المعركة التي يخوض غمارها في شيخوخته تبدو من خسارة لا تعوض . لكلما فكر في أمره اتضح له وضوح الشمس في كبد السماء بأنه عاجز عن بلوغ ما يصبو اليه من حبه لخليلة الامبراطور الاثيرة . وفي الوقت نفسه كان يدرك كل الادراك انه يستحيل عليه أن يتقدم خطوة واحدة تدنيه من الارض الطاهرة طالما هو يرسف في أصفاد هذا الحب . ان

الكاهن الاعظم الذي ظل ينعم بقدر كبير من التحرر الذهني اجتيزه الظلام في ومضة عين . وأصبح المستقبل يمتد امامه كئيبا . يبدو ان الشجاعة التي لازمته في معارك شبابه كان سببها ثقته واعتداده بأنه يصد النفس عن ملذات يمكن أن تأتيه طواعية .

لقد رد الكاهن الاعظم نفسه مرة اخرى للخوف . كان يعتقد حتى تلك اللحظة التي اقتربت فيها العربة الفاخرة من حافة البحيرة انه كان قاب قوسين او ادنى من انطلاقة الرضا النهائية . ولكنه قد سرق من ذلك سرقا عنيفا وما هو يستيقظ الآن فتظهر له الدنيا قاتمة بسمة منكرة ويتملو عليه الآن تدبر وتوقع ما يتربص به في كل خطوة تخطوها الساه .

وصارت جميع أشكال التأمل الذي نسق عليه وتستعصى . حاول شعائر « تأمل زهرة الكريسانتيمام » و « تأمل النظرة الفاضلة » و « تأمل الاجزاء » . ولكن في كل مرة يمعن في التركيز كان الوجه العظمي الجميل يشرق بطلعته ويفسد عليه أمره . ولم تجده شعائر « تأمل المياه » نفعا . كان الوجه الحلو الصبوح يطل بصورته المضطرب من صفحة ماء البحيرة الرقراقة .

كان هذا بلا شك نتيجة طبيعية لحبها الذي أخذه أخذا عنيفا . وسرعان ما تحقق انه يفني جهده في غير طائل فما عاد شيء يستطيع ان يمسه او يرده عنه . ان التركيز والتأمل لا يجدي نفعا وبالتالي قرر ان يغدو روحه بتشجيت افكاره . وقد زاد عجبه انه وجد ان التركيز الروحي يحدث اثرا عكسيا وينحرف به عن طريق الغواية وانما يمنع ذلك من الثام المثل وابتذال القلب والاغراق في السخف . ولما بدأت روحه ترزح تحت وطأة هذا الضلال راح يدير رأسه فيما عسى أن يسلك من طريق يلتمس مخرجا من هذا الضيق . واستقر الكاهن الى رأي ارتاح اليه ضميره بأن ييئس من محاولة الفرار

الراهب والحب

بدلا من أن يستمر في معركة لا طائل وراءها فيركز الكاهن من قصد عنق وجه « خليلة الامبراطور الاثيرة » .

ووجد الكاهن الاعظم لذة خالصة ومتعة عالية لا تقدر ولا تقاوم وهان عليه من الامر ما كان صعبا . وهو يمشي حيث مرأى السيدة من ألوان الزخرف والزينة وكأنما هو يلبس تمثال بودا أرديته الملوكية من الحرير المقصب بخيوط ذهبية . ويحمله هذا حول المحبوب الى صورة بالغة أبعد ما يستطيع العقل أن يسبح . لقد أعطت التجربة عليه لبه ونقلته الى عالم تضطرب فيه أجمل الاحلام وأمتعها . ولكن كيف حدث هذا ؟ لقد كان من الطبيعي بكل تأكيد أن يتحول خليلة الامبراطور الاثيرة الى مادية . في متناول اليد . بعيدا ما يصيب أي مخلوق بشري من نقص وقصور .

وعندما فكر في هذا الامر تكشفت له الحقيقة . ان الصورة التي خلقها لخليلة الامبراطور الاثيرة لم تكن من عظام ولحم . ولم تكن مجرد رؤيا أثيرية ولكنها أصبحت رمزا للواقع بل قل على الاصح رمزا لجوهر الاشياء . وانه لاغراق في السخف حقا ان يتعقب هذا الجوهر في هيكل امرأة ولكن السبب لا يصعب تفسيره: فلم يكن الكاهن الاعظم في طموحه الى مثل أعلى لا يستطيع تصويره أو تصوره . حتى عندما وقع في الحب . قد تخلى عن عادته في محاولة الوصول الى جوهر الاشياء المادية عن طريق تجريده المستمر لها . لقد أصبحت « خليلة الامبراطور الاثيرة » متسقة مع رؤاه عن زهرة اللوتس التي يبلغ عرضها مائتين وخمسين يوجانا . لقد صارت أعلى منكئة على صفحة الماء تمتد الى أزهار اللوتس أكثر شموخا من جبل سوميرو وأكثر اتساعا من مملكة بأسرها .

وكان الكاهن الاعظم كلما جعل من حبه شيئا مستحيلا كلما زاد اغراقا في التمرد وتعذر عليه أن يبتعد عن السبيل الجائرة أو يرشد الى مملكة بوذا . وارتبط حبه المستحيل باستحالة بلوغه درجة النورانية التي كان بينها قاب قوسين أو أدنى .

وكلما فكر في حبه كمانعة بوذية كلما تأصل منه الوهم الاخرق البغيض بقلبه وكلما تعمقت جذور افكاره في الظاهرة . عندما كان يعتبر حبه صعب المنال كان في استطاعته أن يجهل نفسه وأن يرضيها . ولكنه الآن وقد نسج هذه الصورة الضخمة لخليلة الامبراطور الاثيرة حتى جعل منها مخلوقا اسطوريا أوسع من سلطانه وأبعد من سماء أصاب حبه التشيئ صوره وكأنه بحيرة عظيمة راكدة تغطي في اصرار وجه الارض كلها .

وهنا خطر له خاطر [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] يرشد الى الحق واتبع طريق الخلاص أبل . في هذه المرة سوف يدرك حالة النورانية التي يتحرق اليها . وقد ملأ هذا التوقع قلب الكاهن الاعظم خوفا ورهبة .

لقد بدأ الضيق الذاتي يخالج نفسه ويؤثر مخاوفها بهيدا الحب الوحشي يحيط حوله نسيجا عجيب الالوان من أساليب خداع الذات تشع الى قلبه وعقله وجسمه . وتحمله يستجيب بصبر مشقة الى القرار بالذهاب لرؤية السيدة . كان يتوهم انه قد شوفي من المرض الذي انهك جسده من قبله وانه خلق خلقا جديدا . إن الكاهن المتوله الهائم أخطأ تفسير ما صاحب قراره من غبطة وسرور واعتقد انه نجا من القلق وأمن من الخوف ودنا من اليقين . توهم ان روحه تبدلت طريق الضلالة وعادت مرة ثانية الى طريق الهدى .

لم يكن من بين أفراد حاشية « خليلة الامبراطور الاثيرة » من يأخذه شيء



من الدهش لمرأى كاهن مجوز يقف صامتا متكئا على عصاه في ركن من أركان الحديقة شاخص البصر متجهما مكفهرا . فقد كان شيئا مألوفا أن يقف الزاهدون والمتبتلون عند أبواب أصحاب الغنى والثراء في العاصمة طمعا في صدقة أو إحسان . وتدخل احدى سيدة القصر احدى الوصيفات تنبئها بأمر الكاهن فتلقي خليلة الامبراطور الاثيرة نظرة من خلال حصيرة النافذة التي تحجبها من الحديقة شاهدت من خلال أوراق الشجر النضرة الخضراء كاهنا مسنا واقفا مطرقا برأسه الى الارض مرتديا لباسا أسود كالحا . أطالت النظر اليه وتلفتت . وعندما تحققت انه الكاهن الذي شهدته عند البحيرة في شيجا دون سواه زاد لونها الممتقع كآبة وشحوبا . وبعد لحظة من التردد أصدرت أمرها أن يتجاهل خدمها أمر هذا الكاهن الواقف في الحديقة فأحنت الوصيفة رأسها في اجلال والصرفت من حضرتها .

ولأول مرة أحست السيدة في صدرها همًا ثقيلا جعلها نهبا للقلق والارتياع . لقد قابلت في حياتها أناسا كثيرين نبذوا هذا العالم ولكن عينها لم تقع قط على الشذاذ تخلى عن آخرته . كانت ترى الموقف يتسدد بالسوء فيردعها ما ترى . وانطفأت في ومضة المتعة الفائقة التي أذكاها حب الكاهن في وجدانها . فاذا كان قد تخلى عن الآخرة من أجل خاطرها فان هذه الآخرة لن تؤول اليها .

وتطلعت « خليلة الامبراطور

الاثيرة » الى ملابسها الرشيقة ويديها الجميلتين الناعمتين ثم نظرت عبر الحديقة الى وجه الكاهن السقيم وثوبه الرث • كانت احاسيسها بان هناك علاقة بينهما تهزها مرات عنيفة تردعها وتمنعها ، تقلق لها وتحزنها • كم تختلف الصورة الآن عن تلك التى رسمتها باوهامها •

ان الكاهن الاعظم ينبعث كانسان قدم من أعماق جهنم يوسف فى الاغلال وقد اقبل اليها بعشر الخطى • ثم يجىء هناك اثر لذلك الرجل التقى الورع التى يجلب معه نقاوة الارض الطاهرة ويحمل اليها كنوزه • اختفت الروحانية التى كانت تفيض من جوهره ونسيها بأمجاد الدار الباقية • اندثرت • لم يعد لها اثر • حقيقة انه هو الرجل عينه الذى شهدته منذ مسيرة اليها • ولكنه الآن شبح مروع •

كانت « خليلة الامبراطور الاثيرة » على عادة أهل البلاط قادرة على ان ترد النفس عن جماحها خاصة حين تقبل الحوادث جسانا متقطعة يمكن ان تؤرق عليها لياليها وتكدر عليها صفو حياتها • وعندما بدت امارات حب الراهب لها خافت نفسها هذا الحب وصرفت عن خاطرها فكرة العاطفة المشبوبة التى لو ملك البحر عليها ما اطفاها والتى كانت تغلى لهيبا وتحرقها سنوات طويلة • لقد تبين لها الامر جليا • عدد العاطفة المشبوبة فيها كثير من التضاؤل باهتة لا لون لها ولا طعم •

عندما سار الكاهن الى العاصمة فى اضطراب ووصلها متكئا على عصاه نسى ما تحمله من مشقة وما الم به من اجهاد • ودلف الى حديقة قصر الخليلة الاثيرة فى كيوجوكو وراح يتفحص ببصره عبر الحديقة • كان يعتقد انه لا أحد يجلس وراء حصيرة النافذة المغلقة سوى السيدة التى افتتن عقله وقلبه وضميره بجمالها وكلفه حبها ما لا يطيق •

والآن وقد أخذ عبادته صادقا



مطمئن النية فان نص عالم المستقبل بيبدأ من جديد يحتوى بالكاهن الاعظم • لم يحدث له من قبل ان تصور الارض الطاهرة على هذا النحو من الطهارة [illegible] الفرجة من النافذة [illegible] اليه [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] وبدت بوضوح الارض الطاهرة [illegible]

كان وقوفه مستندا على عصاه مصدر الم بالغ • وكانت انسمة فصل مايو الناعمة تتدفق خلال اوراق الشجر وتضرب رأسه المحلوقة اللامعة وكاد بين الحين والآخر ان يفقد وعيه ولولا عصاه لانتابه انهيار كامل ولو كانت تدرى حاله لدهشة الى حضرتها فى الحر رأيتها مراسم اللقاء ! وانتظر الكاهن الاعظم انتظر • هو يلقى جسده على عصاه فى جهد وعناء • واحتويث النفسى بعد طول انتظار وراء حصير السماء ولم تستدعيه « خليلة الامبراطور الاثيرة » • ولكنه لم يثن عزمه عن بلوغ ما صمم عليه فى عناء واصرار •

لم تكن تعلم بالطبع ان الكاهن كان ينظر من خلالها ويعبرها الى الارض الطاهرة • وكانت من حين لآخر تلقى ببصرها خلف حصيرة النافذة • كانت تراه واقفا فى ثبات وضوء المساء الخافت يتسلل الى الحديقة •

لاح النهار واقبل الليل لتغرق فى ظلماته أشعة القمر الواهنة وتتألق فيه انوار النجوم وتبدو لها كهيئة خيال من المظاهر الشيطانية • فراعها ذلك وروعها • وحضر الفرع كيان السيدة قليلا قليلا فلامها من نفسها وارقها بقية ليلها وصرف عنها نعمة الكرى • لم تنظر من خلال النافذة بل ادارت ظهرها فى تثاقل عن الحديقة •

كانت تعلم ان عدم ثبوت حالة حب عادية • فراحت تصلى فى حرارة من أجل الارض الطاهرة يدفعها خوف من ان تقع فى شراك الحب ينتهى بها الى اعماق جهنم • كانت تصلى من اجل أرضها الطاهرة الخاصة التى تحسد فيها ردفها ودكهنها ومأواها • ارض طاهرة تحاول جاهدة ان تبقى عليها فى عمق من أحناء قلبها وان تنى من آثام حسيرها • ارض طاهرة تختلف عن ارض الكاهن ولا تربطه بها اية رابطة • كانت على ثقة من انها اذا حادت عنها فسوف تلاقى فى القضاء المريض •

كانت تتحمل لنفسها القلق والمخاوف تبرىء نفسها عن أى لوم • فهى لا تأبى لها ان الكاهن احبها • عاطفة من جانب واحد ليس لمشاعرها دور فى اذكائها • ولن يكون سببا يهدر حقها فى دخول أرضها الطاهرة • واذا سقط الكاهن صريع هواه فلا لوم عليها ولا تثريب • ولكن الليل يوغل وبرودة الجو تتزايد فتتلاشى هذه الثقة تدريجيا •

ويبقى الكاهن على حاله واقفا فى الحديقة فى قوة مستمدها الحزم والعزم على وجهه آيات الضعف وآيات القوة وآيات اليأس وآيات الرجاء • وعندما يحتجب ضوء القمر وراء السحب يبدو وكأنه شجرة أسطورية ضاربة فى الشمم •

« هذا الشبح الواقف هناك لا علاقة له بى » • هكذا كانت تحدث نفسها وقد جمعت اليها ارادتها كلها • ثم تسترسل فى صوت يضطرب اضطرابا شديدا على الرغم منها كانت

الراهب والحب

الالفاظ تهسهس في قلبها وتدور في رأسها دورانا متصلا . « لماذا يمكن لشيء كهذا أن يحدث يحق السماء » ؟

في هذه اللحظة نسيت خليلة الامبراطور الاثيرة ما حبته الطبيعة بها من جمال . أو على الاصح أرغمت نفسها على أن تنسى . وفي النهاية بدأت خيوط بيضاء واهنة تظهر خلال السماء القاتمة وأوشك الليل أن ينتهي وأذن الصبح بأسفاره . وظهر شبح الكاهن في بصيص نور الفجر . كان مازال على حاله والقسمة بمحض نفسه مغرقا في الصمت . وكان الخوف من نصيبه . لقد هزمت خليلة الامبراطور الاثيرة . استدعت وصيفتها وطلبت أن تأذن للكاهن بالدخول كي يركع أمام الستر الذي يفصل الغرفة بينهما .

كاد الكاهن الاعظم أن يغيب عن وعيه وأن يسقط جسده على أرض الحديقة . لم يكن يدري اذ كان من أجل خليلة الامبراطور الاثيرة ينتظر أم من أجل عالم المستقبل وعندما لم الوصيفة تقبل نحوه من الداخل لم يعد يخلده أن ما كان ينتظره قد تحقق في النهاية .

حملت الوصيفة اليه رسالة السيدة . وعندما أبلغته عن رغبتها صاح صيحة وحشية منكرة . حاولت الوصيفة أن تقوده من يده وأن تسير به داخل البيت ولكنه دفعها بعيدا وسار وهو يدفع ساقيه دفعا ويحثهما حثا عنيفا .

كان كل شيء معتما على الجانب الآخر من الستر . وكان يستحيل عليه أن يرى هيكل السيدة من الناحية التي وقف فيها . وكع الكاهن وغطى وجهه بيديه وراح ينتحب . أخذت العبرات تنهل من عينيه وقتا طويلا وهو مغرق في صمته وجسده يرتجف في تشنج .

ثم تبدت في عتمة الغبش يد بيضاء رقيقة خرجت من وراء الستر المسدل فأخذها كاهن معبد شيجا في يديه وضغط بها على جبهته وعلى خديه .

أحست خليلة الامبراطور الاثيرة بيد باردة غريبة تمس يدها . وشعرت بقطرات دموع دافئة تبللها لم تكن تجري آكاته دموع حزن وابتئاس أو دموع غبطة وابتهاج . وعندما انبثقت أنوار الصباح الشاحبة متسللة من خلال الستر المسدل أثار فيها ايمانها الحار خاطرا عجيبا . بدأت تدرك ادراكا يقينا أن اليد الغريبة التي تمسها ما هي الا يد الاله بوذا .

عندئذ عاودتها الرؤيا التي تصير اليها نفسها وكان لها في قلبها وقع عجيب : اربة الويريد في الارض الطاهرة ، ملايين الابراج المرصعة بالجواهر السبع ، الملائكة التي تعزف الموسيقى ، الاحواض الذهبية التي تطوقها رمال الفضة وزهور اللوتس المتألقة وصوت الكلافينكا الرخيم . كل هذا يبث في داخلها من جديد .

اذا كانت هذه هي الارض الطاهرة التي سوف تظفر بها . وقد بدات ترقى بذلك الآن بصورة قاطعة . فلماذا لا تقبل حب الكاهن الاعظم ؟

انتظرت أن يطلب منها الرجل صاحب يد بوذا أن ترفع الستر الذي يفصل بينهما . لابد أنه سيطلب ذلك بعد حين . وعندئذ تنفرج له الاستار وتكشف له عن جسدها الرائع . تماما كما ظهر له ذات يوم عند حافة بحيرة شيجا . ثم تدعوه الى الدخول .

وانتظرت خليلة الامبراطور الاثيرة وطال انتظارها . ولكن كاهن معبد شيجا ظل على صمته لم يوجه اليها حديثا أو يسألها عن شيء . وبعد هنيهة خف ضغط يده وترك يدها البيضاء الناعمة ممتدة في ضوء الفجر . انصرف الكاهن عنها ومرت فارتجف جسدها في صمت وارتياح . وسرت برودة في قلب خليلة الامبراطور الاثيرة .

بعد أيام قليلة وصلت البلاط الامبراطوري أنباء تفيد أن الكاهن الاعظم قد قبضت نفسه وأن روحه حطمت عنها الاغلال ومنحت كل حظها من الحرية في صومعته في شيجا . وعندما سمعت ذلك سيدة كيوجوكيو انكبت على مكتبها وراحت تنسخ الكتاب المقدس بخط جميل على لفائف ولفائف كثيرة .

إشراف: خديجة الصفدر

إمتهان الجسم



من اللافت أن حيوانات الأدغال والغابات ووحوشها التي تقضي سحابة يومها باحثة عن الصيد والطعام لا تصاب بداء السمنة ابداً كما انها لا تعاني من مرض السكر او حصوات المرارة او الامساك او البواسير او الهالات حول العينين . فما بالنا نحن الآدميين نصاب بكل ذلك ؟

عرف العلماء ان جزءاً من المخ يسمى (المشتهي) يقوم مقام جهاز يفتح ويقفل باب الرغبة في الطعام ، فهو عبارة عن منظم الي يقفل باب شهوة الطعام عندما نشبعها ، ومن سوء الحظ ان هذا الجهاز يقول لك متى ينبغي ان تاكل ، ولكنه لا يقول لك ماذا تاكل او يحدد لك كمية ما تاكل ، ولذلك فان هذا الجهاز حين يفتح ليشعرك بانك جوعان فانك تستطيع الساعة بابتلاع كمية من الحلوى او الكريمة او الشيكولاته وغيرها مما لا يتوفر لوحش الغابة .

ولو كان في مقدور هذا الجهاز أن يرسل انذارات لنا عندما نغدو في تجاوز الحد الصحيح في تناول كمية من الحلوى فان مشاكل الغذاء لدى الانسان

إمتهان الجسم

سوف تحل . اما والحالة هذه فان علينا ان نعتمد على الكثير من النصائح التى تعكس عادة اختلافا حادا ، كما تشمل عددا سيولا من الاطعمة المختلفة .

وليس هنالك اى نشاط للانسان ، ولا حتى النشاط الجنسى ، اكثر اغراء للانسان من الاكل .

وكل نظام يوضح لك لماذا يجب عليك تناول طعام معين يقابله نظام مضاد يوضح لك لماذا يجب عليك الا تمسه ، اضف الى ذلك الالتباس ، مجموعة كاملة من المصالح التجارية من اعلانات وادعاءات عن مزايا الاطعمة وافضلها .

فاذا نحينا جانبا هذه المناقشات المربكة فان حقائق واضحة تبرز والافكار الرئيسية التى تؤذى الصحة من الغذاء يمكن حصرها فى الدهون الحيوانية فى الزبد والجبن واللحم وغيرها ، والسكر والكحول والاكثار من استخدام الاغذية (النقية) التى ازيلت منها الالياف .

فاكل الكثير من الدهون الحيوانية ، وهى التى تسمى الدهون المشبعة ، خطر لاحتوائها على تلك المادة الشمعية القوام المسماة الكولسترول والتى ثبت علاقتها بامراض القلب وحصى المرارة . ويتخلق الكوليسترول فى الكبد ، وهو مكون اساسى للجسم الانسانى حيث يستخدم بواسطة الجسم لاصلاح الاغشية الممزقة ويساعد على افراز الهرمونات الجنسية وانسجة المخ ، وهو موجود بكثرة فى الدهون الحيوانية ونحن لا نحتاج الى كوليسترول اكثر مما تفرزه اجسادنا ، وهنا ينشأ الخطر لان زيادة الكوليسترول الذى نتناوله فى الدهون الحيوانية يبدأ فى سد الشرايين وقد يصنع جلطات تسد مجرى الدم الى القلب او المخ . ووجود الكوليسترول فى الدهون الحيوانية ليس مدعاة لكون المرء منا نباتيا ، ولكنه مجرد نذير لكى نأكل بتعقل فلا نسرف فى تناول الدهون الحيوانية ونكتفى بأقل قدر منها فى الطعام ، ونستخدم الزيوت بدلا منها قدر الامكان .

والزيوت دهون غير مشبعة وهى من النبات عادة . وعلى الرغم من الحاجة الى ابحاث علمية جادة كثيرة فيمكن القول اليوم بان الدهون غير المشبعة اى الزيوت تساعد على عمليات الميتابوليزم اى نواتج الهضم للدهون فى الجسم وبذلك تساعد على تقليل نسبة الكوليسترول فى الدم . فهى اى الزيوت اقل خطرا من الدهون والشحوم على الرغم من ان طعمها قد لا يكون لذيذا كالشحوم لدى الكثير من الناس .

اما المشاكل المتعلقة بالحلوى فهى ثابتة علميا وعلى الرغم من ان زيادة تناول السكر مرتبطة بمرض البول السكرى وبعض علل القلب الا ان احدا لا يستطيع ان ينكر ان السكر والحلوى من المسببات الرئيسية فى تسوس الاسنان وتآكلها .

ويحتوى معظم الاطعمة على الكثير من مادة مغذية للجسم باستثناء السكر الابيض لانه يتكون من ١٠٠٪ كربوهيدرات . ولعل صناعة السكر الابيض ذاتها هى التى تنتزع منه كما تنتزع من معظم اغذيتنا عنصرا رئيسيا غذائيا هو الالياف ، كما يحدث فى تنقية الارز والطحين .

والى عهد قريب كان من المفهوم ان الالياف لا فائدة منها ولكن ثبت ان نقصها فى الطعام من الاسباب الاساسية فى الامساك والبواسير وكثير من امراض الامعاء الغليظة .

وربما كانت ايضا من اسباب سرطان المعى الغليظ .

والحقيقة ان الالياف الغذائية ، وهى ليست اليافا على الاطلاق ، فما هى الا جدران خلايا النبات وهى عناصر اساسية فى طعامنا اليومى .

وهنالك الياف فى نخالة القمح وفى سليولوز الخضروات وفى بكتين الفواكه ، ولكن عمليات التنقية تزيلها فتسبب لامعائنا اضرارا لان امعاءنا خلقها الله لتتعامل مع هذه الالياف . ولكى نتأكد من ان غذاءك يحتوى على هذه الضروريات فانه من واجبك ان تبتعد عن الدقيق الابيض (الفاخر) ومشتقاته وان تأكل الكثير من الفواكه والخضروات الطازجة وان تكثر من المأكولات التى تدخل فيها نخالة الحبوب . ولعل اخطر ما يتناوله الانسان هو الكحول ، ليس فقط للجسم ولكن لاسرتك وزوجتك وسلوكك . فشرب الخمر المستمر يتلف الكبد نهائيا ويسبب بذلك الموت المبكر . والكحول فى حد ذاته سم زعاف يتخلل الكبد فاذا ما زاد الشراب واصبح الكبد لا يستطيع احتواءه تحول جزء كبير من خلايا الكبد الى الياف واصيب المدمن بمرض تليف الكبد الخطير .

وحتى الشراب القليل يؤدى الى قرحة المعدة مما يمنع امتصاص فيتامين (ب ١) ونحن نعلم ان نقص فيتامين (ب ١) يؤدى الى اضعاف القلب وضعف العضلات وربما يؤدى الى الشلل .

واى قرب من الخمور يؤدى الى ادمانها والافضل ما يصنعه العاقل هو الابتعاد كلية وما يقود اليها من قول وفعل ، ولعل الاسلام سبق العلم بعشرات القرون فى بيان خطورة الخمر وشرورها التى لا دواء لها الا البعد عنها وانكار وسائل صناعتها وتجارتها وتعاطيها ، لا لدافع الدين فقط وخوف العذاب يوم القيامة ولكن لاصلاح المجتمع البشرى بانقاذه من هذه الآفة المتلفة للمال والعقل والصحة والعلاقات البشرية فهى رجس من عمل الشيطان على العاقل ان يجتنبه حتما مسلما كان او غير مسلم ، ولا بد من قيام دعوة علمية جادة لمقاومة الخمر بانواعها وتحويل الجهد الصناعى فى صناعتها الى مصنوعات اخرى افيد للانسان من هذا الرجس والبلاء العظيم .

السمنة



من الشائع بين الناس ان الاشخاص السمان اهل مرح . وفي القصص الخيالية يصور السمان على انهم ذوو عيون لامعة وابتسامات عريضة وان طوايا الشحم ترتجف بالمرح والسرور . وحقيقة الامر ان الانسان السمين ليس لديه الكثير ليطرب ويمرح لاجله .

ولنا ان نعلم انه من الخطر ان يسمن الانسان تماما كخطر التدخين اذ ان هنالك عددا غير قليل من العلل تاتي من جراء السمنة او ان السمنة تقود اليها وتلك الادواء قد يكون من العسير علاجها . والناس السمان قليلو الحركة يتعبون سريعة وينقطع نفسهم ويسوء هضمهم للطعام ويتألمون من وجع المفاصل . وهم معرضون للحوادث لانهم عادة لا يستطيعون سرعة الحركة للافلات من الحوادث . والمعنى العلمي للسمنة ان يكون الانسان زائد الوزن بمقدار ١٠٪ فاكثر عن الوزن المثالي . وهو الوزن الذي يصل اليه الانسان في اوائل العشرينات من عمره . وباستخدام هذا التعريف العلمي نجد ان ٤٠ - ٤٤٪ من سكان البلاد المتقدمة يعتبرون سمانا . وهذا الرقم لا يبشر بخير من ناحية الراحة او السلامة اذ ان السمنة سبب كبير في امراض القلب . وحيث انه من النادر ان تتسبب السمنة عن علة طبية مثل كثرة افراز الادرينالين او ضعف افراز الغدة الدرقية ، فانه من المعتقد ان يكون المرء السمين اكولا نهما او كسولا جدا او كلاهما .

وبالتاكيد توجد علاقة بين الوزن ومقدار الطعام ونشاط الانسان . والدهن يتكون من السعرات الحرارية المختزنة . فاذا كانت طريقتك في الحياة تتيح لك الحصول على سعرات حرارية (من طعامك الذي تاكله) اكثر من السعرات التي تستهلكها في نشاطاتك فان المقدار



السمنة

الزائد يتحول مختزنا في بدنك كشحم ودهن .

وتراكم اربعة الاف سعر حرارى مثلا يؤدى الى زيادة الوزن بمقدار نصف كيلو جرام (رطل تقريبا) من الدهون فى وزنك . والطريقة الوحيدة للتخلص من هذا الدهن اما ان تبذل نشاطا زائدا تحرق تلك السعرات او التقليل مما تزدرده من الطعام او كلا الأمرين معا .

ومما يجعل المرء فى حيرة من هذا الامر انك قد تعرف انسانا يأكل مقدار ما يأكل حصان ولا يقوم بأية تمرينات رياضية ومع ذلك تجده نحيف القوام رشيقا كالغزال ، واحيانا نعرف اناسا لا يأكلون الا النزر اليسير ويقومون بتمرينات مضنية ومع ذلك فهم سمان فليتقلو البطون . وقد اثبتت الابحاث الطبية ان الناس السمان قد لا يأكلون اكثر من العاديين وهنا يكون التفسير العلمى الأوحد ان استهلاك الطعام يختلف من انسان لانسان اى ان هناك افرادا يحرقون سعرات غذائهم الحرارية اسرع من الآخرين .

ومن الممكن القول ان المشكلة تبدأ فى الطفولة فهناك نسبة من الناس البالغين السمان كانوا سمانا وهم اطفال ، اى ان الخلايا الدهنية التى تتكون فى جسم الطفل الذى يتغذى اكثر تظل معه بقية حياته ، وهذا لا يتسبب فقط فى ان لا يقل وزنهم عند البلوغ بل يتسبب فى انه لا يمكنهم ان يكونوا غير سمان .

ونحن نرحب بموجة الرغبة المعاصرة فى ان يكون الفرد رشيقا غير سمين ولقد ترك لنا الرسامون فى العهد الفكتورى ما يدل على ان السمن كان سمة ذلك العصر .. وغير بعيد ذلك الزمن الذى نعرف ان الاوروبيين والامريكيين فيه كانوا (لكى يكونوا سمانا) يأكلون عشرين وجبة فى اليوم الواحد !!

واليوم يرى الناس ان الرشاقة فضلا عن كونها ضرورة صحية فانها ايضا رمز للعصرية . ويتصورون اليوم ان نسبة الوفيات فى السمان اكثر منها بين الرشيقين !!

والخطر فى ان تكون سمينا هو ان كل رطل تحمله من اللحوم يكون حاجة لمزيد من ... واول الاعضاء تعبا هو القلب الذى عليه ان يضخ الدم الى مقدار اطول من الشعيرات الدموية التى تخدم ما فى الجسم من شحم زائد . كما ان كثرة الشحم تعنى كثرة الكوليسترول وهذا سبق الاشارة الى خطره . كما ان مرض البول السكرى اكثر انتشارا بين الاشخاص السمان عنه فى الرشيقين ويعتقد الاطباء اليوم ان كثرة الخلايا الدهنية فى الجسم فان ذلك يحول دون الانسولين والدخول الى الانسجة .

وكلما سمنت يا عزيزى فانك تبدأ فى التعرض لمتاعب الكليتين والكبد والمرارة والنقرس والفتق والدوالى ، كما ان تراكم الشحم على الحجاب الحاجز يعيق حركة التنفس وبصرف النظر عن بضع حالات فان تلك المشاكل الجسمانية اذا صحبتها السمنة فانه يمكن التقليل من شانها بتنظيم الغذاء ، بحيث يتساوى ما تتناوله من سعرات مع ما تستهلكه فعلا ومن الحقائق المحزنة التى يجب ان نعلمها ونتذكر منها ان نصف سكان العالم لا يجدون ما يكفيهم من الطعام فان النصف الآخر يأكل اكثر مما يحتاج وهذا تصدق الابحاث العلمية الحديثة نبوءة رسول الاسلام صلى الله عليه وسلم :

« ما جاع فقير الا ببطنة غنى »

وينصح بعض الاطباء الى علاج السمنة بالصوم المنتظم ، تماما كما يصوم عقلاء المسلمين رمضان بحيث لا يجوع الواحد منهم سحابة نهاره ليتخم فى الليل ... ولو قام سكان الارض مسلمين وغير مسلمين بصوم شهر رمضان من كل عام صياما يتفق حقيقة الاتفاق مع روح الاسلام ، بل لو انتظم الناس فى طعامهم طبقا لروح الاسلام وفلسفته لما وجدنا هذا الذى نراه اليوم بين سكان الارض من شبعان يكاد يموت من فرط التخمة والسمن وجوعان لا يكاد جلده يستر عظامه ثم نقول اننا بشر نؤمن بحقوق الانسان ...

التدخين

هل تدخن ؟ تفضل سيجارة ... هل معك (ولعة) ؟ هنالك كبريت ... شكرا جزيلا جدا ....

وهكذا يجرى الحوار الذى يصاحب تلك الطقوس الانتحارية الغريبة التى يمارسها يوميا عدة ملايين من البشر فى ارجاء العالم والتى تسمى عادة التدخين ...

وفى كل مرة يدخن المرء سيجارة فانه يدخل الى جوفه سحابة من الغازات السامة التى تشمل على الاقل ثلاثمائة مادة كيماوية يتوزع معظمها على المجموعات التالية :

١ ـ المواد المسببة للسرطان .

٢ ـ المواد التى تساعد المواد المسببة للسرطان .

٣ ـ النيكوتين ، وهو سم زعاف يسبب الادمان وكل سيجارة تحتوى من نصف الى ٢ مليجرام من هذه المادة التى يكفى ٧٠ مليجرام منها للانتحار !!

٤ ـ مواد مهيجة تسبب تلف الشعيرات الرئوية والقصيبات الهوائية .

٥ ـ غازات مثل اول اوكسيد الكربون



السام ، وهذه الغازات في تركيز يساوي (٤٠٠ ضعف) حد السلامة الصناعي .

وعندما يدخل دخان السجائر الى الرئتين فانه يسبب شللا مؤقتا للاهداب الشعيرية التي تبطن المسالك الهوائية وتقوم في طبيعتها الاصلية بمنع الاوساخ والبكتريا واللعاب من دخول الرئتين ، وبذلك فان التدخين بمنعها من القيام بهذه الواجبات الحيوية وبذلك يدخل الدخان وكيماوياته ليكون غدرانا بالرئتين وتتكثف المواد الصلبة (القار) الناتج عن التدخين على هيئة واقية سميكة تبطن المسالك الهوائية وتتجمع داخل الرئة ، وينتج ما مقداره ١٧٠ جراما من القار في العام الواحد من جراء تدخين ٢٥ سيجارة في اليوم .

والسعال الناتج عن التدخين مجرد محاولة من الرئتين للتخلص من نواتج التدخين ، ومع الزمن فان الرئتين تفقدان مطاطيتهما ومرونتهما مما يتسبب عنه امراض قاتلة .

ويمتص الدم غاز اول اوكسيد الكربون اسرع من امتصاصه للاوكسجين ومن هنا يمكن ان تنقص نسبة الاوكسجين في دم المدمن بمقدار ٨٪ عن المطلوب وهذا يسبب اجهادا للقلب ليستطيع مواصلة تغذية الجسم بالاوكسجين ، وهذا ما يعرض المدخنين اكثر من غير المدخنين لامراض القلب . ويتسبب النيكوتين في اضافة متاعب للقلب ايضا لانه يضيق الاوعية الدموية فيرتفع ضغط الدم ويزداد نبض القلب ويرتفع مستوى السكر في الدم .

وقد ازال البحث الطبي كل شك في وجود ما يسبب السرطان في دخان السجائر . وعلى الرغم من ان المدخنين يزيدون ٧٠٪ في تعرضهم لسرطان الرئة عن غير المدخنين فان خطر التدخين ليس مقصورا على الرئة فقط اذ ان المدخنين معرضون لسرطان الفم والشفتين والحنجرة والمريء والمعدة والمثانة ، وهناك عديد من الامراض قد يتسبب التدخين في احداثها في اجزاء مختلفة من الجسم يصعب حصرها منها

المدخنين

على سبيل المثال قرحة الاثنى عشر ونوع من العمى يسمى عمى التدخين .

ولا يقتصر شر التدخين على المدخن وحده ، بل يتعداه الى أبنائه الذين لم يولدوا بعد . فالنساء المدخنات تعسر ولادتهن وتكون الاجنة في غير موضعها في أرحامهن اكثر من غير المدخنات كما أن أطفالهن يكونون اخف وزنا من اطفال غير المدخنات .

ولكن ما بال المدخين يزداد انتشارا بين البشر على الرغم من هذه الشرور التي تصاحبه ؟

ان غير المدخنين يتصورون ان هذا شيء غير مفهوم وخاصة عندما يتأذون برائحة الدخان حيثما وجدوا خارج منازلهم .

ويمكن تقسيم المدخنين الى أربع طوائف :

١ ـ المدخن الاجتماعي .
٢ ـ المدخن الفرويدى (نسبة الى فرويد)
٣ ـ المدخن للهروب .
٤ ـ المدخن المدمن .

اما المدخن الاجتماعي فمن المحتمل انه بدأ التدخين بتأثير زملائه او والديه ، وهو يجنح الى التدخين لاستكمال نقص في ذاته وتغطية قصوره .

والمدخن الفرويدى مغرم بالتأثير الحسي للتدخين وخاصة على الفم وهو عادة يدخن اثناء القراءة او الكتابة او الراحة وغالبا مصاحبة شراب او بعد وجبة طعام .

اما الذى يدخن للهروب فانه يشعل السيجارة ليهدئ اعصابه ويحاول الوصول الى الراحة من القلق والتوتر ، وفي بعض الحالات تكون عملية التدخين مخرجا من (العصبية) حيث يتخيل المدخن ان التدخين مخرج للطاقة العصبية ويساعده على التفكير الصافي .

اما المدخن المدمن ، وهذا هو الذى أسره النيكوتين وهو الذى لا يستطيع التوقف عن التدخين مدة نصف ساعة وهذا النوع من البشر يفطر على السيجارة وينام عليها وهؤلاء قد ابتلوا بسيطرة النيكوتين على دمائهم تماما مثل مدمن الهيرويين . وكل هؤلاء الاربعة ليس فرضا لازما عليهم ان يدخنوا ، نعم لعل المدمن هو اصعبهم حالا اذا اراد ترك التدخين . ومن الحقائق انك لا يمكنك الاقلاع عن التدخين مادمت قد تذوقته وتلذذت به وهنالك ثلاثة من بين كل اربعة مدخنين يحاولون الاقلاع عن هذه العادة القذرة السمجة دون أن يوفقوا ....

وهنالك محاولات لايجاد ادوية لرفض التدخين من حبوب ضد التدخين التي تحتاج وصفة وعيادات لعلاج التدخين والتنويم المغناطيسي وغير ذلك . ولكن العلاج الحقيقي في النهاية هو قوة ارادة المدخن واستعداده النفسي وتخطيطه لنفسه تطوير الافكار .

والعلاج للمدخنين الذين لم يستطيعوا الاقلاع بعد ، وجعلهم يطلقون اخر سيجارة في ايديهم دون التفكير في اشعال اخرى ، نسوق الخطوات التالية :

١ ـ الخطوة الاولى : عين يوما قادما ، وحبذا يكون يوم عطلة ، تقلع فيه عن التدخين بعد اسبوع او اكثر من عقدك العزم على ذلك .

٢ ـ الخطوة الثانية : حاول خلال المهلة التي اعطيتها لنفسك التدرج في التقليل من عدد السجائر ، وعود نفسك ان تصبر ربع ساعة قبل الاستجابة لرغبتك في اشعال سيجارة ، وقد يكون مفيدا ان تبدأ في استخدام نوع من السجائر لا تحبه .

٣ ـ الخطوة الثالثة : عندما يحل اليوم الموعود لا تؤجله واخبر اصدقاءك وزملاءك في العمل انك قد اقلعت عن التدخين . واذهب دائما الى حيث لا يوجد تدخين ، واعدم كل (طفايات) السجائر حولك . وتجنب اصدقاءك المدخنين لعدة ايام بعد الاقلاع ، وحاول ان تغير من اساليب تحركك التي كانت تدعوك لاشعال سيجارة .

٤ ـ الخطوة الرابعة : ضع لنفسك جدولا تبين فيه المدة منذ اقلعت عن التدخين وكم من المال توفر لك .

وفي الاسابيع الاولى للاقلاع عن التدخين سوف لا تتبدى لك فوائد الاقلاع عن التدخين وذلك من جراء عدم الراحة والانفعال والقلق والهبوط واحيانا عدم القدرة على التركيز ولكن عندما تنتهي تلك الفترة فان العديد من الفوائد الجسمانية ستتبدى لك واضحة مثل انقطاع السعال ، وتحسن التذوق للطعام وتحسن حاسة الشم وازدياد الحيوية .

وكدليل على التلف الذى سببه التدخين فان الانسان يحتاج الى عشر سنوات ليعود الى تذوق الحياة كما يتذوقها غير المدخن السليم .

واذا لم تقتنع للاقلاع عن التدخين بما سبق ففكر فيما يلي :

في المتوسط يموت المدخنون قبل عشر سنوات من غير المدخنين ، وكلما كثر السجائر التي تدخنها كلما شاء الله بتقصير اجلك قالها طبعا لبعض الحسابات . دون اعتماد على الشواذ ..

واذا كنت اضعف من ترك التدخين فلا اقل من ان تقلل منه في العدد والكمية .

وعسى الله ان يلهم كل مدخن ان لا علاج لهذا الداء الا الاقلاع عنه ، ولنا في عالم المادية بعض المثل العليا ضد التدخين فالبدو عادة يسمون المدخين (بارد الوجه) لانه يدفعك الى طلب السيجارة حين الحاجة اليها ممن تعرف ومن لا تعرف بينما تستحي ان تطلب طعاما وانت جائع ممن لا تعرف ..

لذا تفتقد جاذبيتك بملء شعرك بالكيمياويات التي تستخدم لصناعة الغراء والاصباغ (البوهيات) .

التدخين يهيج عينيك بحيث لا ينفع بعده أي دواء أو قطرات .

رائحة الدخان ليست سارة وكم من اصدقاء افترقوا نتيجة تلوث الاسنان بلون ورائحة الدخان .

وليس هناك شيء منفر مثل اللون الاصفر الذي تتركه السجائر على اصابعك .

مهما اعتنيت بملابسك فان رائحة السرطان تفسد هذا كله .

يحجز المصفي قليلة من القطران السجائر والنيكوتين وغيره من الكيمياويات دون الوصول الى الرئتين . ولكن الرئتين قد اصبحتا فعلا بقذارات من تكرار التدخين .

لعل اقل اجزاء السجائر ضررا هو رمادها ولكنه ايضا قد يحرق اثاثك او ملابسك .

الدخان يدخل في عينيك وانفك وشعرك وتتهيج به عيناك ويتلوث به تنفسك وتتسخ اظافرك واصابعك .

ما في الا (شفطة او شفطتان) حتى يتشكل حلقك من جراء النيكوتين وغيره من سموم السجائر .

اذا كنت تدخن ثلاثين سيجارة الى هذا الحد فان عليك ان تتراجع لان دقات قلبك ستزداد سرعة الى الموت وتكتسي رئتاك بمخلفات المواد الكيماوية .

الأدويـــة والعقـاقـيـر

لعل مشكلة المخدرات في الغرب تنحصر في اولئك النسوة من ربات البيوت اللاتي ادمن المهدئات وحبوب الهلوسة ، بسبب القلق والتوتر وغير ذلك من اعراض الحياة المعاصرة التي نشا عنها ان مئات الآلاف من الناس يلجاون الى الحبوب لكي يستطيعوا النوم في هذا العصر المخيف .

وحبوب الباربتيورات مهدئة تتسبب في تقليل وصول الدم الى الدماغ والترجنا انها تزيل التوتر العاطفي وتؤدي الى نوع من الراحة ولهذا يلجا اليها الناس للتخلص من توترات الحياة والزواج والعمل . وهذه الحبوب شائعة بين النساء المتوسطات العمر اللاتي يعانين من الوحدة والاحباط من مثل اولئك اللاتي يقضين جل وقتهن في المنزل بلا عمل . ويؤدي تعاطي هذا العقار الى الادمان والحاجة الى عقار مضاد ، والاقلاع عن هذا الادمان اصعب من الاقلاع عن ادمان الكحول او الهيروين ، مما يؤدي الى حالات كثيرة من الانتحار .

وقد ثبت ان تعاطي تلك الحبوب مع ادمان السكر بالخمر قاتل مميت .

اما المهدئات الاخرى فقد ثبت انها ايضا تسبب الادمان والاستمرار في تعاطيها يؤدي الى استمرار الاكثار منها باستمرار ، اللهم الا اذا امكن تحديد الكميات بحزم .

وليس الادمان المادي هو المشكلة فنحن في المجتمع المعاصر تعودنا للاسف ان نعالج كل ادوائنا بالحبوب سواء كانت الادواء حقيقية او تصورية ، حتى اصبح مجرد تعاطي الحبوب ، بصرف النظر عن حقيقة مفعولها ، يؤدي الى تصور الشفاء .

وهنالك اطباء يجنحون الى اعطاء حبوب لمرضاهم لمجرد اشعارهم بان هذا هو طريق العلاج ولعل في الجهد التجاري لدى شركات صنع الادوية سببا رهيبا في قناعة الناس اليوم بضرورة اخذ الحبوب من جراء الاعلانات والدعاية التي تضيفها الشركات على حبوبها . فمثلا نجد ان معدل بيع الاسبرين يزداد باستمرار وفي امريكا ، او الافلات ، نجد ان الدعاية لبيع الاسبرين لم تزد تفوق الوصف بحيث يأخذ كل امريكي قرصا من هذا العقار كل اربعة ايام . والاسبرين قد ينجح في ازالة آثار الصداع ولكنه لا يزيل مسبباته ، ومعظم انواع الصداع تنجم عن ضغوط عاطفية تزيد الى القوت ، وذلك فان اي علاج طويل الامد يحتم التخلص من علاج السبب لا التاثير .

وقد يكون سبب الصداع احيانا في دماغ الانسان وفكره . وقد يذهب صاحب الصداع للطبيب مذهولا مضطربا فينصحه الطبيب بالاسترخاء وعدم تقطيب الجبين فيذهب الصداع للتو دون حبوب .

وعلى الرغم من ان الاسبرين اقل ضررا من الحبوب التي تعود الانسان على الادمان فان له آثارا جانبية غير سارة ، فهو مثلا (يقلب المعدة) ويسبب الامساك والغثيان وفي حالات تفاعلات الحساسية الشديدة فقد يسبب الاسبرين نزيفا من جدار المعدة .

ويلي الصداع اهمية في دفع الانسان لطلب الدواء الامساك وسوء الهضم والاسهال .

وهنالك ادعاءات مبالغ فيها من صناع الادوية يعلن عنها لشفاء سوء الهضم ، وهنا ننسى الحقيقة في ان السبب الاساسي لسوء الهضم هو ان الواحد منا ياكل الطعام غير المناسب او يلتهم مقادير فوق حاجته من الطعام ، اي ان العلاج ليس حبة ولا سفوفا ولا اي دواء انما هو الامتناع عن الخطا في الطعام سواء من حيث النوع او الكم ، تماما كما يقول الإسلام ..

والامساك من الامراض التي يسيء الناس فهمها . فهم يعتقدون ان المعدة السليمة تحتاج للتفريغ كل يوم في ساعة محددة ولكن الحقيقة العلمية هي ان المعى الغلاظ تتوقف على الشخص ، فقد يمكنه ذلك ثلاث مرات في اليوم وقد يكون آخر غير قادر على ذلك الا كل ثلاثة ايام او حتى اربعة ايام . وكلا الشخصين (عادي سليم) واذا كان هنالك امساك حقيقي فان العلاج الصحيح هو ان يتناول المرء في طعامه كمية من (الالياف) فيزول الامساك بتناول الحبوب الكاملة (بنخالتها) او باكل الخضروات والفاكهة والسلطة .

ومن الحبوب الشائعة الحبوب المنومة وهذه قد تكون مهدئة او مسكنة او منومة . وهذه الحبوب بانواعها تسبب الادمان ولو من الناحية النفسية . فاذا ما وصل المرء الى حالة قناعة انه لن ينام الا بالحبوب المنومة فانه قد لا ينام قط بلا تلك الحبوب الا اذا تداركه الله بالتعقل والاقلاع عن تلك الفكرة الخاطئة .

ومن الغريب انه على الرغم من تلك الكميات الرهيبة التي تستهلك من الحبوب المنومة فان الاطباء لا يعثرون الا على القليل من المرضى الذين هم فعلا لا ينامون لحالة مرضية وعلى الرغم من ان هنالك حقائق كثيرة لا بد ان نعرفها عن النوم وعاداته فيبدو ان اول مايزعجنا هو عدد ساعات النوم والحقيقة ان المهم ليس عدد ساعات



النوم ولكن (نوع) النوم هو المهم .
وفي ختام المطاف فان المرض الحقيقي الذي تعاني منه البشرية المعاصرة هو عدد تلك الحبوب التي تخرجها المصانع لتصنع بها تجارة رائجة في الوقت الذي قد لا تكون بالناس حاجة حقيقية لهذه الشرور الصناعية المستخدمة .

الإجهاد والتوتر

ليس هناك جديد عن الإجهاد العصبي أو التوتر ونحن نعرف أن جسم الإنسان مزود من لدن الخالق تبارك وتعالى بجهاز الى للدفاع عند وقوع نذر الخطر حيث يفرز الجسم زخة من الهرمونات الى الدم تعاون الجسم على الفرار او تعطيه الشجاعة للثبات والقتال . وهذا التفاعل المعروف علميا باسم (الهرب او الحرب) لا يزال هو المعوان للجسم على مقابلة الأخطار.

ولقد أدت الحياة الاجتماعية المعاصرة الى ان الانسان اليوم نادرا ما يحتاج للحرب او الهرب فعند ذلك تكون شحنة الهرمون التي يفرزها الجسم أمرا غير ذات جدوى وتظل الاحماض المتدفقة سائرة في الدم مسببة ضررا للجسم، فعلى سبيل المثال عندما تكون ممسكا بسيارتك وتعترضك سيارة اخرى فان الجسم ، جسمك ، يعد نفسه لهذا الخطر ولكن الفعل الوحيد الذي تستطيع عمله هو ان تضغط على فرامل السيارة او تنفس عن غضبك باطلاق نفير السيارة .

ونجد ان الغضب والقلق والاكتئاب تسبب كلها ما نسميه بالتوتر السيكولوجي الذي يتسبب في نتائج متلفة كالعصاب والهبوط . اذا لم يستطع (الهرب او الحرب) والتوتر مصاحب ملازم لكل انسان في بيئتنا هذه الصناعة وقليل من الرجال الأقوياء العزيمة هم الذين يستطيعون ان يكونوا في منجاة من التوتر والاجهاد . ومن مسببات الاجهاد العصبي الضوضاء والتجمهر والجو وصناعي العمل والمشكلات المالية ومشاكل الحب والعلاقات المعيشية مع الآخرين والامتحانات الدراسية وكل أنواع القلق او الحاجة الى الترفيه .

أما كيف يتفاعل الافراد مع الاجهاد فان ذلك راجع الى شخصية كل منهم . فبعض الناس يبدو انهم يعيشون على الأزمات ويرحبون بالمشاكل وبعض الناس يمكن ان يرتموا في الفوضى اذا زادت مسئولياتهم او اذا حدث لهم شيء مفاجيء .

ولقد قسم الباحثون الامريكيون الاشخاص الى نوعين ، بالنسبة لتقبل التوتر . فهناك النوع ا وهو يشمل الاشخاص الطموحين القليلي الصبر والسريعي الكلام والذين يطلبون التحدي اما النوع ب فهم اكثر استرخاء وواقعيين ومكتفين وسهلي الاداء . وقد دل البرهان على أن النوع ا أكثر مواجهة للتوتر والمعاناة من تأثيراته وخاصة امراض القلب . ولا يمكن إيجاد ضبط واع على تأثير التوتر البيئي والذي يحدث ان اشارات من المخ توجه الجسم للعمل ازاء الاحداث . ويقوم الجهاز العصبي المركزي في البداية باطلاق الهرمونات القوية وخاصة الادرينالين والنورادرينالين في الدم . وهذان الهرمونان يزيدان في معدل وقوة نبضات القلب ولهذا فان مزيدا من الدم يندفع الى العضلات ، كما أن مزيدا من الاوكسجين يحصل عليه الجسم لانبساط القصيبات الهوائية وينقبض الطحال ليفرز مزيدا من كرات الدم الحمراء لتحمل هذا



الاوكسجين ، كما ان مزيداً من الطاقة يتأتى من جراء اطلاق مزيد من الجلوكوز من الكبد . كما يطلق الجسم مزيداً من الاحماض الدهنية والكوليسترول لتكون جاهزة لتجلط الدم اذا حدث جرح من جراء الحرب .

وتنقبض الاوعية الدموية التي في الجلد لتزيد تدفق الدم كما ان حدقة العين تتسع ليصبح من الممكن رؤية اكثر .

وقليل من هذا الجهاز الانذاري المعقد يمكن الاحساس به بدنيا . فيمكنك الاحساس بازدياد او تضاعف عدد نبضات قلبك عند التوتر كما انك قد تشعر بتصبب العرق وقد (يتشنج) كما ان تنفسك قد يثقل ثقلا واضحا .

وكل هذه المؤشرات تدل على ان جهاز الانذار قد بدأ في عمله . والمشكلة الكبرى ان نظام حياتنا المعاصرة لا يساعد على (الهرب او الحرب) ولهذا فان ذلك التوتر الدائم يؤدي الى زيادة الاجهاد والقرحات والمغص المعوي ومتاعب القلب والسكتة . وهنالك خطر اقل شأنا يصاحب التوتر العصبي فمثلا القلق يؤدي الى فقدان الشهية للطعام . وهذا راجع الى ان فتحة المعدة تقفل اليه تماما كما يحدث لحيوان في مرعاه شعر بخطر مفاجيء .

ولوجود اختلافات شخصية بين الافراد فانه ليس هنالك علاج تام للشفاء من التوتر فهو دائم مصاحب لمعظم الوظائف وخاصة تلك التي يشغل صاحبها عملا مكتبيا . وقد امكن اثبات ذلك في احصائية قام بها الباحثون في (التيمس) لندن اذ وجد ان السائقين اكثر تعرضا للازمات القلبية من قاطعي التذاكر . فالسائقون مربوطون في مقاعدهم وليس لهم مخرج بدني من جراء التأزم الناجم عن حركة المرور المكتظة . اما قاطعو التذاكر فانهم يتحركون بين الركاب فليسوا جليسين في مكان واحد .

ولعل حالة المخ هي العامل الحيوي في تلافي التوتر ويمكن تفسير ذلك بمثال السائقين الذي اسلفنا . فالسائقون يجلسون ويحدجهم الركاب فهم دائما عاجزون لأن المرض طريقهم معترض ويتساءلون الهروب من اشارة المرور ومصممون تركا بغيرهم من مستخدمي الطريق بالبداهة لمنع حالة الاهانة بالتوتر في الجسم .

والعدوان خلف عجلة القيادة ليس خطرا فقط ولكنه لا يطور قطعي ومعتبره هكذا يمكن ان يكون الخطوة الاولى نحو تخفيض مستويات التوتر في مثل تلك الاحوال .

ومن الضروري ان لا تأخذ معك مشاكل العمل الى المنزل مساء . ومن هنا يمكن للانسان وزوجته ان ينسيا مشاكل النهار والهوايات والرياضة من انجح الوسائل لتقليل التوتر العصبي . ولكي تسترخي من عناء عمل فكري لا يلزمك بالضرورة أن تسترخي جسمانيا وتسترخي . فاذا كنت جالسا خلف مكتبك طوال النهار فانك يمكن ان تسترخي بالقيام ببعض التمرينات الجسمانية .

والتوتر ليس مشكلة يمكن علاجها من جذورها وهنالك القليل من الفائدة ان تقول للانسان مثلا (هون عليك) او (لا تغضب) او (لا تحبط نفسك) لان القلق والعدوان والاحباط من سمات العيش في القرن العشرين .

وبالوصول الى حالة من التوازن بين العمل واللعب وبين المخ والجسم فيمكن تقليل اذى التوتر . فمحاولة التوفير في الوقت لكي تتمس بعض مباهج الحياة كأن تلعب مع اطفالك او تسير بكلبك او تتسلى مع شريك حياتك يمكن تقليل مشكلة التوتر .

واذا فشل ذلك كله فان طرق الاسترخاء كالتأمل والصلاة والدعاء والقاء الشكوى الى الله تعالى من خلال الايمان بانه هو المالك لناصيتك ومصيرك سوف تفعل المعجزات لا سيما اذا عرفت كمسلم لو كتابي ان اهل الوثنية كأتباع اليوجا يلجأون الى الصلاة والطقوس الوثنية للفكاك من التوتر والاجهاد العصبي فما بالك بمسلم يؤمن بان الله هو الاول والاخر والظاهر والباطن وانه في ملكه يفعل مايشاء سبحانه ؟

تماما كهذا الحبل نجد الجسم الانساني يصل الى نقطة التمزق . لا تدع التوتر والاجهاد والقلق تأخذ منك حياتك . استرخ اكثر وانظر مسافات وانت تفكر في المشكلة فربما كانت اقل اهمية مما كنت تتصور اول الامر .

حياتنا المعاصرة

اعاني من ارهاق مستمر وتوتر بسبب بكاء طفلنا الذي لا نستطيع بالرغم من كل محاولتنا تلبية كل طلباته وهو يختلف في ذلك كلية عن اخته التي تكبره بعامين - الطبيب لا يجد به علة ويقول هذا طبيعي ونحن لا ندري ماذا نفعل؟
فماذا تنصحين؟

س. م. عبد الحميد
البحرين

الاطفال والبكاء

البكاء وسيلة يطلب بها الاطفال العون والراحة والاطمئنان.

والاطفال لا يبكون من فراغ بحكم العادة او لتدريب رئاتهم. وعلى الرغم من ان نغمة بكاء طفلك قد تبدو واحدة الايقاع والوتيرة في اول الامر الا انه لن يمضي بك كثير من الوقت حتى تدركين ان للطفل نغمات مختلفة من البكاء. حتى انه سوف يمكنك بعد زمن قصير ان تدركي ان البكاء لغة للطفل تعني اشياء مختلفة وسوف تستطيعين ان تعرفي من نغمة البكاء ماذا يريد طفلك.

وفي العادة تكون حاجة الطفل بسيطة غاية البساطة. فقد يكون الجوع قد عصره او انه يريد منك ان تحمليه او تهزيه وتناغيه او قد يكون متأففا من البرد. وعندما توفقين في معرفة معنى نغمة البكاء فانه سوف ينقطع حالما تستجيبين لطلبه خلال دقائق. وفي بعض الحالات فان الطفل لا يهدأ فورا حتى ولو بدا انك تعرفين مطلبه. ولا شك ان هنالك اطفالا يبكون اكثر من غيرهم واطفالا صعبي المراس لا يرتاحون بسهولة. ويصعب احيانا معرفة لماذا يجنح

راي في مشكلتك

طفل من الاطفال الى الانتحاب ويصعب على والديه ان يستريحا او يهدأ بالهما رغم محاولاتهما لاراحة طفلهما واليك بعض الاسباب والعلاجات التي قد تفيد عندما يصرخ طفلك الوليد.

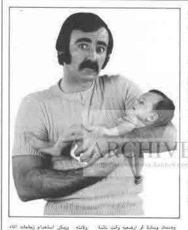
الجوع هو اكثر الاسباب احتمالا لبكاء الطفل في الاسابيع الاولى بعد ولادته، ولهذا تنصح باعطائه طعامه حتى ولم تمض الا ساعة على وجبته السابقة. والاطفال الذين يرضعون اثداء امهاتهم يحتاجون الرضاعة مرارا وتكرارا حتى يبلغوا الاسبوع السادس من اعمارهم وهذه الطريقة تعين الام على الادرار المستمر ولهذا تنصح الامهات بالا يتقيدن بالمواعيد كتلك التي في المستشفيات لان الطفل قد خلق الله العديد منه بساعة البيولوجية عن

بمقتضى توقيتها الرباني كلما جاع والاطفال الذين يرضعون صناعيا يحتاجون للثدي الصناعي اكثر مما تتوقع بالحساب ولهذا ارضعوهم عند حاجتهم هم لا بمقتضى تلك المواعيد التي تسجلها الاطباء. وقد يحتاج الطفل في رضعة الى كمية اكثر من اللبن من تلك الكمية في رضعة اخرى ولهذا ننصحك بان تذيبي له كمية من اللبن اكبر من المقرر لان الكميات الموسومة على علب حليب الاطفال كميات تقريبية لان الاطفال افراد ادميون مختلفون.

وعلى الام ان تكون دقيقة في عيار مسحوق الحليب جدا كما ينبغي عليها ان تكون دقيقة ايضا في عيار اناء المغلي لاقرب اوقية او ملليلتر. وعليها ايضا ان تتاكد ان الثقب في حلمة الثدي الصناعي متسع







بحيث يسمح للطفل بالحصول على اللبن من الرضاعة بسهولة ، وهذا يتبين برفع الزجاجة بعد ملئها الى اعلا وملاحظة نزول الحليب من الثقب على هيئة نقاط ولا ينسكب انسكابا

واذا كان طفلك يبكي قبل الرضعة فغيري له لفته بعد الرضعة ، فاذا استمر في البكاء بعد الرضعة فلا بأس ان تسنديه على ذراعك اليسرى وتقربيه من صدرك ليسمع دقات قلبك . واذا لم يجد معه ذلك فدعيه يرضع (البزازة) لمدة اطول ليستريح ثم ضعيه في كرسي لمرفقك وانت تعملين .

وعند المساء ايقظيه لرضعة الليل في السرير وعندما يبدأ في البكاء ليلا ارضعيه على الفور ولا تخدعيه بشربة من الماء او (المصاصة) لأن اللبن وحده هو الذي سيسكته

وضعي مهده بالقرب من سريرك بحيث تستطيعين التقاطه دون عناء وهو لا يزال شبه نائم . وغيري لفافته بعد رضعته وغطيه جيدا وعند ذلك سوف يستغرق في نومه ولا بكاء

وتذكري أن تكون مطالبه بجانبك قبل النوم حتى لا تتعثري في الانتقال لاحضارها

واذا لفظي طفلك جيدا فانه سوف ينام في هدوء لا سيما اذا تركت يديه حرتين ليمصهما اذا اراد

الخوف

سوف يبكي الطفل عندما يفزع من جراء الاصوات العالية او الاضواء الشديدة او التحرك بشدة اذ أن تلك الامور تثير فيه غريزة الخوف من السقوط او عندما يحمل بدون عناية . وقد يبكي الطفل عندما يسمع صياحا غاضبا ولكنه ينام جيدا على صوت الكلام العادي بالمنزل

واذا اردت حمل الطفل فتكلمي معه برفق لتدعيه ينظر اليك واحمليه جيدا مع سند رأسه وظهره . وحاولي ان تحذريه قبل ارتفاع طفلك وقبل حمله لأنه سوف يكون حساسا جدا لحركاتك وانفعالاتك

واذا كنت متعبة فتسحري بين الطفل وجسمك وسادة او ارضعيه وانت نائمة بجواره على جنبك

البرد :

يحب الاطفال الدفء كثيرا جدا لاسيما بعد خروجه من المستشفى . ويمكن اسكات بكاء الطفل الناشئ عن البرد بنقله الى غرفة اكثر دفئا . ومن الاطفال من يتسبب البرد في اصابتهم بعدم الحركة وهؤلاء يحتاجون للطبيب فورا . واذا كان طفلك كثير البكاء بسبب البرد فجربي نقله الى غرفة دافئة (٧٥ درجة ف - ٢٥ درجة م) ولا تحاولي نقله الى الامكنة الباردة الزمهرير في الاسابيع الستة الاولى بعد ولادته . ويمكن استخدام زجاجات الماء الساخنة لتدفئة الاطفال

التهيج :

الرضاعة تهدىء الطفل غير الجائع في الغالب . وتستعمل البزازة عادة للطفل الذي لا يرضع ابهامه او اصابعه .

ويجب أن يكون لديك بضعة (بزازات) كما يجب تعقيم البزازة مرارا بالماء المغلي او اي سائل مخصص لتعقيم الزجاجات .

الحمام :

كثير من الاطفال يبكون اذا عروا حاولي ادخال الطفل للحمام قبل الرضعة واغسلي رأسه ووجهه وكتفيه قبل رفع (الكافولة) ثم اغسلي جسمه من اسفل بعد رفع الكافولة ثم

رأى فى مشكلتك



الفى طفلك فى فوطة جافة نظيفة ثم امسحى جسمه بالصابون جيدا قبل تغطيسه فى ماء الحمام.

فاذا لاحظت أن طفلك يسعل بعد الحمام فاطرقى الحمام أسبوعين واكتفى بمسحه بفوطة مبللة دافئة.

القرب :

بعض الاطفال يحبون التحريك والمناغاة والقرب من الناس اكثر من غيرهم ويتوقفون عن البكاء اذا ما حملوا وهذا أمر طبيعى وليس عادة قبيحة. استخدمى المهد المعلق كذلك الذى تستخدمه المرأة الهندية لتحملى طفلك دائما على ظهرك اذا كانت تعتنين ببيتك.

وهنالك من الاطفال من يسكت بمجرد سماع الموسيقى الهادئة أو ما يشبه دقات قلب الأم وقد ينفع مع بعض الاطفال السرير الهزاز بمعدل ستين هزة فى الدقيقة ويمكن أن تهدئ الطفل فى عربته وأنت تجريه فى النزهة أو اذا حملتيه فى سيارتك.

المغص الليلى :

اذا بكى الطفل فى الليل اكثر من بكائه نهارا فهذا غالبا يرجع الى المغص وعلى أى حال اذا كانت نغمة البكاء هادئة فجربى ارضاعه أو حمله ومداعبته فاذا سكت فمعنى ذلك أن ليس هنالك (مغص مسائى) حيث أن (المغص المسائى) نادر ولكنه

يصحب البكاء [illegible] الاطفال [illegible] [illegible] الطفل [illegible] [illegible] [illegible] الى [illegible] وعندما الطفل تعود عادة وفترة المغص والرضعات أو بعدها تحدث كل ربع ساعة أو نحوها مع الاسترخاء فيما بينها. وليس من ممكن للطفل فى هذه الحالة الا حمله ومداعبته وهذه الفترات الليلية قد تستمر لثلاث ساعات وتتكرر يوميا حتى تنقطع فجأة كما ظهرت فجأة.

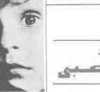
وسبب المغص الليلى ليس مفهوما بعد على الرغم من اننا نظن انه راجع الى عدم نضوج الجهازين العصبى والهضمى، ونحن نعرف انه ينتهى بعد الاسبوع الثامن من عمر الطفل ولا يخشى منه بعد ذلك اى ضرر، والاطفال الذين يصابون بتلك الظاهرة عادة ما يكونون اصحاء ممتلئين ولعل الامهات هن اللاتى يتحملن آثار ذلك المغص. وعلى أية حال فان الطبيب يستطيع معاونة الامهات بدواء يسمى (دايسيكلومين هيدروكلورايد أو ميرينتل) وهو يخفض تقلص العضلات فى القولون اذا اعطى للطفل قبل نصف ساعة من الرضعة التى تتبعها تلك التقلصات.

الاجازات :

كل الامهات الحديثات يحتجن الى الاجازات. والأم ذات الطفل البكاء أحوج من غيرها للاجازة. ولذلك فعلى الأم أن تستغل الرضعات قصيرة والطفل شبه نائم، وعليها أن تسبق بعمل ما يريح الطفل فى النهاية حتى ولو أدى ذلك أن يهام معها فى سريرها.

والاطفال فى جميع أقطار العالم ينامون مع امهاتهم دون أدنى ضرر، وليست هنالك حاجة لبدء عادة لا تنفصم اذا بدىء بها فى تلك السن الغضة، وعلى الأم فى أثناء النهار أن تنام هنيهة عندما يكون طفلها نائما وعليها أن تسترخى تماما كما كانت أثناء الحمل، وذلك يبعد عنها التوتر ويساعدها على الهدوء.

ومن العسير طبعا أن تترك الأم طفلها البكاء لأحد من الناس، ولكن الام فى حاجة ماسة أن تجد انسانا كل اسبوع مرة يحمل طفلها بعيدا عنها لساعة أو نحو ذلك. اذا وجدت ذلك الانسان فاتركى فى حوزته بعض حليب ثديك أو الحليب الصناعى محفوظا فى زجاجة معقمة تعطيه لطفلك عند اللزوم. وكان عليك اختيار الشخص الذى ستتركين طفلك اليه (للاجازة) والاطمئنان على قدرته فى ذلك. ويمكن للوالدين أن يتعاونا على العناية بالطفل ومن الآباء من يتقنون ذلك تماما ويصبر مرهق، وهذا يساعد على انقطاع الطفل عن البكاء الزائد ويطلق منه طفلا ذكيا نبيها.



بمناسبة العام الدولي للطفل

الطفل العصبي

د. عبد الرحمن عيسوي

تعرض لمشكلة من مشاكل الطفولة التي يكثر انتشارها بين كثير من الأطفال الا وهي مشكلة ما يطلق عليه بالعامية « الطفل العصبي » وان كان هذا الوصف لا يطابق طبيا مرضا معينا وانما يصف ذلك الطفل الذي يعاني من شدة القلق فتراه لا يستطيع التركيز على نشاط معين بل كثير التنقل من نشاط الى آخر أو من اهتمام الى آخر قبل أن ينتهي ما بدأه . والطفل العصبي هو الذي يثور ويغضب لأتفه الأسباب وقد يثور بلا سبب على الاطلاق وتراه اذا احبط في دوافعه أو تأخر في اشباع حاجاته تراه يرتمي على الارض صارخا متشنجا يشد شعره ويخبط بأقدامه على الارض ويحطم ما تقع عليه يداه ، يبكي بكاؤه عاليا وقد يجري وهو في صحبة امه في الطريق ويمتنع عن مواصلة السير وقد يغضب ويعتريه الغضب فيضرب أو يعتدي او يعض أو يدمر ويكسر ما تقع عليه يداه أو يطلقه . وهو يصر على التمسك بما يشاء دون مراعاة للامكانات المادية او لحقوق الغير ، وكأنه لا يوجد في العالم سواه . وهو متقلب المزاج سرعان ما يتحول من الضحك الى البكاء ، وقد يبكي أو يضحك بطريقة هستيرية ، وقد يثور او يغضب أو يهيج بصورة لا تتناسب مع كم وكيف ما وقع عليه من مثيرات وذلك لأنه في المقام الاول يعاني من عدم النضوج الانفعالي .. وهو حاد المزاج سريع الغضب متقلب يميل الى العدوان والتدمير وقد تجعله كثير الحركة والتنقل والغضب نحيلا ضعيفا وقد تؤدي ايضا الى قلة اصدقائه وقد يعاني من فقدان الشهية . تلك هي مشكلات الطفل العصبي السلوكية وهنا يجدر بنا ان نتساءل عن أسبابها .

أسباب العصبية

« العصبية » تنشأ في كافة أنماط السلوك ومختلف ألوان سمات الشخصية ترجع الى العديد من العوامل الوراثية أي تلك التي تنتقل من الآباء والأجداد الى الذرية عن طريق ما يعرف بلغو الجينات أو ناقلات الوراثة . وقد ترجع الى خلل في افرازات الغدد الصماء كالغدة الدرقية في الغدة الاخرى وكذلك قد ترجع الى بعض العوامل البيئية المكتسبة من خلال التعلم السلوك العصبي الذي يشاهده الطفل من خلال العضو ... الاسرة ... العصبية عند الطفل التي ... الانماط العصبية ... أيضا من العصبية حيث تنتقل اليه سماتها وانماط سلوكها وعاداتها الانفعالية والسلوكية . كذلك قد ترجع الى تبني السلوك العصبي اذا وجد انه يحقق اشباع حاجاته فاذا طلب الطفل من أمه شيئا ما واذا رفضت تلبية طلبه هاج وماج الطفل واذا رضخت له واستسلمت لتمرده وثورته وأجابته الى طلبه كان أميل الى اتباع هذا الأسلوب كلما أراد قضاء حاجة معينة أما اذا أصرت الام على عدم الخضوع والاذعان لثورة الطفل فانه ينصرف عن هذا النمط في السلوك بحثا عن أسلوب آخر يحقق به أهدافه . كذلك قد تؤدي سياسة الافراط في تدليل الطفل والخضوع له وتلبية حاجاته الى الثورة والتمرد والعصبية فاذا ما أحبط في موقف ما ثار ذلك لأنه لم يتدرب على تحمل خبرات الاحباط والفشل ولم يألفها ومن هنا كان لابد من أن نعرض أطفالنا لبعض خبرات الاحباط أو على القليل نربي فيهم القناعة بأن هناك بعض الأهداف التي لابد من الانتظار والتأني حتى يمكن اشباعها وان هناك أهدافا أخرى لا يمكن اشباعها اطلاقا .

كذلك قد يميل الطفل الوحيد الى مثل هذا النمط العصبي في السلوك لأنه لم يتدرب على الاخذ والعطاء مع غيره من الاطفال . وبالمثل قد يتعرض لمثل هذه الحالة الطفل الذكر الذي يأتي بعد عدد كبير من البنات . وقد تصيب هذه الحالة الطفل الاول أو الطفل الاخير أو الطفل المنبوذ .

وقد يأتي الغضب والثورة والتهيج نتيجة لحرمان الطفل من فرص التعبير عن ذاته وتصريف طاقته العصبية نتيجة لفرض الآباء حوله سياجا من الاوامر والنواهي والصمت والمنع والقمع والكبت فلا تعبير عن الذات ولا ممارسة للأنشطة الرياضية أو الترويحية أو الترفيهية أو الكشفية أو الثقافية او العلمية تلك التي تمتص فائض طاقته الزائدة وتحسن تصريفها واستغلالها في القنوات الايجابية التي تؤدي الى شخصيته وتنشئتها وبنائها بناءا سليما .

وتعرف هذه العملية باسم عملية الاعلاء أو التسامي بالدوافع العدوانية والفطرية والحيوانية في الطفل بدلا من استخدام طاقاته في الهدم والتدمير أو انعكاسها في شكل ثورة وعصيان تتجه به نحو النشاط الايجابي الفعال كالأنشطة الرياضية والترويحية والترفيهية والثقافية المنظمة التي تؤدي تحت اشراف المتخصصين والتي تجعل منه مواطنا صالحا ايجابيا ومنتجا . وقبل كل شيء ينبغي أن تتعرف الاسرة على الاسباب التي تؤدي بالطفل الى السلوك العصبي ثم تعكف على علاجها



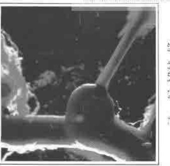




انكسار في الشريان

قال ليناريت نلسون يدرس الجسم الانساني بآلات تصويره زهاء عشرين عاما . ولكنه عندما التقط هذه الصورة اعتبر نفسه محظوظا واعتبر تلك الصورة صورة الموسم . فقد كان هنالك رجل عمره ٤٦ عاما مات بالسكتة القلبية في احد مستشفيات ستكهولم حيث قام نلسون بكثير من ابحاثه . إستطاع نلسون بمساعدة احد زملائه ان يستخلص الشريان المصاب ونقله الى معمله المجاور لغرفة العمليات على عجل . وكان واضحا ان الشريان به تصدع في الكتلة العصبية . وعلى بعد بوصة على طول الشريان كانت هناك كتلة عصبية غير متصدعة ومن ذلك استطاع نلسون ان يتحقق من انه يقدر على اثبات التصدع على فيلم ليعرف كيف مات الرجل . ويغمس الشريان في محلول ملحي فسيولوجي ثم دفع دم الرجل في الشريان بمضخة بمعدل يساوي ضغط دم الرجل العالي ، وبعد دقيقتين ونصف حيث كل الاجهاد على الكتلة العصبية كثيرا قال الشريان انفجر وخرجت منه انبثاقة مفاجئة من الدم وهنا استطاع نلسون ان يسجل لحظة نادرة فريدة تشبه تماما تلك التي اودت بحياة الرجل .





تشريح السكتة القلبية

تمثل هذه الانبوبة ذات الانتفاخ وريدا دماغيا يبلغ اتساعه اقل من ½ بوصة ، ولا يتجاوز سمك جدرانه سمك بتلات الوردة .

وفي الصور التي التقطها الطبيب السويدي المصور لنارت نلسون نجد تلك القناة الرقيقة بكبرة عشرة اضعاف وتمثل مركز السكتة المميتة . ومنطقة الخطر هي الانتفاخ العلوي وهو انتفاخ عصبي تكون بسبب ضغط تقع على نقطة ضعيفة في الشريان .

والسكتة التي هي عبارة عن تلف في الدماغ من جراء نزيف او تجلط هي سبب الوفيات رقم ثلاثة في الولايات المتحدة الامريكية .

بعد الازمات القلبية والسرطان .

ومن الواضح اليوم ان تطور العلاج الطبي قد خفض نسبة الوفيات بالسكتة بمقدار ٣٫٩٪ فيما بين سنة ١٩٧٦ و سنة ١٩٦٦ .

مرزوق بشير

البخيل في المسرح القطري

- غياب المسرح القطري عن الساحة الثقافية أحدث فراغا في المناخ المسرحي في البلاد
- موليير .. في معالجة عصرية الأداء والحركة دون خروج عن المضمون الأصلي

كان مساء اليوم الرابع من هذا الشهر مساء غير عادي بالنسبة لأعضاء فرقة المسرح القطري، فهذا يعني أولا عودة لهذه الفرقة بعد غياب دام أكثر من عام ويعني ثانيا مغامرة كبيرة تقدم عليها الفرقة بتقديمها مخرجا شابا بكل خبراته الحب والطموح والتصميم بخوض تجربة الاخراج في فرقته ولأول مرة . ويعني ثالثا مغامرة أخرى بأن يقدم المسرح على تقديم عمل كلاسيكي لكاتب كبير مثل موليير في وقت قامت الأجهزة الاعلامية والشرطة الفيديو كاسيت بافساد التذوق الفني لدى الناس.

والآن لنناقش معا تلك المعاني بتفصيل أكثر ...

الحرص والحذر

غياب هذه الفرقة المسرحية (المسرح القطري) عن الساحة الثقافية أحدث بشكل أو بآخر فراغا في المناخ المسرحي العام في البلاد . فهذه الفرقة بما تملكه من كفاءات عالية وطاقات كبيرة أهلها لأن تكون في مستوى لا يقل عن بقية الفرق المسرحية في المنطقة هذا الوضع المتقدم لهذه الفرقة ألزمها منذ البداية بتحمل مسؤولية الحركة المسرحية في البلاد هذا الالتزام هو الذي كان يدفعها الحرص الشديد والحذر في اختيار أعمالها منذ أن تأسست مع بداية السبعينات فمن (أم الزين) الدراما الرومانتيكية الغنائية إلى مسرحية (إلى أين) الدراما الاستعراضية الانتقادية وانتهاء بكوميديا موليير الكلاسيكية . هذه العلامات البارزة في مسار هذه الفرقة الطموحة ما هي إلا مؤشرات تشير دائمة إلى الالتزام والمسؤولية التي تتحملها فرقة المسرح القطري.

وفرقة بهذه الرؤية وهذا الحرص تضيق أمامها دائما الخيارات وهذا بالتالي ما ينعكس على عدم انتظام عروضها.

مولد مخرج

اكتشفت هذه الفرقة ومنذ البداية إتاحة الفرص لكل من هو موهوب لتطوير وإتاحة مواهبه الذاتية على الساحة الثقافية وكانت



[illegible]

حصيلة هذه التجربة بوادر ظهور بعض الكفاءات الشابة في مختلف مجالات المسرح من كتابة ونقد وديكور واضاءة ومكياج عدا تلك الفرص التي تتاح لكل موهوب في التمثيل.

وها هو المسرح القطري يغامر بتقديم طاقة شابة من موهوبي الفرقة

الشاب (حسن ابراهيم) واحد من أبناء الفرقة ومن مؤسسيها الأوائل وقبل افتتاح الستارة عن أول تجربة له لم يكن يملك سوى طموحات كبيرة وحصيلة من النظريات والدراسات هي نتاج أربعة أعوام قضاها للتخرج في المعهد العالي للفنون المسرحية بالكويت.

وبعد اسدال الستار الثاني كان يعني ذلك مولد مخرج قطري يبشر بعطاءات كبيرة اذا ما أتيحت له كل الفرص.

لقد نجح المخرج في أن يحول خشبة المسرح إلى ساحة تملؤها الحيوية والنشاط وأن يسيطر على لغة ممثليه إلى حد كبير، وخاصة أن الحوار كان باللغة العربية الفصحى . لكن هذا لم يمنعه من تطويعه للممثل سواء باستخدامه الايقاع السريع أو سيطرته على بقية أدوات العرض من اضاءة وموسيقى واكسسوارات.

ورغم أن المخرج كان يتعامل مع نص كلاسيكي بكل معنى الكلاسيكية الذي يلزم من يتعامل معه بالوحدات الثلاث (الزمانية والمكانية والموضوع) كذلك الالتزام بلغة التصميم والاهتمام بالزخرف الشكلي الخ مما تفرضه القواعد الكلاسيكية الجامدة



معالجة عصرية

رغم كل ذلك استطاع المخرج أن يتمرد على تلك القواعد الشكلية مع محافظته على مضمون العمل وفكرته الأساسية. وهو بهذا يحقق لعمل موليير الكلاسيكي عصرية الأداء والحركة مع عدم الخروج عن المضمون الأصلي.

فهو مثلا عندما اختار شكل شخصية البخيل تلك الهيئة التي شاهدناه عليها في العرض المسرحي إنما يفعل ذلك حتى يبتعد عن الصورة التقليدية التي كان يرسمها كل من سبقوه من المخرجين والتي يشترطون أن يكون البخيل ذا سحنة مريضة، ضعيف البنية نحيل البدن، مقوس الظهر، يتحدث كالأخنف... الخ.

أما البخيل عند (حسين إبراهيم) فهو قوي البنية لدرجة أنه يستخدم تلك القوة البدنية مع خادميه (لافليش) و (المعلم جاك) مصاب بالتخمة والسمنة المفرطة فهو إن كان بخيلا مع الآخرين إلا أنه يبدو عليه لا يقتر على نفسه.

ولقد تمرد المخرج أيضا على المحدودية المكانية لخشبة المسرح باستخدام صالة العرض ومقدمة خشبة المسرح (ويلاحظ أن هذا كله استخدامات عصرية كما يلاحظ خروج شكلي على التقاليد الفنية الكلاسيكية).

كذلك كانت عملية استبدال الإكسسوارات وتغيير المناظر تتم دون إسدال الستارة الرئيسية فالستارة لم تستخدم أصلا.

ولم يلتزم المخرج نفسه بالفصول الخمسة التي تتميز بها المسرحية الكلاسيكية.

فلقد اكتفى بفصل طويل جدا وفصل آخر أقل طولا من الأول. وهذا الاستخدام لم يكن مدروسا فلقد عاق من تطور العمل التطور الطبيعي المطلوب وأثر في إيقاع العمل العام.

فالفصل الأول كان طويلا جدا مما أدى إلى الملل والركاكة في العمل وكانت هناك فرصة أمام المخرج وهو أيضا معد النص بأن يقوم بتقسيم العمل إلى ثلاثة فصول، ويكون بعد مشهد سيمون وهرباغون مما كان سيعطي للعمل دفعة وروحا جديدة.

كل ذلك وغيره يدعونا إلى أن نقول بأن المخرج عالج هذا النص العالمي معالجة عصرية.

وبما أن هذه التجربة تعتبر الأولى بالنسبة للمخرج فقد أدى به حماسه الشديد إلى تمسكه بكل الحرفيات والتفاصيل الأكاديمية. وهذا شيء حسن لو كان من يتعامل معهم من الممثلين المحترفين ولكن الأمر يتعلق بممثلين هواة بعضهم ما زال محدود الخبرة، والتفاصيل الشديدة في الحركة والأداء قد تعيقه أكثر مما تطور أداءه ويتضح ذلك في أداء الممثلات.

الممثلون

وفي هذا العرض تفاوت أداء الممثلين كل حسب قدرته وطاقته وإن كانت هناك وجوه جديدة تقف لأول مرة على خشبة المسرح مثل (سنان الميشعلي) و (غريب فكري) وكلاهما ينبئ بعطاء جيد كذلك استطاعت (سلمى سالم) أن تحقق بعض الحضور الجيد على خشبة المسرح هذا إذا ما قارنا أداءها ببقية الممثلين أصحاب الخبرة على خشبة المسرح.



سيار الكواري في دور [illegible] محمد سلطان في دور [illegible]

ويبرز من بين هؤلاء جميعا (سيار الكواري) وبعد عودته من دراسته المسرحية ليجسد دراسته في واقع عملي ملموس. فبالإضافة إلى ما يملكه هذا الممثل من هيئة بدنية خاصة ساعدته على أداء دوره في شخصية البخيل فهو أيضا يملك مخارج قوية للألفاظ ويملك ايقاعا داخليا منتظما، جعله بالتالي يسيطر على كل انفعالاته الداخلية والخارجية بل وايقاع العمل كله. والحقيقة ان الجهد الذي بذله سيار في اداء دوره كان واحدا من أسباب نجاح العمل. وينتظر من هذا الممثل الكثير والأحسن في الأعمال القادمة.

ويعاب على الممثلين كثرة استخدامهم للألفاظ العامية الدارجة بمبرر وبدون مبرر مما أثر على الايقاع العام للعمل واخشى أن يكون ذلك بادرة انحراف من مسرح ملتزم إلى الابتذال والسوقية وهي تحولات لم نعهدها ولا نريدها لفرقة كبيرة مثل فرقة المسرح القطري.

انجاز جيد

أما الديكور والذي قام الفنان (يوسف أحمد) بوضعه والاشراف على تنفيذه، فبالرغم من بعض التحفظات عليه إلا انه يعتبر انجازا جيدا.

فتغطية كافة أجزاء خشبة المسرح بقماش الخيش وضع المتفرج من البداية في حالة معايشة مع العمل واستمر ذلك حتى نهاية العرض.

ورغم التجريدية الواضحة في المناظر والاكسسوارات وحتى الملابس إلا انه ظل موحيا ومعبرا عن طبيعة العمل.

وهناك بعض الأخطاء كان من الواجب تجنبها، فالاعمدة المستخدمة تقترب من الشكل الروماني القديم، كذلك تختلط بعض التفاصيل الواقعية بتجريدية العمل مما أدى إلى عدم الانسجام بين أجزاء الديكور المختلفة مثل وجود مدفأة بكل تفاصيلها الدقيقة في حين كانت صالة بيت البخيل تأخذ الشكل التجريدي في معظم أجزائها.

محمد أبو جسوم في دور [illegible] ميرزا في دور [illegible]

هذه الأخطاء الصغيرة وغيرها تؤثر في ايقاع العمل العام وفي شكله الجمالي.

افكار أكثر وعيا

هل نجح المسرح القطري في تقديم أول عمل عالمي له؟!

في رأيي أن المخرج حسن ابراهيم استطاع أن يقود وبجرأة كبيرة ممثليه إلى نجاح لا يقل في مستواه عن أي فرقة عربية أخرى ولكن سيبقى هذا النجاح نجاحا جماليا وفنيا كبيرا للفرقة، والمخرج إذا ما دعمت بفكر ومضمون اجتماعي يتخطى البخيل والعيوب الفردية الصغيرة. وإلا فانها سوف تموت بعد العمل الثاني أو الثالث.

نحن لا نعترض على أن يعالج المسرح تلك المشاكل والعيوب الفردية مثل مشكلة (البخل) وهي عادة فردية يتحمل ضررها أولا وأخيرا الفرد نفسه وهي نوعية من المشاكل تخص طبقة معينة ولكن من الاجدى بل من الواجب أن يواصل المسرح القطري التزامه الفكري والادبي باختيار أو اعداد أو تكليف كتاب لانجاز أعمال ذات مضمون اجتماعي. فالمجتمع يحفل بمشاكل كبيرة وخطيرة تعوق من تقدمه. مشاكل يومية تفرغ الانسان من انسانيته ومن محتواه الانساني وتحوله إلى مسخ بشري أو ترس في عجلة المدينة الزائفة. أعمالا تخاطب الجموع وليس الأفراد فالفن للحياة هكذا عرف وهكذا سوف يستمر.

إن هذا النجاح الذي حققته فرقة المسرح القطري إذا ما توحد بأفكار أكثر وعيا وأكثر التصاقا بالواقع الاجتماعي فسوف يتحول إلى نجاح أكبر وأشمل وهذا في ظني هو ما تطمح إليه حركتنا المسرحية الجادة.

نهنيء فرقة المسرح القطري على هذا النجاح وهذه العودة الكبيرة إلى الساحة المسرحية ونهنيء الحركة المسرحية في قطر باكتسابها مخرجا شابا. ونأمل له ولغيره النجاح وللحركة المسرحية في البلاد كل تقدم وازدهار.

مرزوق بشير

رءوف توفيق

الذين وقعوا بالحضور في دفتر مهرجان كان ونحن غياب.. غياب!



لقطة من فيلم (الحفلة) .. وجائزة أحسن فيلم

« لماذا أهتم بالأفلام الأجنبية دون العربية ، في حين أن أفلامنا العربية في حاجة إلى النقد لأنها سحيقة إلى درجة مخجلة ؟ » .

هكذا بدأ هذا القارىء العزيز من المغرب رسالته التي نشرتها مجلة (الدوحة) في عدد مايو الماضي .. وقد استوقفتني هذه الرسالة طويلاً .. كنت وقتها مازلت أعيش حالتي من رحلة العودة من مهرجان (كان) السينمائي (٩ — ٢١ مايو) .. وكانت مشكلتي أثناء العودة .. هذه الكمية الضخمة من الأوراق والملفات والكتب السينمائية التي زاد وزنها عن ثلاثين كيلوجراماً .. وكيف أحملها وأعبر بها إلى مقعدي في الطائرة .. كنت أحاول أن أهون الأمر على نفسي أن هذه الأوراق والكتب هي البعض القليل الذي حاولت تصفيته مما يعرضه المهرجان للنقاد والصحفيين يومياً .. غير الكميات الغامرة بأحدث الكتب التي تجد لها سوقاً بين هذه الأعداد الهائلة من زوار المهرجان !!

وما كنت أحمله على اليدين .. أهون بكثير — رغم ثقله — مما يزدحم به الرأس من عشرات الأفلام السينمائية التي استطعت مشاهدتها من بين أربعين فيلماً تعرض يومياً .. حيث وصل عدد الأفلام التي عرضت خلال فترة المهرجان إلى ما يقرب من الستمائة فيلم من جميع أنحاء العالم !

هذه هي السينما العالمية ..

دوامة لا تهدأ من الحركة .. والتجديد .. ومقاومة الانهيار أمام هجوم التليفزيون .. وإثبات الوجود بكل الوسائل التكنيكية في التنفيذ والعرض .. وبالذكى الوسائل وأغربها في الدعاية والتسويق !

أما نحن العرب .. فشيء يبعث على الحسرة والكمد فلم يكن هناك أي فيلم عربي واحد في برامج المهرجان .. سواء المسابقة الرسمية ، أو خارجها .. مثل أقسام أسبوع النقاد — نصف شهر المخرجين — نظرة ما ..

حتى في سوق التوزيع — حيث يمكن لأي منتج أن يسعى لعرض فيلمه .. مهما كان مستوى هذا الفيلم .. وكل ما يحتاجه أن يسجل اسمه في سوق الموزعين وأن يحجز دار عرض سينمائي .. وأن يقوم بالدعاية لفيلمه ..

حتى في هذا المجال .. لم يكن موجوداً سوى فيلم طويل واحد من مصر : (الصعود إلى الهاوية) للمخرج كمال الشيخ .. بالإضافة إلى فيلم (إسكندرية .. ليه ؟) للمخرج يوسف شاهين ، والفيلم القصير (نقطة ماء) للمخرجة أسماء البكري ، اللذين عرضا في قسم الفن والتجربة ..

وإذا بحثنا في سوق التوزيع .. نجد أيضاً فيلمين من الجزائر : (مغامرات بطل) للمخرج علواش مرزاق — (علي في بلاد العجائب) للمخرج أحمد رشدي — وفيلمين من العراق (الأسوار) للمخرج شكري جميل — (يوم آخر) للمخرج صاحب حداد .

وحتى هذه الأفلام .. كان من الصعب العثور على أماكن عرضها لضعف الدعاية لها ، والتي لا تتعدى بعض الملصقات القليلة المتناثرة لا تلفت النظر وسط طوفان أحدث وسائل الدعاية .. ابتداء من صفحات الإعلان في مجلات المهرجان اليومية .. إلى الملصقات المضيئة في الشوارع .. إلى كتيبات المطبوعات التي توزع على النقاد والصحفيين .. إلى استخدام الطائرات والمناطيد الهوائية الملصق عليها إعلانات الأفلام !

ولم يرتفع علم عربي واحد في المهرجان .. بينما ارتفعت أعلام دول كثيرة لم تعرف السينما إلا منذ عهد قريب .. ودخلت إسرائيل بكل ثقلها في المهرجان .. حتى إنها

- لم يرتفع علم عربي واحد في المهرجان .. بينما ارتفعت أعلام دول كثيرة حديثة العهد بالسينما
- دخلت إسرائيل بكل ثقلها .. حتى إنها احتجزت دار عرض في قلب المدينة طوال فترة المهرجان !
- من الطبيعي أن يحتج اتحاد النقاد العرب على تجاهل السينما العربية في المهرجان
- لا جدال في أن هناك انتكاسة حقيقية في السينما العربية



لقطة من فيلم (شعر) أحد الأفلام الإسبانية

حجزت دار عرض سينمائي في قلب المدينة طوال فترة المهرجان لتعرض أفلامها بشكل دوري، وسط حملة دعاية يومية في مجلات المهرجان، وسخاء مبالغ فيه في حجم المطبوعات والنشرات التي تدعو لشراء أفلامها أو التصوير في أراضيها، أو إغراءات الإنتاج المشترك !!

وقد نقل إن هذا الموقف متعمد من إدارة المهرجان لأنها لم تسمح بتمثيل الدول العربية في أقسام المهرجان المختلفة

ومن الطبيعي أن يصدر اتحاد النقاد العرب، بيانا يحتج فيه على تجاهل السينما العربية في المهرجان

ولكن بصراحة .. المسألة ليست مرهونة بموافقة جهة معينة تسمح أو ترفض !!

لأن سوق التوزيع يسمح للجميع بالتواجد .. وأبنية المهرجان تسمح لمن يريد أن يقيم ركنا (للدعاية وتوزيع الأفلام) ..

والمجلات الثلاث التي تصدر يوميا في المهرجان تسمح وترحب بأي إعلان عن نشاط سينمائي

وضيوف المهرجان وزواره يسعدون جدا جدا بأي حفل استقبال تقيمه أي شركة سينمائية أو أي صناعة سينما في دولة .. للتعارف وتبادل الصفقات !

أكثر من جهة تسمح .. وأكثر من وسيلة ممكن استخدامها

ولكن المشكلة فينا نحن

وبصراحة أكثر .. نحن لا نجيد تقديم أنفسنا

وقد كتبت في هذا الموضوع أكثر من مرة وكعادتنا نحن الذين نمارس الكتابة نشعر غالبا بأن أحدا لا يهتم .. ولكن نواصل الإلحاح بالكتابة على أمل أن يتحرك أحد ويفعل شيئا .. إنه مجرد أمل

ولكن نكون صرحاء مع أنفسنا أكثر .. لا بد أن نعترف أن خلافاتنا السياسية العربية قد استنزفت الجهد والأعصاب والوقت المفروض أن يستغل للعمل الخلاق المبدع، وربما نلاحظ هذا أكثر في مجالات الفنون والثقافة

ولا جدال أن هناك انتكاسة حقيقية في السينما العربية !

لأن صناعة السينما في أي بلد عربي لابد أن تتنفس من خلال رئات البلدان العربية الأخرى .. في مناخ صحي يسمح بالجدل، والاختلاف المشروع، ويسمح أيضا بالتبادل الفني والاشتراك معا في أعمال كبيرة في تعاون وحب .. ولكن ما يحدث الآن يكاد يكون عملية اختناق نمارسها على أنفسنا .. وعلى بعضنا البعض

حالة من التشكك .. والتربص .. والرقابة .. وأصابع الاتهام .. والتهامات لا حدود لها بالعجز والخيانة والعمالة .. إلى آخر ما امتلأت به قواميس الحياة العربية الآن !!

وبالطبع لا يمكن أن يظهر فن جيد في هذا المناخ



الممثلة لي ريميك بطلة فيلم «الاوروبيون»

لقطة من فيلم «بروفة الاوركسترا» آخر اعمال فدريكو فيلليني



لقطة بطلة فيلم (غريب الاطوار) ...

وفي لحظات الصدق مع النفس ، علينا ان نشخص العلة حتى نعرف الطريق الى العلاج .

ومن حق القارىء المغربي العزيز (مختار عبد الله) ان يستنكر في رسالته الى (الدوحة) ما وصلت اليه السينما العربية . وان يطالبني بالدق على هذا الوتر .. ولكن ليس الملل او الزهق من كثرة الدق هو الذي جعلني انصرف احيانا عن الكتابة عما يجري في ساحة السينما العربية .. ولكن احساسا ما يراودني دائما بانه لابد ان ننظر حولنا وما يجري في الساحة العالمية .. كيف يفكرون .. وكيف يحققون أفلامهم .. وكيف يستخدمون الاتهم .. ربما تعلمنا منهم شيئا .. او على الاقل يحرك فينا الحماس لكي نقدم فنا افضل !

احترام السينما واحترام الجمهور

واعود الى مهرجان (كان) .. والى دفتر المهرجان الذي ضم توقيعات المخرجين العالميين الذين جاءوا بافلامهم .. انه احتفال له مذاق مميز .. فيه احترام السينمائيين .. واحترام للجمهور المتعطش للسينما الذي قطع كل هذه المسافات حتى يأتي الى هذه المدينة الصغيرة الانيقة على شاطىء الريفييرا الفرنسية ، ليضع نفسه امام صناعة السينما بكل امكانياتها البشرية والفنية .

متعة لا حدود لها .. ان تجد نفسك امام كل هذا الفن .

يكفي مهرجان يضم اخر اعمال المخرج الايطالي الكبير فلليني (بروفة الاوركسترا) - وتحفة المخرج التشيكي الاصل ميلوش فورمان (شعر) - ومعجزة السينما الامريكية التي قدمها المخرج الموهوب فرنسيس كوبولا (نهاية العالم .. الآن) - وملحمة الانسان التي قدمها المخرج السوفيتي ميكالوف موشالوفسكي (سيبرياد)

- ورائعة المخرج الالماني فولكر شلوندورف (الطبلة)

- والقصيدة السينمائية التي قدمها المخرج الامريكي الشاب ترينس ماليك (ايام السماء) - واخر اعمال فنان بولندا العظيم المخرج اندريه فايدا (بدون تخدير) - واخر اعمال المخرج الايطالي فرانشيسكو روزي (المسيح لم يتوقف في ايبولي) - والتحفة الاخيرة لعملاق السينما الامريكية المخرج جون هيستون (دماء الحكيم)

وغيرهم ..

قائمة طويلة وحافلة بالعديد من الاعمال الفنية المتميزة .

عام هام في السينما العالمية

ولم يختلف احد حول اهمية مهرجان (كان) لهذا العام

انه العام الثاني والثلاثون في عمر المهرجان .. ولكنه كان عاما هاما في حركة السينما العالمية

واذا كانت ادارة المهرجان قد نجحت في تجميع هذا العدد الكبير من المخرجين الموهوبين .. فان هذا يدل اساسا على واقع سينمائي نشط وفعال .. ومبتكر .

وربما كان من أهم نتائج هذا المهرجان انه اعاد الثقة في قوة السينما .. وقدرة سينمائيها على اجتياز الازمة والتخلص من حالة الارتباك التي احدثها التليفزيون في سلوكهم .

ها هم يلتقطون انفاسهم الآن ويبدأون مرحلة جديدة في عمر السينما .

وقد تضمنت المسابقة الرسمية للمهرجان ٢٢ فيلما من ١٤ دولة .. كان نصيب الولايات المتحدة منها اكبر نصيب .. فقد عرضت اربعة افلام وحصلت على اربع جوائز هامة .

الجائزة الكبرى للفيلم (نهاية العالم الآن) بالمناصفة مع الفيلم الالماني (الطبلة) - وجائزة احسن ممثلة (سالي فيلد) عن دورها في فيلم (نورما راي) .. وجائزة احسن ممثل (جاك ليمون) عن دوره في فيلم (مرض الصين الزمن) .. وجائزة احسن مخرج المخرج الامريكي الشاب (ترينس ماليك) عن فيلم (ايام السماء) - بينما حصل الفيلم السوفيتي (سيبرياد) على جائزة لجنة التحكيم الخاصة .

وهكذا قيل ان الجوائز كانت دبلوماسية !

ولكن مما لا شك فيه ان مهمة لجنة التحكيم لمهرجان هذا العام .. كانت صعبة للغاية .. فالاختيارات شائكة بين مجموعة من التحف السينمائية .

والمأزق الذي تخلصت منه لجنة التحكيم



لقطة من فيلم (نهاية العالم الآن) والهجوم على فيتنام

التي تسلمها هذا العام الكاتبة الفرنسية (فرانسوا ساجان) انها قسمت الجائزة الكبرى مناصفة .. واستحدثت جائزة جديدة لم تدرج في قائمة الجوائز على مدى عمر المهرجان .. وهي جائزة (السينما الشابة) ومنحت الفيلم الفرنسي (غريب الاطوار) لمخرجه جاك دوايون .

● المفاجأة الكبرى

ومفاجأة المهرجان الكبرى هي بلا جدال فيلم (نهاية العالم .. الآن) لمخرجه العبقري فرانسيس كوبولا .. هذا الشاب الامريكي الذي لم يتعد عمره الاربعين عاما صاحب فيلم المحادثة ـ وفيلمي (العراب) بجزئيه الأول والثاني ـ ها هو يقتحم المنطقة المحظورة في حرب فيتنام ، ويقدم إدانة كاملة للتورط الامريكي .. دون أن يجد يده طالبا اي مساعدة من الجهات الامريكية المسئولة حتى أصبح رأيه خالصا من أي شبهات .

والفيلم يضع المتفرج داخل الحرب بكل تفاصيلها الصغيرة وبشاعتها .. وكل شيء معروض على الشاشة العريضة وبالصوت المجسم .. وبكاميرا حساسة جدا .. حتى تكاد تشعر أن قدامك مغروزة في الاحراش الفيتنامية والقنابل تتساقط عليك ، والجحيم يفتح ابوابه في كل لحظة .. وقصة الفيلم ليست هي الاساس .. بل المكان هو الموضوع .

ولا شك أن هذا الفيلم ـ بكل التطور الفني الذي استحدثه ـ يعتبر فتحا جديدا في السينما .

وقد استغرق المخرج (كوبولا) اربع سنوات كاملة في اعداد هذا الفيلم للعرض .. وحتى لحظة عرضه في مهرجان كان ، لم يكن الفيلم كاملا .. بل عرض كنسخة عمل ، ومن المتوقع عرضه عالميا في سبتمبر القادم بعد اتمام التشطيبات النهائية فيه .

ولعب (مارلون براندو) دورا قصيرا في نهاية الفيلم .. ولكنه كان الممثل الذي يعرف معنى ظهوره على الشاشة ولو لدقيقة واحدة .. وكيف يستعد لها وكأنما خلق من أجل هذا الدور !

وقد عرض هذا الفيلم في منتصف المهرجان .. وكان بدخوله المسابقة الرسمية معناه الاكتساح التي لاتردد فيه ، حتى أن ناقدا فرنسيا علق بقوله : ان الافلام التي عرضت بعد فيلم (نهاية العالم ... الآن) كأنها افلام خارجة من دولاب قديم تفوح منها رائحة النفتالين !!

● ومضت سعادة

أما الفيلم الذي عرض خارج المسابقة وكان اذا قرر مخرجه دخول المسابقة لاحدث ارتباكا هائلا في النتائج .. هو فيلم هير (شعر) المأخوذ من مسرحية بنفس العنوان كان ظهورها على مسارح برودواي في أوائل السبعينات بمثابة قنبلة فنية ، بعيدة المدى ، شديدة التأثير ، غيرت الكثير

لقطة من الفيلم الموسيقي (شعر)

من المفاهيم التقليدية في المسرح الموسيقي الغنائي .. وها هو هذا الفيلم الذي أخرجه المخرج التشيكي الأصل المقيم حاليا في أمريكا (ميلوش فورمان) .. يحدث نفس التأثير في السينما .

إنه دفقة مرئية مسموعة .. تلقيه بومضة سعادة لا تتكرر .

والمخرج (فورمان) نعرفه جيدا من خلال فيلمه الرائع (طار فوق عش المجانين) .. وها هو يخوض بفيلم (شعر) أول تجربة لإخراج فيلم موسيقي .. ولكنه كمن يخلق عالما جديدا من الفن .. فالشاشة تنبض في كل لحظة بالجمال والسحر .. من خلال حركة كاميرا رائعة وبتدفق مجموعة من الممثلين الشبان الغير معروفين .. يرقصون ويغنون ويقف كل هذا على أساس رائع الرهافة من مخرج يعرف كيف يقول كلمته بلباقة . إنه يسخر من الحرب ويلذات حرب فيتنام .. ويسخر من هؤلاء القوم الذين لم يكتشفوا معنى الحياة .. لما جهلوا .. الرغبة !!

وتتردد أغنية (برج الحمل تشرق في داخلنا) كلها نداء الحب والسلام ..

لقد حافظ المخرج على البناء الموسيقي



« ... » ومحاولة للخروج من قوقعتها في فيلم « تورما راى »

كما عرفه جمهور المسرحية .. ولكنه أضاف كثيرا وعدل كثيرا في الأحداث الدرامية حتى تتناسب مع لغة السينما

وجاءت لغة سينما .. جديدة في مفرداتها .. جديدة في تأثيرها .

● ●

وهكذا عزيزي القارىء العربي .. هكذا يفكرون ويعملون في السينما الأجنبية وآسف جدا لأنني لم أكتب هذه المرة أيضا عن السينما العربية .. فلم أستطع أن أفكر بكل هذا الفن العظيم وراء ظهري . لأمسك القلم وأستعيذ بالله لأكتب عن (سلطانة الطرب) آخر أفلام حسن الإمام !!

فلم تعد تحتمل مزيدا من السخف .. والأمل في جيل جديد من السينمائيين العرب يدركون ما يحدث في العالم ويحاولون أن يقولوا كلمتهم بذكاء .. وفن .

رءوف توفيق

ماجد السامرائي

«تحولات الأفق» في معرض رافع الناصري

(تحولات الأفق) .. هو العنوان الذي اختاره الفنان رافع الناصري لمعرضه الأخير الذي اقيم على (قاعة الرواق) في بغداد، وضم مجموعة من اللوحات التي تمثل (بعدا واحدا) في موضوع تناوله بأبعاده المختلفة، ومن أكثر من زاوية للنظر والتأمل .. فالأفق فيها هو (الشكل التفصيلي) الذي رأى فيه الفنان تمثيلا لطبيعة صافية نقية .. لأن الأفق (شكل) - كما يرى الفنان نفسه - وهو ابدا يتشكل من التقاء الأرض بالسماء، البحر بالسماء، الصحراء بالسماء .. مع اختلاف في الأشكال العامة التي يوحيها هذا (الالتقاء) .. فلكل مكان منها (الأرض، البحر، الصحراء) خصوصيته .. وإنما - يؤكد الفنان - اتخذت الأفق في هذه الأمثلة منظورنا نحن، وبالصيغة الدالة على خصوصيتنا).

بمعنى: أن الفنان أحال (الأفق) إلى تقنية، وعلى مستوى (العمل الفني) ككل، فإنه يسعى الى تكوين الجزئيات من خلال التكامل في الأفق .. ليس (التأمل المجرد) - على الرغم مما يبدو في اللوحة من سمات تجريدية - إنما هو (تأمل) من خلال موقف إنساني فيه الكثير من سمات الشاعرية .. حتى الألوان جسدتها الحالات التي مرت بها ساعة التأمل .. وهي حالات موجودة في الطبيعة - (كما أكد لي الفنان ذلك أثناء مناقشة معه حول معرضه هذا) لكننا، مع ذلك، لا نستطيع أن ننفي (الصبغة التجريدية) عن لوحات هذا المعرض .. إن فيها ميلا واضحا الى التجريد بمعنى الذات الذي [illegible] الفنان [illegible] [illegible] الطبيعي [illegible] [illegible] خصوصية الفنان [illegible] الرؤية الشيئية.

ثنائية الحياة

ان (الظاهرة الشكلية) الملاحظة في لوحات هذا المعرض (وهي تشكل التكوين الداخلي لها) تتمثل لنا في (الأفق) الذي يظهر في عموم اللوحات وهو يحد عالمين أي أن (خط الأفق) يصبح الحد الفاصل بين عالمين .. حيث يقسم اللوحة الى قسمين: قسم علوي، حيث السماء تهبط الى الأفق - أو تبدأ منه - لتشكل (الأفق الأعلى) الذي تظهر فيه تكوينات لونية شاعرية .. أما القسم الأسفل فهو يمثل .. البنية الواقعية .. (الحضارية الإنسانية - التكوينية) .. وهذا - عند ذاته - يقول الفنان - توزيع الفرق في هذه الثنائية التي تجدت في أعمالي على الدوام: ثنائية الأرض والرفيع .. ثنائية الربيع والمادة .. ثنائية الأرض والسماء .. ثنائية الإنسان والأشياء .. كلها جميعا، تتخصص لتجتمع في بعدين .. الطبيعة والانسان ..

هذه هي (ثنائية الحياة) التي يسعى الفنان الى التعامل بها شعريا من خلالها وكأنه أراد بذلك أن يضعنا، من جهة، في (عالم الحقائق) حيث الطبيعة الأرضية، ومن جهة ثانية، يتسامى بنا نحو (العالم الأرحب) الى أفق من التأمل الشاعري، فهل هو سعي منه لخلق (وسط) إنساني .. ذلك له معناه الواضح، ورؤاه، وأبعاده التي يتجسد فيها ..

إن أعمال هذا المعرض بلا إنسان إلا أن البعد (الذاتي - الإنساني) متجسد فيها على نحو كامل الوضوح .. لقد تجاوز الفنان (عالم الحقائق) التي نواجهها كل يوم في حياتنا .. وفي الفن أيضا .. حقائق كثيرا ما ترهقنا .. نفسيا وفكريا .. فاتجه الى الحلم .. الى التأمل .. عبر رؤية شاعرية تحيل الحياة في عيني المشاهد صفاءها وبساطها.

ورافع الناصري في أعمال معرضه هذا أقرب ما يكون الى (الفن المعنوي) الذي نسميه، تجاوزا، (الفن الذاتي) .. فهو فن صادر عن حاجة نفسية، ويسعى لإشباع حاجة نفسية، ويتمثل بأثره في النفس.



الفنان: حوّل (الأفق) إلى فسحة تستوعب تكوين الجزئيات من خلال التكامل في الأفق



- أعمال المعرض خالية من الإنسان لكن البعد الذاتي الإنساني متحقق فيه
- إنه من نوع الفن المفتوح الذي نسميه تجاوزاً : الفن الخلاق
- أي تشويه للأفق هو تشويه للحياة في طبيعتها الحية والإنسانية



من أعمال الفنان العراقي رافع الناصري (تحولات الأفق)

وهكذا تأتي لوحات (الناصري) في معرضه هذا بقدرما تروق العين فهي تقنع النفس .

« إن الأفق بالنسبة لي - يقول رافع الناصري - هو الحياة الطبيعية ، إن أي تشويه للأفق هو تشويه للحياة في طبيعتها الحية والإنسانية » . واللون ؟ « بالرغم من أن اللون عندي مستمد من الطبيعة ذاتها ، فهو مختلف عن الطبيعة . لقد شكلت الألوان (مفردات خاصة) و (حالات خاصة) .. إنها تحيلك إلى الطبيعة ، ولكن من خلال ما تختزنه الذات والنفس من الطبيعة . إن الألوان عندي ليست نسخاً للطبيعة ، إنما هي عملية إستيحاء لألوان الطبيعة ، ووضعها في صيغة خاصة مستهدفاً من ذلك خلق الجو النفسي الذي أعمد إلى إشاعته عند المشاهد » .

إلا أن هذا (البحث) من الفنان كان قد بدأ في أعمال سابقة على هذا المعرض ، لكنه في هذه المرة أخذ (الأفق) ، وراقب أو رصد (تحولاته) .. اللونية والنفسية بالنسبة لرؤيته كمشاهد - معبراً عن (حالات) المتلقي (غير القائل) من خلال واقعية الموضوع .. « كنت - يقول الفنان - أبحث عن المستقر الذي تتوقف عنده جميع الأفكار والحالات الانسانية ، لتتأمل في ما أمامها - وما حولها » .

وهو - في هذا كله - لا ينطلق من العموميات ، إنما من هم المتلقي - حضارياً . لهذا فهو يبحث في « الجوهر » ، وهو متطور موجود في « فن الكرافيك » (الذي يمارسه الفنان) . فلوحته ، هنا ، تبحث في التفاصيل لتحيل الأشياء مخلوقات جديدة ، والشكل ، عند المشاهد ، إحساسات جديدة بها . وبهذا ، يخرج بلوحته من إطار « العمومية الشائعة في الطبيعة (التي يستوحي بعض أبعادها) الى « مضمون » و « شكل » لهما خصوصية ، هي خصوصية رؤية الفنان ، وخصوصية تكنيكه .

كيف يحصل كل هذا ؟ ولماذا ؟

إن الفنان نفسه يؤكد أنه « كلما تعقدت حياتنا المعاصرة ، كلما وجدنا أنفسنا نعود الى التفاصيل الكونية التي نجد فيها ، أنا شخصياً ، إغناء لحياتنا ، وتجديداً لفكرنا ، وانفعالاتنا وذواتنا من خلال ما يتولد من هموم وعناصر جمالية جديدة . فالجمال موجود في كل مكان ، ومهمة الفنان هي استخلاص هذه العناصر من المحيط الأوسع للانسان ، مما يصطدم به كل يوم ، وكل ساعة » .



سورة الفاتحة في مخطوط مصحف كتب بالخط الكوفي والنسخي عام ١٢٣٢هـ

تطور الخط العربي من البداية الى عصرنا الحاضر

إعداد : رشدي عمر

المقصود بالخط هو رسم الحروف بأشكال متطابقة تضفي جمالا على الكتابة، وهو بهذا التعبير فن اسلامي خالص عبر به المسلمون عن احاسيسهم الجمالية وتذوقه ولا مجرد القاء نظرة على مخطوطات المصاحف والنقوش التي تزدان بها المساجد والمدارس القديمة توضح اهمية الكتابة الجميلة كوسيلة الزخرفة حيث لم توضع قيود على استعمال فن الخط كما وضعت على النحت والتصوير.

وقد احتل الحرف العربي منزلة الصدارة في الفنون الاسلامية وكان المحور الذي تدور حوله كل الفنون حتى بلغ مستواه الجمالي الرفيع.

ويمكن أن نرجع السبب في ذلك لاقترانه بالقرآن الكريم فالعلاقة بين الشكل (الحرف) والمضمون (الوحي) في عقل كل مسلم اعطت الحرف دفعة قوية ليتطور من شكل بدائي على صورة نقوش الى شكل فني خلال قرن من البعثة النبوية وبهذه العلاقة ايضا ترجع سيطرة فن الخط على الفنون التطورية الأخرى في الاسلام، اذ ان القرآن هو الوحي المنزل فكان لا بد أن تكون طريقة كتابته ذات منزلة خاصة.

وهكذا فمنذ السنين الأولى للاسلام وجدت فكرة ان القرآن يجب أن يقدم بأجود صورة يمكن ان يسمح بها الخط البدائي فامتزجت بتلك العلاقة الدينية بالشعور بالجمال وبالاحساس الفني امتزاجا قويا.

واذا رجعنا الى الاصول الأولى للخط العربي لوجدنا أن الخط النبطي المتفرع عن الخط الآرامي هو الأساس للخط العربي بالرغم من استعمال عدد من الخطوط الاخرى في الجزيرة العربية، ولكن تلك الخطوط اندثرت ، ومن تحليل النقوش الاثرية نرى أن من هذه الخطوط

أ - المسند الصفوي (نسبة الى جبل الصفا في جنوب الجزيرة)

ب - الثمودي (نسبة الى ثمود في شمال الجزيرة العربية)

ج - الحميري في جنوب الجزيرة

د - الحيري وهو الخط الذي انتقل الى عرب الحجاز في الجاهلية وكان بغير نقط.

وقد كتب الوحي بهذا الخط ، ثم ظهر الخط الكوفي ، ويقال المسلمين يعني بالخط ويرقون به حتى أصبح لديهم ستة أنواع رئيسية أو ما اطلق عليها (الاقلام الستة) وهي الثلث ، النسخ (كالحرف الطباعة) الرقعة (خط الكتابة) الديواني أو المشرقي للمراسيم ، الفارسي ، الكوفي ، ولكل منها قواعده واسلوبه ونسبه.

وقد بدأ تجويد الخط في الكوفة ثم في الشام وما أن جاء القرن الثالث حتى أصبح الخط فنا وكان ذلك في العصر العباسي في بغداد.

ومع تطور الزمن لم يقتصر الخط الكوفي على كتابة النصوص الدينية بل أصبح يستعمل في المستندات الرسمية والنقوش المعمارية.

ثم حل خط النسخ محل الكوفي وتلاه خط الرقعة وكان الميل لاستعماله لانه اسرع في الكتابة واسهل للقراءة.

الا أن صعوبة الخط الكوفي تكمن في التسمية لكونه بلا نقط ولا يوجد سوى ستة عشر شكلا كتابيا مقابل ثمانية وعشرين صوتا فيوجد لبس بين الباء والتاء والثاء والياء حين تقع في أول الكلمة او في وسطها

نموذج من الخط الكوفي النيسابوري

صفحة من مخطوطة مصحف نادر - مكتوب بالخط الاندلسي



أما النسخ فقد ظل يستعمل في تدوين الكتب والنقوش التذكارية والكتابة على الادوات وعلى منسوجات الحرير، وتطور خاصة في بغداد أعمال زخرفية كتجويد العجم مع تحلية الحروف بالذهب.

أما القاهرة فقد انجبت خطاطين عاملين بارعين في الخط الثلث المشتق من النسخ

وفي المغرب والاندلس تطور الخط الكوفي الى شكل جديد يميل الى الانحدار وأقل انتفاخا من النسخ وما زال يستعمل في شمال افريقيا ويعرف بالخط المغربي.

وفي الشرق ظهرت مدرسة هراة في فن الخط في العهد المغولي، ومدرسة تبريز في العهد الصفوي التي أصبحت مركزا عالميا لانتاج المصاحف الفاخرة ومنها خرجت أروع النماذج في النسخ والثلث.

وقامت هناك نهضة في كتابة النصوص غير الدينية وزخرفتها مثل الشاهنامة

وما ان جاء العهد العثماني حتى تفوق الخطاطون وبخاصة في خط الثلث وقد شمل المستعملة بزخرفة الجوامع والنقوش الكتابية التذكارية. وكان الموظفون منهم بالديوان يقومون بكتابة الفرامين في صورة بالغة الاتقان والروعة بالخط الديواني تتوجها طغراء السلطان. ولا بد لنا ان نذكر ان مدينة استانبول في الخط كانت معاصرة بمدرسة تبريز الى حد يصعب معه التمييز بين المدرستين.

أشهر الخطاطين

تحفظ لنا كتب التاريخ والادب أسماء عدد من الخطاطين منهم قطبة المحرر (أواخر العهد الاموي) والاحول المحرر (في عهد الرشيد).

ومنهم الوزير محمد بن مقلة الذي تكاملت على يديه جودة الخط على رأس المائة الثالثة للهجرة، فقد ضبط هندسة الخطوط ونسبها. والعجيب انه ابدع في تجويد الخط بيسراه بعد ان قطعت يمناه، كما يروى انه كان يربط الريشة على معصمه بعد ان قطعت كفه ويأتي بالاشكال الفنية البديعة في الخطوط وتوفي ٩٣٩ م.

والجدير بالذكر انه انشئ مؤخرا في طرابلس الغرب معهد لتعليم الخط العربي اطلق عليه اسم (معهد ابن مقلة) اعترافا بفضله وتقديرا له.

ويتلاه في ذلك ابن البواب (المتوفى ١٠٢٢ م) الذي كان دهانا يعمل في زخرفة البيوت ثم تفرغ لصناعة الخط.

أما الخطاط الذي لا تزال آثاره باقية حتى الآن فهو الخطاط عثمان (١٦٤٢ - ١٦٩٨ م) التركي الذي برع في الثلث والنسخ. ولا يفوتنا ان نذكر عائلة العثمانيين بزخرفة مساجد استانبول بالخطوط الجميلة كما كان الحال في مساجد أصفهان.

وفي الختام فلا بد من تبيان انه مما ساعد على تجويد فن الخط ان السلاطين كانوا يقدرون الفن ويشجعونه، كما كان منهم الخطاطون مثل ابراهيم سلطان حاكم شيراز.

وأملنا ان يجد الخط العربي في هذا العصر مزيدا من الرعاية والتشجيع فيقرر كمادة فنية في المعاهد العلمية وتنشأ له المعاهد لتعليمه وتجويده حتى يحتل مكانه بين الفنون الجميلة الاخرى.

ربحي محمود عمر

محاضرات

جاك بيرك يحاضر في بغداد

نظرة أخرى إلى «المعلقات العشر»

ماجد السامرائي

قضى المستعرب الفرنسي المعروف البروفيسور جاك بيرك ، خلال شهر نيسان ، اسبوعا في العراق ·· زار خلاله جامعة البصرة ، حيث القى بعض المحاضرات فيها ·· بينما انحصر نشاطه في بغداد على لقاء عدد من الشخصيات الثقافية ·· والقاء محاضرة في كلية الآداب عن « المعلقات العشر » ·· القاها بالعربية ·· وهذا هو التحدي الاول » حيث تساءل : « هل تخضع اللغة العربية للترمت الكلامي ولا تستخدم كاداة للتبادل العلمي انتقائي كغيرها من اللغات الكلاسيكية ؟ ·· » .

اما « التحدي الثاني » فهو ان المحاضرة كانت مرتجلة ·· ذلك ·· ان القاء محاضرة مرتجلة ، وبالعربية كما اكد البروفيسور بيرك في بداية محاضرته ، فيه خطر كبير ، بالنسبة للاجنبي ·· ومع ذلك قال انه يقبل بهذا التحدي ·· مضيفا « الى التحدي الشكلي تحديا في المضامين ، لاني اجابه أخطر الموضوعات ، وهي تلك الذروة للادب العربي الخالد : « المعلقات » ، التي طالما جابهها الادباء والنقاد ·· وتساءل : « فكيف اجابه هذا الموضوع وانا لست منهم ·· لست لغويا ولا اديبا ؟ » ·· ومؤكدا ، بذات الوقت ، معتدا متجه في النظر الى المعلقات :

« انني اجابه الموضوع من زاوية نظر تختلف عن زاوية نظرهم ، هي : زاوية نظر العلوم الاجتماعية ، كالانثربولوجيا ، الاجتماع ، التاريخ الاجتماعي ، وغيرها من اتجاهات العلوم الاجتماعية ·· » .

اما ابرز الآراء ووجهات النظر



البروفيسور جاك بيرك يلقي محاضرته في جامعة بغداد - مارس ١٩٧٩

التي اوردها البروفيسور بيرك في محاضرته ، فيمكن اجمالها في مجموعة من النقاط ، اذ يرى ، فيما يقوله :

قلب الوجدان العربي

« ان المعلقات تمثل قلب الوجدان العربي لدرجة غريبة ، اذ يوجد حتى الآن في القبائل البدوية ، شرقا وغربا ، شعراء أميون يدخلون في قصائدهم شطرا او اكثر من المعلقات ، مع انهم ابدا ما تعلموها ، وهذا يدل على عمق ذلك العنصر الراقي في الوجدان العربي ·· ولاقل ان النزعة الشاعرية التي تجد اصولها الكبرى في المعلقات ، وفي الشعر الجاهلي عامة ، تمثل تيارا مستمرا حتى الآن في الوجدان العربي يوازي التيار الآخر ، والاكبر ، الذي هو « التيار القرآني » ، ولعل الشخصية العربية الموجودة تستطيع ، حتى الآن ان تحللها بهذين التيارين » .

وقد نفى البروفيسور بيرك تلك « التوهمات » التي يذهب اصحابها الى « ان شعر المعلقات شعر تلقائي يمثل لنا حياة البساطة والسذاجة » ·· مؤكدا انه « ليس كذلك ابدا » صحيح انه قيل لنا أن « الحارث بن حلزة » ارتجل قصيدته المشهورة ، غير أنه لعله ارتجلها مثلما ارتجل هذه المحاضرة بعد التحضير الطويل » ويقال ايضا أن « زهير » كانت تتغير فيه المادة الشعرية بغزارة ·· ثم كان يلقي ثلثي قصيدته ويبقي على الثلث » وهذا لا يدل على التلقائية ، بل على الصنعة ، ولا اقول التصنع » .

ان الشاعرية التي نجدها في المعلقات هي شاعرية النضوج ، وليست الشاعرية البدائية ، وكذلك وجدنا في المعلقات اشارات كثيرة الى أحوال الطبيعة لدرجة ان البعض يزعم بان البدوي رجل الطبيعة ، هذا صحيح ، اذ ان في المعلقات تعبيرا عن الشيمة العربية القديمة النبيلة ·· ولكن هناك اشارات اخرى ـ لعلها اكثر ـ الى ما هو حضاري ، لقد كانت هناك حضارة طويلة المدى ، قديمة ، عريقة وجدها شاعر المعلقات امامه وراءها » .

ووجه البروفيسور بيرك النظر الى موقف الدكتور طه حسين من المعلقات .

من ان « لغتها موحدة » ، قائلا : ان الكثير منها منتحل » مشيرا الى ما اطلق عليه تسمية « النمط التاريخي » لهذه المعلقات الذي يمتد الى قرن او قرنين » وقال : ان طه حسين ، في موقفه هذا ، كان يكتفي بما استطيع ان اسميه « التاريخية الخارجية » ·· وعلينا ان نتفحص في « التاريخية الجوانية » ·· التاريخ الذي يكمن في النص ، وفي حقيقة القصيدة ·· فاجد هنا ما يدل على طول الزمان ، وعلى تتالي الازمنة » .

عنصر التشبيه

وعن عنصر « التشبيه » في المعلقات ، وسماتها الغريبة قال ان تلك التشبيهات تركب كحلقات

متتالية .. كل تشبيه يفسر التشبيه السابق له . هناك نوع تطويري من التشبيهات في القصيدة .. كما نجد فيها تحولات مستمرة . لو اردنا أن نفهم تلك التشبيهات ، علينا أن لا نراعي « الاوصاف » فحسب ، بل نراعي « المعنى » و « القصد » الذي قصد اليه الشاعر ..

.. وهكذا تأتي تلك التشبيهات كتيار مستمر .. كانسياب تحويلي وتطويري يعني ، في الآخر ، التأويل لصيرورة العالم .. لتطورات الوجدان .. لتغيرات المواقف والتجاوبات بين الطبيعة والحضارة . بين نواميس الكون ومغامرة القدرة المسكين .

وأكد البروفيسور بيرك أن « نظام المعاني » في المعلقات يدخل في نظام يختلف فيه عن المعاني الأخرى .. انهم يتخذون نفس المعاني ، غير انهم يتخذونها بنظام يختلف من شاعر الى شاعر . فلا علينا أن نتطلب من المعلقات نظام المنطق الفلسفي ، بل نتطلب نظاما من نوع آخر ، سميته « المنطق البنائي » .. منطق المشابكة ، أو التشابك . فلو تأملنا اكثر في هذه الظاهرة سيبدو لنا أن تلك المعاني تمثل لنا نزعات انسانية تجمعت ، أو تبلورت تعابيرها في صورة تلك المعاني .

الاطلال ، مثلا ، تنتمي الى حقائق طبيعية وانسانية خاصة .. وكذلك الآخرون . حالة ، أو مستوى المعاني متأثر بمستوى سابق ، هو : مستوى النزعات الانسانية الكامنة في نفس البدوي العربي ، حينئذ .

ثم أشار الى ناحية أخرى .. قال : « من قرأ معلقة زهير ، أو معلقة عنترة يستطيع أن يتساءل : لماذا ينتهي هنا ؟ لماذا لا يضيف خمسين بيتا أخرى ؟ منطقيا : لا مانع من ذلك ، فالنهاية عبثية .. او بتعبير آخر : القصيدة تبتدئ ولا تنتهي . تبتدئ ولا تنتهي كنص أدبي .. ولكنها ، كظاهرة اجتماعية ـ نفسية ، تنتهي عندما تصل الى غايتها الحقيقية ، وهي : أن جماعة المستمعين يتغنون هم أنفسهم البقية .

لو جاز هذا الاشتراط ، فان علينا أن نقترب من ظاهرة أخرى غريبة متمثلة في تاريخ الجاهلية ، هل لاحظتم أن الحروب الجاهلية كانت تبتدئ ، وتبتدئ من قصة معينة ، دقيقة .. من حكاية .. ثم تستمر لاثني سنة أو أكثر ، ولا تنتهي ، وكأنهما لا تنتهي أبدا ؟ أنا حاولت الجمع بين هاتين الظاهرتين .

وتساءل البروفيسور بيرك : يعني في لغتي ، جدلية الوجود واللاوجود . فما الاطلال الا الطبيعة الراجعة الى عدم . كانت حية ، لم خلت من ذلك كله ورجعت الى العدم .

غير أن الشاعر يعبر أنه وقف على هذه الاطلال ـ أي على جدلية الوجود واللاوجود بضيقه ، كما فهم المنطق المبكر من الثبات والتغير ، الثبات ؛ مأنسة مع الغياب التغير ، مالنية الكلية .. فيها الاطلال . ثم يكشف الشيء الثالث من الصيرورة ، الذي هو « الفراغ » .. محاولا أن يملأ هذا الفراغ بالقدرة الانسانية ..

.. إن الشاعر يأتي الى الاطلال ويضيف تساؤله ووجدانه على هذا الفراغ .. على هذا الفضاء .. فتجد

انه حوى في اللاشعور ، من تلك العملية ، عوامل متعددة تمثل أركان الوجدان العربي (هناك الطبيعة ، العمادة ، الشخصية ، الكلمة ، اللهو .. وهكذا) .

هناك مستوى آخر : نجد فيه الانفجار الابداعي يبدأ يتبلور ويتخصص في صور ونزعات نستطيع أن نلخصها بعدة ثنائيات :

ـ بين ما هو صحراء وما هو واحة (وهو حوار مهم عند البدو)

ـ ثنائية أخرى في ميدان الحيوان : بين الزوايد والانيس من الحيوان ..

ـ هنالك الثنائية المعروفة عند الانثروبولوجيين بين الطبيعة والحضارة ..

ـ ثنائية أخرى بين الغضب والعقم .

ـ وثنائية بين التصالح والحرب . بين الأنا والآخر : والأنا الفردي والأنا الجماعي ، من جهة ، والآخر الفرد والجماعي ، أيضا ، من جهة أخرى .

ـ وهكذا نجد أيضا ثنائية لا تقل أهمية ، بل لعلها أهم تلك الثنائيات .. الثنائية ما بين الحكمة الانسانية وحكمة الدين . حكمة الانسان المؤمن ، والحكمة الانسانية المحض .

وفي الأخير تعب البروفيسور بيرك الى « أن شعر المعلقات يمثل لنا طورا متأخرا من أطوار سابقة ومتسابقة .. يحمل الينا الانجاز الفني الاكبر للابداعية العربية الاولية ، ويتضمن ، أيضا ، تحولا خطيرا ابتدأ بنقل الكيان العربي القديم من مرحلة عضوية سابقة تذوب فيها أبعاد الحياة كلها ، الى مرحلة أخرى ، مرحلة التاريخ الفعال ..

واذا كان الشاعر ، حينئذ ، يتيه في الاودية ، ويقول ما لا يفعل ، فان ذلك انما يدل على الانفصام والقلق في بدايات التاريخ العربي ..

يعبر عنهما تعبيرا رائقا ما يزال الانسان المعاصر ، وحتى الاجنبي مثلي ، يجد فيه تعبيرا عن انفصامه وقلقه هو ..

.. ان « المعلقات » تحمل الينا في عهد التساؤل الفردي والجماعي والعالمي ، ذكريات العضوية المجبورة ، والحنين الى الحبيب المفقود .

وقفة على الاطلال

هكذا أنهى البروفيسور بيرك محاضرته . وبالرغم من أن « قاعة الادريسي » امتلأت بالمستمعين ، من أساتذة الكلية وطلبتها .. وبالرغم من أن المحاضر قد أشار الى أنه يطرح

محاضرات

نظرة أخرى إلى المعلقات العشر

بعض آرائه لمزيد من الحوار .. فإن كلمة « الإطلال » التي تحدث منها في محاضرته قد انسحبت على « الحياة » في القاعة . فكأنه كان يقف على « طلل » .. ويكلمه .. حيث لم يتوجه إليه أحد بسؤال ، أو رأي .. ولم تكن هناك مناقشة . مع أن الرجل كان يتكلم بلغة عربية واضحة ، أوصلت أفكاره إلى الجميع ، على ما أظن . ولا أحسب أن « الصمت » الذي أطبق على القاعة ومن فيها بعد انتهاء المحاضرة هو صمت الموافقة على ما جاء به من أفكار وآراء ، والتسليم بها .. إنما هو صمت العجز عن تجاوز « المنهج التقليدي » الذي درج عليه معظم الحاضرين في النظر إلى « المعلقات » ، وإلى الشعر عموماً . وقد فاجأهم هذا « المنهج » الذي ينحو منحى آخر .. مختلفاً تماماً عن طبيعة ما في الرؤوس من « أفكار جاهزة » و « مرددات تقليدية » لم يتحرج « بيرك » نفسه من أن يقول لي ، من بعد ، إنها قد تعود إلى خمسين عاماً مضت !

لقد كانت الأفكار التي طرحتها المحاضرة كثيرة ، وكبيرة .. ووجود مفكر مثل « جاك بيرك » في مدينة مثل بغداد فرصة ذهبية لمثقفيها لكي يتحاوروا معه في كثير من قضايا ومعطيات ومشكلات الثقافة العربية التي يمنحها كل اهتمامه .. غير أن « الجهات الثقافية » جميعها ما عرفت السبيل إلى استثمارها .. للأسف ، حتى « الجهة الداعية » لم تفعل ذلك !

ماجد السامرائي
بغداد

العلم الحديث في ضوء مفهوم القرآن الكريم

د. عبد الحافظ حلمي



لعامين متتاليين سعدت بأن أكون بين المتحدثين في الموسم الثقافي لجامعة قطر . وقد آثرت أن يكون حديثي في قضية واحدة ، لأنها كانت ـ وما تزال ـ موضع اهتمام بالغ ومحل خلاف واسع بين طرفي نقيضين . ففي أحد الطرفين اندفع قوم إلى الكتابة في موضوعات تجمع بين الدين والعلم ، جمعاً قد يجنح إلى الشطط حيناً أو الافتعال أحياناً ، وإلى تقديم تفاسير عصرية لآي القرآن الكريم ، على حد ما يقولون ـ ولم يكن غريباً أن يكون من بين ما كتب ، ما لم يرض عنه سدنة الدين وحماته ، فهبوا غضاباً مستبسلين في تخطئة أولئك ورميهم بالجهالة . وهكذا وجد عامة الناس أنفسهم حيارى بين افتتان بأقوال « العصريين » وتقدير لموقف « المتحفظين » ، لا يدرون أين جانب الحق ، وأي الفريقين يتبعون .

وهذه هي القضية التي تحمست لإثارتها ، والتي استأذنت الجامعة في أن أنقل أطرافاً من حديثي الموصول فيها إلى قراء مجلة « الدوحة » ، حتى أعرض القضية على دائرة أوسع من أهل الرأي .

ومن أول ما يقال من الحجج ، أن القرآن الكريم لا شأن له بالعلوم الحديثة ، وإنما هو كتاب أنزل للناس إرشاداً والهداية وبيان الشريعة وأحكامها . وهذا ، ولا شك ، قول حق ، ولكنه ليس الحق كله . وذلك لأن الله قد شاءت حكمته أن يكون إرشاد الناس وهدايتهم بوسائل متنوعة ، وأن يكون من أبرز هذه الوسائل حضهم على التدبر في آيات خلقه . وإلا فلم احتفال القرآن الكريم بذكر السموات والأرض ، والشمس والقمر ومنازله ، والمشارق والمغارب ، والبروج والنجوم والكواكب ، والليل والنهار والفجر والشفق ، والظلمات والنور ، والبحار والأنهار والعيون ، والرياح اللواقح والمثيرة ، والسحاب الثقال والمركوم والمنبسط ، والبرق والمطر ، والجبال الراسيات والجدد والحمر والغرابيب السود ، والأرض الهامدة والأرض المهتزة الرابية ، والجنات والنخيل والأعناب والتين والزيتون ، والطلع والسدر والينطين ، والنحل والنمل وجناح البعوضة والذباب وبيت العنكبوت ، والطير الصافات والإبل والخيل والأنعام ، واللبن يخرج من بين الفرث والدم ،

والغراب التالي يخرج من بطون النحل ، وخلق الانسان من ماء مهين، وتطوره في ظلمات ثلاث خلقا من بعد خلق في قرار مكين ، وشفتاه ولسانه وسمعه وبصره وفؤاده واخراج الحي من الميت والميت من الحي … وهذه كلها أمثلة قليلة بعيدة عن تمام الحصر ، مما يوجهه القرآن الكريم الى أولي الألباب الذين يعقلون ويتفكرون ويتدبرون، ناعيا على غيرهم من ذوي القلوب التي يحرمها ما عليها من أكنة وأقفال من رؤية الحق ونور الهدى … « افلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها » • (محمد ، ٢٤) •

لا ، بل ان القرآن الكريم ، في وضوح بين وجلاء ناصع ، قد سبق الايمان لحمة في نسيج محكم بين العلم الطبيعي بمعناه الحديث • تأملوا معي قوله تعالى ، في سورة آل عمران : « ان في خلق السموات والأرض ، واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب • الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ، ربنا ما خلقت هذا باطلا ، سبحانك فقنا عذاب النار » • (١٩٠ – ١٩١) •

فهكذا يسير الأسلوب القرآني في بلاغة معجزة وانتقال منطقي سريع من لفت الانظار الى آيات الله الكبرى في خلق الكون ، الى ذكره تعالى في جميع أحوال الذاكر ، الى التفكير والتأمل ، الى الانتهاء الى الايمان بالله واليوم الآخر ، والتوجه اليه سبحانه بالدعاء ، والدعاء مخ العبادة •

ومع هذا فانك تجد من الناس من يؤكد لك أن من المغالطة أن تقول ان مادة « علم » ومشتقاتها (التي وردت ٨٣٤ مرة في القرآن الكريم تتسع لتشمل العلوم الطبيعية الحديثة) • والعلم في اللغة هو الادراك والمعرفة ، وكل ما أزال جهلا • وهذا المصدر قد يستخدم مفردا من جمع « العلوم » ، وهي مجالات الدراسات المتخصصة ، كعلم النحو وعلم النبات وعلم الوراثة • وما الى ذلك مما صنف وفرع نحن الانسان • ومن المشتغلين بعلوم الدين قد تجد بينهم من يصر على ان « العلم » هو علوم الدين وحدها ، وقد يخصص بعضهم هذا المصطلح الى علم الحديث بالذات ، أو رواية الحديث [illegible] المعنى من النبي [illegible] وهو في [illegible] ما من الكلام [illegible] الحديث [illegible] من خلق [illegible] فقد [illegible] العلم [illegible] الذي [illegible] كعلمائه [illegible] الصحيح [illegible] وغير [illegible] التخصصات كلها لا تلغي ولا تمنع المعنى الواسع الشامل « للعلم » كما قدمنا •

معنى العلم في القرآن

ولكن لنعد الى موضوعنا : فما معنى العلم في القرآن الكريم ؟

يخاطب الله سبحانه وتعالى ، رسوله صلوات الله عليه ، في سورة البقرة :

« قل ان هدى الله هو الهدى ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم ما لك من الله من ولي ولا نصير » • (١٢٠) •

وفي سورة طه : « … ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى اليك وحيه ، وقل رب زدني علما » … (١١٤) • فالعلم هنا ومثاله هو ولا شك العلم الالهي اللدني بمعناه الشامل •

أما في موضع آخر من سورة البقرة (٣١ ، ٣٢) : « وعلم آدم الأسماء كلها ، ثم عرضهم على الملائكة ، فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء ان كنتم صادقين • قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا ، انك أنت العليم الحكيم » … فكتب التفسير تقول هنا – من بين ما تقول – ان الله علم آدم أسماء الأجناس وعرفه منافعها … وهذه هي علوم الدنيا •

والمجال لا يتسع للاستطراد الى أبعد من هذا في تتبع معاني « العلم » في القرآن الكريم ، ولكنني أكتفي بهذين الى التي قد أرتحت منذ سنوات طوال الى آيتين اثنتين من سورة « فاطر » تحسمان هذه المسألة حسما ، فهما على الأقل تفتحان الباب على مصراعيه لفهم لفظ « العلم » بمعناه الشامل الواسع حتى يشمل العلوم الطبيعية الحديثة : « ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ، ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود • ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك ، انما يخشى الله من عباده العلماء ، ان الله عزيز غفور » • (٢٧ ، ٢٨) • فخشية الله هنا لم تأت الا بعد ذكر مباحث علوم الأرض (الجيولوجيا) والبيئة والوراثة والنبات والحيوان والأجناس البشرية • وفي هذا اشارة الى أن معرفة المشتغلين بهذه العلوم (وهم الذين سموا « العلماء ») ببعض الأسرار الكامنة وراء هذا التنوع الرائع في ملكوت الله ، هي التي تبعث في قلوبهم الخشية من بديع السموات والأرض … وفي هذا يطول الحديث •

وأمة العرب التي كانت تغلب عليها الأمية ، سرعان ما برز فيها بعد الاسلام الرياضيون وأئمة علوم اللغة والكتابة • واتصال العرب

محاضرات

العلم الحديث في خدمة فهم القرآن الكريم

يفرغوا من الامم ومجهول هؤلاء في الاسلام أوجب وضع قواعد مدونة للنحو والصرف والبلاغة والبديع والعروض وفقه اللغة ، وما الى ذلك من فنون العربية وآدابها … ولكننا نعلم أن عاملا آخر قد شجع نمو هذه العلوم ، وهو دراسة القرآن الكريم وتدوين تفاسير له ، حتى ان تلك العلوم كانت تسمى « العلوم الخادمة » ، ومجرد الاطلاع على أمهات كتب التفسير وما كتب عن بلاغة القرآن ودلائل اعجازه فيه بيان لأهمية الخدمات التي أدتها تلك العلوم في ذلك المجال الشريف .

وأنا من شرفه علم التفسير فيعجبني ما قرأته للألوسي في روح المعاني من أن العلم يكون بشرف موضوعه وشرف معلومه وغايته وشدة الاحتياج اليه ، وأن علم التفسير حائز لجميعها . وأود أن أؤكد أيضا أن الدور الذي قامت به تلك العلوم هو دور الخدمة لذلك العلم الشريف ، وأعتقد أن العلوم الطبيعية الحديثة ينبغي أن تتقدم لتنال شرف هذه الخدمة في هذا الزمان .

بلاغة القرآن

ودليلنا على وجوب هذا مستمد من القرآن الكريم نفسه ، لأنه حفل ـ كما قدمنا ـ بذكر آيات الله في خلقه وسيلة مباركة لاقناع الناس بقدرته ووحدانيته ودعوتهم الى الايمان به . بل ان المسألة أصرح من هذا وأوضح ، اذ ان النظر العلمي في آيات الله ورد بصيغة الأمر ، كما في قوله تعالى « قل انظروا ماذا في السموات والأرض … » (يونس ـ ١٠١) ، « انظروا الى ثمره اذا أثمر وينعه … » (الأنعام ـ ٩٩) . كما أنه ورد أيضا بصورة الحض

« أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت . والى السماء كيف رفعت . والى الجبال كيف نصبت . والى الأرض كيف سطحت » (الغاشية ١٧ ـ ٢٠) . أو بصيغة تقرير قاطع : « أو لم ينظروا في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء … » (الأعراف ـ ١٨٥) .

وهذه الصيغ كلها من دون الصيغة تكون بمثابة الأمر ، فالمسألة اذن فريضة وتكليف . بيد أن النظر في هذه الآيات يختص الظاهر بتفاوت [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] أو فرض كفاية مثلا ، الا أنهم مكلفون أيضا بتبصرة غيرهم بعلومهم وما انتهى اليه نظرهم .

وما أظن هذا الذي نقوله شيئا من مبتدعات هذا الزمان ، فلا شك أن المفسرين الأوائل كانوا يتحرجون حرجا كبيرا في تفسير القرآن الكريم بعلم غير موثوق أو منقول . ومع ذلك فان الامام الطبري ، رغم التزامه بهذا ، قد تحرر من هذه القيود « بحذق ومهارة » (كما يلاحظ آدم متز في كتابه عن الحضارة الاسلامية) وقدم مؤلفا فريدا جمع فيه الرواية والدراية . وان المتكلمين كانوا أول من مالوا الى الرأي والتأويل في تفسيرهم لآي الذكر الحكيم . أما الاستعانة بمعلومات العصر المتاحة فنجدها واضحة في تفسير البيضاوي وابن كثير (في القرن الثامن الهجري) ـ بل عند بعض من سبقهما ـ ثم عند الألوسي في القرن الثالث عشر ، على سبيل المثال .

بين الدين والعلم

ومع ذلك ينبغي عليّ أن أسارع الى القول بأن لهذه الخدمة المقترحة قيودا وحدودا وشروطا . فليس المقصود من خدمة العلم في فهم كتاب الله أن نكتب عن « التوفيق بين الدين والعلم » . فمن قال ان الدين ـ أي الاسلام بالذات ـ بينه وبين العلم ـ حديثه وقديمه ـ خلاف ؟ ثم ان الجمع بينهما وكأنهما طرفان متكافئان وضع مرفوض . وأقبح من هذا أن نساق فنكتب عن « الله والعلم الحديث » ، فهذه الصيغة توحي بما يردده بعض الفلاسفة من أن الدين ظاهرة وأن الرب فكرة … فضلا عن أن الجمع بين لفظ الجلالة والعلم على هذا النحو أو وضعهما في موضع المقابلة أمر أعتقد أنه يجافي أدب الحديث عن الله ، تعالى سبحانه علوا كبيرا . كذلك ليس المقصود من الخدمة التي أشير اليها أن نهجم على الغيبيات فنصورها كما يصورها شيئا عيانا وحواسا . كما أنه ليس المراد منها سرد فصول كاملة من كتب العلم المدونة ، مع الاكتفاء بإقحامها بالبسملة ثم اختتامها بمصمصة الشفاه والتسبيح باسم الخالق البديع . أو الهجوم بحقائق العلم اقحاما وافتعال مناسبات حشرها اقحاما ، أو الاقتراب

● ما هو المقصود بالنطفة والعلقة والمضغة المخلقة وغير المخلقة؟

والسمحق أو الشلل بطول بالوهم أو قروض ؟

فما المطلوب منا إذن ؟ المطلوب ـ في رأيي ـ أننا إذا قرأنا قوله تعالى : « أفلا ينظرون الى الإبل كيف خلقت » ، استجبنا الى هذه الدعوة الربانية بما لا ينافي الفطرة السليمة أو المنهج العلمي) لا سيما وأن الانسان يستطيع بفطرته البسيطة أن يدرك قدرة الخالق البديعة في ذلك الحيوان العجيب ، ولكننا نستطيع أن نذكر أن العلم الحديث قد كشف ، وما يزال يكشف ، عن معجزات بيولوجية رائعة في ذلك المخلوق الفريد ، ونستطيع أن نتخذ هذا المثل بمثابة طيبة لإبراز مغزى هذا الحض الجميل على اتخاذ العلم مدخلا الى زمن الايمان ، ولاظهار كيف يشرح هذا المدخل ويتسع شيئا فشيئا مع تقدم العلم ، دون تمحل أو افتعال ، بل اننا نستطيع أن نتلق على أن هناك حكمة في أن الله قد خص هذا المخلوق العجيب بالذكر ، من بين ما لا يحصى من مخلوقاته ، لتوليها يتحدث في دراسته المتدبرون ، وانه ليس صحيحا ما يقوله البعض ، من أن ذكر الابل انما هو لمجرد المناسبة لخطاب البدو والأعراب . فالصحيح حقا أن هذا صحيح ولكنه ليس الحق كله ، فالجمل ـ والجمل بالذات ـ هو الآن نموذج فريد تشير اليه كتب علم الأحياء الحديثة في أوروبا وأمريكا !

ولئن ذكر لحم الخنزير بين اللحوم المحرمة ، وجب علينا ـ بعد الامتثال والطاعة ـ أن نلتفت الى أن التحريم هنا تحريم مطلق ، لأن القرآن الكريم يقول « فإنه رجس » ، والى أن لحم الخنزير ينفرد من بين الأنواع الأخرى من اللحوم المذكورة بأنه حرام لذاته ، أي لعلة مستترة فيه أو غالبة الضرر به ، لا لعلة طارئة عليه كما في أنواع اللحوم الأخرى المحرمة ، أي أنه ينبغي علينا أن نبحث هذه العلة بحثا علميا دقيقا ، وأن نرى ما نهتدي اليه من حقائق ونطلع عليها الناس ، لا أن نردد ما تتناوله بعض التفاسير مما يسهل نقضه وتفنيده .

يجب علينا أن نتعمق في فهمنا قوله سبحانه في سورة الأنبياء « وجعلنا من الماء كل شيء حي » ، وفي سورة يس « الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارا » [illegible]

[illegible]

[illegible] الأجرام السماوية في الفلك ، وكيف يمسك الرحمن الطير في جو السماء ، وكيف تتفجر الأنهار من الحجارة ... الخ .

وأحرى بنا أن نقسم غاية ما يبلغه اجتهادنا ـ اذا توصلنا الى ما ترتاح نفوسنا وعقولنا اليه ـ في فهمنا كيف كانت السموات والأرض رتقا ففتقهما الله ، وما هي الظلمات الثلاث التي يخلق فيها الانسان ، وما هو المقصود بالنطفة والعلقة والمضغة المخلقة وغير المخلقة ، وهكذا .. وهكذا .. كذلك ينبغي علينا أن نجتهد في محاولة تحديد المسميات الواردة في القرآن الكريم (وهذه خدمة كبرى) ، كحوت يونس والسدر واليقطين والطلح والثوم والمن والسلوى ، فضلا عن أن نزيد الناس تعريفا بالأعناب والتين والزيتون والرطب ومناسبات ذكرها في القرآن الكريم ، وكذلك ما جاء في كتب التفسير من الأسماء كشجر المرخ والعفار ، وما الى ذلك .

الفضاء .. والذرة !

وليس يستغرب أن يجانب الصواب بعض من تصدوا لشيء من هذا ، فمن ذلك أنه عندما ركب الانسان أول مركب في الفضاء ، خرج من يقول لنا أن هذه المركبة هي الدابة التي تخرج من الأرض لتكلم الناس ! ثم تبعه من يقول بل ان هذا هو النفاذ من أقطار السموات والأرض بسلطان (كما جاء في سورة الرحمن) وأن هذا السلطان هو سلطان العلم ! وغني عن البيان أن هذا وذاك مخالفان للعلم والتفسير والمنطق واللغة وسياق القرآن الكريم جميعا ..!

ومثل هذا قول القائلين بأن ذكر الذرة وما هو أصغر منها دليل من القرآن الكريم على أن الذرة ـ بمعناها الاصطلاحي الحديث ـ ليست أصغر الجسيمات في تكوين المادة ، وأن القرآن الكريم قد سبق العلم الحديث في هذا ، كذا مثال التحدي (وانظروا معي الى هذا الحرص الشديد على وضع القرآن والعلم في حلبة السباق) ، وشبيه بهذا التمحل في الاستدلال على كروية الأرض من قوله تعالى : « والأرض بعد ذلك دحاها » ، بالاستناد الى

محاضرات

العلم التجريبي في خدمة القرآن الكريم

ان الريفيين في بعض بقاع مصر يسمون البيض « دحيا » ، وقد جهل أو تجاهل من قال بذلك بأن معنى « دحى » هو « بسط » لا « كور » .

وهذا العرض الشديد على اثبات « الاعجاز العلمي للقرآن الكريم » أو « سبق القرآن للعلم » كما يقولون — بمناسبة وغير مناسبة ، يتحول في كثير من الاحوال الى الوان من السذاجة المضحكة . فمن السذاجة حقا أن يتصور انسان أن النبي صلوات الله وسلامه عليه ، قد بعث ليبشر بانشطار الذرة أو ارتياد الفضاء أو يخبره بكروية الأرض أو تفلطحها عند القطبين . فهذه الأمور كلها ليست مقالة ، ثم انها ليست في حاجة الى رسول من الله ، والحال أن الله المنعم قد وهب الانسان — خليفته في الأرض — من الملكات ما يستطيع بها تحصيل هذه الأمور وادراكها ، وهي أمور لم تكن صالحة في معظم الأزمنة المناسبة للدعوة الى الايمان بجوهر الدين ، لأنها سلسلة من المقدمات والنتائج لكل منها أوان مناسب له ووسائل متطورة لاظهاره . ولو ان الرسول عليه الصلاة والسلام ، قد مزج بدعوته شيئا من ذلك القبيل ، لما امن به أحد ، ولضاعت القضية الأولى في دعوته وهي الايمان بالله ووحدانيته . ومع ذلك فالقرآن حافل — كما ذكرنا — بحض الانسان على العلم ، ولكن بوسائله الطبيعية ، من التفكر والتدبر وازالة الغشاوات عن الأبصار والبصائر وتحطيم الأقفال عن الأفئدة . وكان هذا خيرا وأبقى لأن أي كتاب في العلم ، مهما كبر حجمه أو عظم شأنه ، هو كتاب محدود ، أما ايقاد جذوة الفكر وطلب العلم عند الانسان فهي عملية لا تخبو ولا حدود لها .

الاجتهاد له أصول

ولكن هل يترتب على ما ذكرت من الاخطاء والمزالق ، أن نشمر عن أعقابنا ونمتنع — ولو من باب سد الذرائع ، عن الاجتهاد في هذا السبيل ؟ لا أظن ذلك ، فان أخطاء المفسرين التقليديين للقرآن الكريم ، وما حشوا به كتبهم من أساطير واسرائيليات أو تعصبات للمذاهب والفرق ، كل هذا لم يبرر الحكم بالقضاء على كتب التفسير جميعها وتحريم الكتابة فيه . ومع ذلك فانه من الواجب علينا أن ننتبه الى أن للاجتهاد شروطا وأصولا ينبغي الالتزام بها ، وأن على [illegible] يتصدى للقيام بهذا الواجب [illegible] الأهلية [illegible] القيام به [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] المحرفة ، والا فعليه أن يسعى الى أهل العلم [illegible] والثقافة بمختلف انفرعات وأساليبه ، حتى لا يضل وحتى يلتزم بمراعاة الدقة والتحرج اللائقين بكل من يتحدث في تفسير كتاب الله العزيز ؟

وكثيرا ما نسمع من يتوعد بان ما يسمى « حقائق » العلم ليس سوى نظريات وفروض يعتقد رجاله لعموم فترة من الزمان انها حقائق ثابتة ثم لا يلبث أن يثبت بطلانها ، ولذلك لا يجوز أن نرجع اليها عند دراستنا للقرآن الكريم . وهذا القول — على اطلاقه — غير صحيح ، ولكنى أخون البال الشعبي يقول بانه ما من رجل علم حق لا يستطيع أن يميز بين الفرض والنظرية والقاعدة والقانون العلمي ، لأن هذا جزء من تدريبه الأساسي ، كما أن قصة علمه المعرفة يسدود علمه وامكانات معركات حواسه والأجهزة المكبرة أو المضخمة لها . ورجال العلم — كغيرهم — يتفاوتون فيما في الدراية والتمكن ، ولكن رجل العلم الحريص يعرف تماما ما هو « حقيقي » في علومه ، وانما هذا ليس بالمعنى المطلق الذي يسمى اليه الفيلسوف أو يجده الصوفي المتبتل . فالحقيقة التي يعرف هو بناءها وصمودها — لا تبطل أبدا ، ولكنها قد تزداد تفصيلا ووضوحا وجلاء . ولنضرب لذلك مثلا واحدا وهو الكشف عن تكون الكائنات الحية العليا من خلايا ، فهذه ظلت حقيقة ثابتة منذ نحو قرن ونصف قرن ، ثم ازدادت تأكيدا وروعة ، ولم يبطلها أن عرفنا من صور الخلايا ما لا يعد ، ولا ما كشفت عنه المجاهر الضوئية والالكترونية من نوى وكروموسومات وريبوسومات وليسوسومات ، وما الى ذلك . ولا ما كشفت عنه علوم الوراثة والكيمياء الحيوية والفيزياء الحيوية والبيولوجية الجزيئية من جينات وأحماض نووية وبروتينات مخلوقة غير مخلوقة ونحو ذلك .

وينبغي أن أشير الى أن الاستعانة بالعلوم الحديثة في خدمة فهمنا لآيات القرآن الكريم ، على النحو الذي بيناه ، والهدف الذي حددناه ، والشروط التي وضعناها ، مفيد للمؤمنين وقد يكون سببا لفهم ممن يشرح الله قلبه للايمان . هذا فضلا من أنه يزود طلاب العلوم الدينية وقارئيها بمقدار من الثقافة العلمية اللازمة لهم لحسن فهمهم لما يقرأون ولالمامهم بشيء من طبيعة العصر الذي يحيون فيه . فهذا العصر يوصف تارة بأنه عصر العلم وتارة بأنه عصر الفضاء أو الالكترونيات أو الطاقة النووية ، وما الى ذلك من المباحث العلمية ومنجزاتها العصرية البارزة .

والثقافة العلمية تطرق مسامع الناس وعقولهم من كل طريق ، بل انهم يمارسون مستحدثات العلم ويتعلمون العلم ويتمتعون بها أو يكتوون بنارها . فالفصل بين هذه الثقافة والدين ليس من طبيعة الاسلام الذي تناول — منذ عهد الرسول الكريم — حياة المسلم في وحدة متكاملة . ولذا وجب أن يكون أسلوبنا الذي نتناول به قضايا الدين متسقا مع أسلوب زماننا .. ولكننا اذا تقاعسنا عن ذلك ، تراجع الدين

الى جرم المناهد ، وتحول كتاب الله من رسالة خالدة متجددة الاعجاز والاقناع الى تراث عتيق .. وهذا هو غاية ما يبتغيه أعداء الدين ، ولكنه بإذن الله لن يكون .

وبعد :

فان شبابنا متطلع الى من يشبع حاجاته الروحية الفطرية ، وهي الكفيلة بأن تحميه من الضياع .

وانه لواجب علينا الا نحكم على ابنائنا وبناتنا بالتورط في مشكلات التطرف أو الاصابة بانفصام للشخصية متحيرين بين تراث أصيل عتيق يبدو كأنه مجانب لطبيعة عصرهم ، وحديث حي مقر يبدو وكأنه مناقض ومنافس لدينهم .

ان الاسلام هو دين الحياة ، فهكذا اراده الله ، والحياة في عصرنا هذا قائمة على العلم ، فمن هنا كان وجوب ان يلتقي الدين بالعلم ، أو بتعبير أصح أن يكون الكيان كيانا واحدا ، كما أراده الله . ليس بين الاسلام والعلم تناقض . فالقرآن كتاب الله والكون وسننه من خلق الله ، وكلاهما حق . « ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا » ..

صدق الله العظيم

تعقيبات

اللغــة العــربيــة والــدعوات المشبوهة لاستبعادها

بقلم [illegible]



في مجلة ـ مواقف ـ البيروتية التي يصدرها الشاعر علي أحمد سعيد ـ أدونيس ـ طرحت مشكلة اللغة العربية الفصحى من جديد ، وكان الهجوم المقنع تحت ستار من الصحيح ، والادعاءات الواهية التي قدمها شاعر لا نظن أحدا سمع باسمه هو ـ عبده لكي ـ يحاول أن يبين أن اللغة العربية وصلت مرحلة الشيخوخة والعجز ، وأضحت عاجزة عن التواصل ، والقدرة على مسايرة العصر الراهن بمتغيراته الكبيرة ، والتعبير عنه بلغة ديناميكية حية ، ومتفاعلة ، الأمر الذي يجعلنا نفتش عن لغة أخرى جديدة هي اللغة العربية المحكية بما يسميها كاتب المقال ، وكما يرفقها بنماذج من قصائده الشعرية ، وهي لغة وسط بين اللغة العربية الفصحى واللغة المحكية كما هي في لبنان ، ويعني الاقطار العربية المجاورة له .

وقبل أن ندخل في مناقشة الاسس ، والآراء التي استند اليها علم ولساني ... هي جغرافية المنطقة التي يتحدث الكاتب عن انتشار اللغة العربية المحكية فيها وهي منطقة لبنان والدول المجاورة منه ، حيث يعودنا هذا الكلام الى ما كان يطرحه القوميون السوريون من أن سورية الطبيعة القديمة (سورية ـ لبنان الاردن ـ فلسطين ...) هي قومية واحدة ، يجب النضال من أجل بنائها ومن هنا يمكننا بداية دون عدم أن نفهم حقيقة هذه الاطروحات التي تتبناها مجلة ـ مواقف ـ وتروج لها ، وتحاول أن تغلفها وهي محاولات عدائية تخفي مؤامرة حقيقية على الشخصية العربية الواحدة ، والقومية العربية قبل كل شيء .

يقدم الشاعر عبده لكي مقالته بنفس اللغة العربية المحكية التي يدعو اليها فيقول في مقالاته تلك محاولا تبرير دعوته ، وأهدافها التجريبية تحت غطاء من الادعاءات الواهية

« ١ ـ اللغة هي بكتب فيها هي لغة عربية ولكنها لغة عربية متطورة ، لغة عربية محكية هي لغة عربية حية لأنها عاللسان ، لغة نامية متفاعلة متحركة .ص ١٠٠ » لا ندري ما مفهوم اللغة النامية المتحركة التي يتحدث عنها الشاعر ، طالما أن هذه اللغة ـ كما يسميها ـ هي نتاج التخلف وتخلف الواقع العربي ، الذي يجد مرحلة نشوء وانتشار اللهجات المحلية التي جاءت بديلا عن اللغة الفصحى نتيجة غياب التعليم ، والثقافة ، ونشوء الدولة الاقليمية بين أقطار الوطن العربي ، منذ بداية عصور التخلف والانحطاط التي شهدها الوطن .

ويضيف الكاتب في مكان آخر فيقول :

(٢ ـ هي لغة عندها كل مقومات الحياة والابداع ، مش لغة مبتذلة ولا عامية ، بمعنى الانحطاط ، ما في طبقية باللغة ، يعني ما في لغة أسياد ولغة عبيد في لسان واحد بحاكم ذاته ، ما في عند العقل ابداع)

تعقيبات

اللغة العربية
والدعوات المشبوهة لإسقاطها

ص ١٠٠ :

هل تعتبر العربية الفصحى لغة جيل ولغة أجيال كما يقول الكاتب ؟ الواضح أن الكاتب يحاول تمرير لعبته تحت شعار براق من العبارات المنمقة وأنه إذا كانت الفصحى لغة التعليم والثقافة ، والوطن الآمن يجب بحكم تخلفه وجهة عن اللغة العربية الفصحى ، فإن الهام هذا التقابل بهون ومع دعم التعليم وانتشاره وتوفيره لجميع الناس كحق إنساني لهم - عندما تلغى هذه الفروق ، وتنعدم ، وتهت تسقط ادعاءات الكاتب البراقة : فاللغة العربية الفصحى كانت دائما لغة جميع الناس وليست لغة طبقة خاصة كما يقول الكاتب ثم يتساءل - عبده لكي - حديثه عن مسائل اللغة الجديدة ومميزاتها فيقول :

(٥ - اللغة العربية المحكية اليوم بلبنان وبعض البلدان المجاورة هي بنت اللغة العربية الفصحى بدون شك) ص ١٠٠ - لكن هذه اللغة التي انفصلت عن اللغة الفصحى الأم ليست تطويرا لتلك اللغة بل هي تحريف وتلاعب بها ، وبالتالي لا يمكن القبول بها على أساس أنها بنت اللغة الفصحى كما يدعي الكاتب لأن الفصحى متى انفصلت على نفسها وتعرضت للتشويه والتحريف والتلاعب فقدت نفسها وحملت معها عوامل فنائها وتدميرها دون أدنى شك .

ويستطرد عبده لكي في تحليله مبررا غياب القواعد الاعرابية عن هذه اللغة فيقول :

(٨ - الذي يسقط من هاللغة هي ظاهرة الاعراب لأنها بتعيق اللغة وما بتزيد شي عالمعنى ولا بتستخدم ولا في حاجة لا لها) .

ان الكاتب هنا يرى أن غياب الاعراب في اللغة الجديدة هو الوحيد الذي يقرب منها ، وهو غير ضروري لأنه يعيق تقدم اللغة . فهل يمكن اعتبار الضوابط والقواعد الاعرابية أمرا لا ضرورة له ، ومستبعدا من سيضبط هذه اللغة ، ومن سيجعل جميع الناس يتفقون على صيغة موحدة للنطق والتعامل بها ، وكما يظهر من كتابته تبدو فداحة الأخطاء النحوية التي يقع فيها الكاتب ، والتي تفضحه . بعد هذا يلجأ عبده لكي الى التبرير فيقول :

(١٠ - ليش الاعتصام باللغة العربية المحكية ؟ بتخلق أولادنا يحبوا هاللغة ويرجعون لحظيرتها بعد ما صاروا عم يهربوا منها للغات الاجنبية وإلا خايف يجي يوم ما يعود فيه آخر يقرأ عربي ونحاطه على بيئة تكتب [illegible]) ص ١٠١ .

من قال ان الاقبال على اللغات الاجنبية هو [illegible] ثقافة [illegible] الانفتاح [illegible] طبيعي لدى الأمم [illegible] مستورد كل قوي من الأمم الأخرى . والمطلوب في مواجهة هذا الشيء ليس تكريس هذا الواقع المتخلف واللهجات المحلية ، وإنما بناء الواقع العربي من جديد ، وتحديثه وتطويره ليستطيع اللحاق بركب الحضارة بعدها لن تكون اللغات الاجنبية ذات سحر وتفوق . علما مع العلم أن معرفة اللغات الاجنبية ليس عيبا وإنما هو أمر ضروري في عصر الانفتاح والتواصل الحضاري والانساني الواسع .

ان الكاتب يرى أن اللغة الفصحى هي لغة سلفية ، توقع الانسان العربي تحت سيطرة القوى المتخلفة والظاهرة التي تشجعه على أن يبقى سلفيا وتقليديا لهذا فإن اللغة العربية المحكية هي الحل لخروجه من سيطرة واستغلال السلفية له . فهل السلفية هي الماضي والتراث والتاريخ العربي القديم ؟ إذا كان كذلك فكيف يريد للانسان العربي أن يقف في الفراغ منسلخا من ماضيه وجذوره وتاريخه ، وحضارته . بالطبع ان الكاتب يحاول ايهام الانسان العربي أن لغته هي وعاء كل ما هو سلفي وتقليدي ، في حين ان التراث والتاريخ العربي يمكن مناقشته ، وفهمه وتحليله واستخلاص الجوانب المضيئة فيه والتخلص من الجوانب السلبية فيه ، وهذا لا يعني أن نرفض اللغة العربية الفصحى كلها ، لأن هذا يعني اقتلاع الانسان العربي من جذوره .

بعد هذا نتساءل من هو يا ترى الشاعر اللبناني يوسف الخال ؟ هل هو الوصي على الأمة العربية واللغة العربية حتى يفرض الأشكال التي يريدها ، ويقرر صلاحية هذه اللغة أو عدم صلاحيتها للعصر الراهن ، ليمنح بالتالي جوازات سفر ومرور لهذه التجربة أو تلك . فإذا كان عبده لكي عاجزا عن الاتيان بشيء جديد في تجاربه التي كتبها باللغة الفصحى كما يقول ، فما ذنب اللغة العربية الفصحى حتى نلغيها ، ونرفضها ونستبدلها باللغة المحكية مبررين عجزنا وضعفنا بادعاءات واهية هدفها الأساسي ضرب وتخريب الشخصية العربية ليسهل ضرب الوجود القومي والطموحات القومية للانسان العربي .

ان هذه الدعوات الهدامة مؤامرة على الوجود والشخصية العربية ، وسقوطها مرهون بالوعي القومي العربي ، وكما سقط الكثير من الدعوات ، ستسقط هذه الدعوة أيضا وستظل لغتنا مشرقة إذا ما عرفنا كيف نطورها ، ونرعاها ونخصبها ، وهو أمر يجب أن تعيه أقطار الوطن العربي ومؤسساته التعليمية والثقافية للحفاظ على الشخصية القومية للانسان العربي في وجه التحديات التي تعصف بوجوده القومي .

مفيد نجم - دمشق

ملاحظتان على

«فارس العقل»

عودة الله القيسي

في العدد الحادي والأربعين من مجلة (الدوحة) الشهرية قرأت المقالة التي كتبها الدكتور يحيى الجمل تحت عنوان (فارس العقل) وقد أعجبتني بعض المواقف فيها، ولكن لم يعجبني فيها موقفان: الأول: أن الكاتب يدعي أن د. زكي نجيب محمود (يوشك أن يكون الآن في حياتنا العقلية هو وحده المتمسك بميزان العقل يريد له أن يحسم كل الموازين وأن ترتد إليه كل الأمور).

والثاني: أن الفكر (ليس ملكا لأحد وليس نتاجا خاصا لمجموعة معينة من الناس أو لمنطقة جغرافية محددة ...) وهذا يجعلنا (لا نجد حرجا ولا نحس إحساس التسول ونحن نغب من كل نهر). يقول هذا بصدد الدعوة بأن نغب من الفكر الغربي.

وملاحظتي على الموقف الأول هو أنه مبالغ فيه جدا - من ناحية - وأنه في حقيقته، ليس قيمة يمدح بها، من ناحية ثانية.

مبالغ فيه، لأنه ليس الذي يصرح باستخدام العقل هو وحده المتمسك بزمام العقل، بل كل الذين يكتبون (بعقل) أي بوعي لما يكتبون أو يكتبون عنه، فيرفضون ويقبلون هم مستمسكون بزمام العقل - على وجهه الصحيح - وهؤلاء كثر في هذه الأيام، ودليلي أخذه من عدد هذه المجلة التي بين يدي ... فمقالة الدكتور محمد إبراهيم الشوش (بين التبعية والأصالة) التي تعرض فيها لدور الجامعة وغرابة هذا الدور في مجتمعاتنا، فالجامعات في بلادنا لم تستطع حتى الآن تمثل الدور الوطني والروح القومية. ومقالة الدكتور أحمد عبد الرحمن العاقب (العرب والتكنولوجيا) التي يحلل فيها طبيعة المجتمع العربي في بداوته ويشير على مسألة ثالثة توعية الإشراف على المؤسسات العلمية التي تنشأ فيها. فهاتان المقالتان أكبر دليل على أن هناك مئات يكتبون (بعقل) دون أن يصيحوا بالدعوة إلى استخدام العقل.

أما أن هذا الموقف ليس قيمة يمدح بها في حقيقة الأمر، فذلك راجع إلى أن تحكيم العقل في كل شيء، هو قصر للإنسان على استخدام (منفذ) واحد من منافذ الرؤية وإغلاق المنافذ الأخرى، لأن الذوق منفذ آخر من منافذ الرؤية والحكم، ولأن ما يتصل (بالحدس) مما نعبر به الذين عن (الغيب) منفذ من منافذ الرؤية والحكم.

أترى العقل وحده يكفي حكما في كل موقف اجتماعي؟ أترى العقل وحده يكفي حكما في أمور الغيب؟ إن قدرة العقل هنا تقف عند تبرير النتائج أو وضعها في قالب فكري فلسفي، ولا ترقى أبدا إلى كشف (الغيب) كطريق سواء (الوحي)! معاذ الله!!

إن ما يمدح به - الآن - هو أن المفكر يجعل العقل معولنا على توضيح أمور وتأييد أخرى، أي أن العقل أحد المنافذ الأصيلة عنده في تحديد المعرفة والسلوك.

إن الرجل - د. زكي نجيب محمود - يجرد حضارتنا من أهم مقوماتها عندما يجعل العقل ميزان كل شيء، لأن أهم مقومات حضارتنا أنها حضارة جاء بها الوحي، وأيقن العقل بمسائلها ... ثم طلب من العقل أن يقوم بدوره (الطبيعي) وهو التفكير والتدبير والتحليل والتعليل والتبرير ... الخ من أجل إعمار الكون مستندا أساسا إلى تلك المبادئ باعتبارها (مسلمات) مقبولة.

أما الموقف الثاني .... فإنه يسير على غرار الموقف الأول. لأن الفكر وإن لم يكن - في عموم التعبير - ملكا لأحد أو نتاج مجموعة خاصة من الناس .... فإنه، عند التدقيق، ابن بيئة معينة وأناس معينين، وإلا .... فهل يمكن أن تنشأ النظرية (الشيوعية) في بيئة إسلامية، ومثلها الفلسفة (الوجودية)؟؟

وإذن، فالدعوة الحق هي الأنعم من كل هذا الانطلاق التعبير، وإنما أن نجري (تصفية) لماء كل نهر نريد أن نشرب منه حتى لا يكون فيه من الجراثيم ما يسبب لنا الأمراض، بعبارة غير مجازية: علينا أن نطلع على كل فكر، ولكن علينا أن نعرضه على مبادئنا ومقومات أصالتنا ثم (نكيف) منه ما يمكن (تكييفه) ليتلاءم وتلك المبادئ والمقومات. ثم نطرح منه ما لا يمكن تكييفه.

وقد تحدثت أن الأول - (ثم نأخذ منه) وفضلت على الأخذ التكييف كما عبرت، لأنه ليس من فكر يمكن أخذه من بيئته إلى بيئة أخرى دون تكييف يتناسب وتلك البيئة إلا إذا أريد لتلك البيئة أن تفقد أصالتها ومقوماتها وتلحق ببيئة هذا الفكر.

وهذا ما لا يقره امرؤ ينتمي إلى أمة أرضا وتاريخا وأصالة.

وأخيرا، لنقرأ الغرب والشرق ثم لنطرح بعض ما نقرأ لأنه لا يلائمنا ولنكيف بعضه الآخر ليلائم مبادئنا وأصالتنا، حتى يكون بناؤنا سليم الأساس متين الأعضاء.

عودة الله القيسي

تعقيبات

بين النقد والتشهير

لطفية الشهابي

حين نغضب من انسان سما تصرفه تصرفا غير لائق أو مزعج فلا يجدينا أبدا أن نثور في وجهه ، أو نقذفه بالكلام البذيء والالفاظ الفاحشة بل ربما أدى عملنا هذا الى المزيد من سوء تصرفه ، لانه لن يستطيع بالدقة والوضوح معرفة أسباب ثورتنا وصخبنا وغضبنا .

ولكن ان استدعيناه بهدوء وشرحنا له تصرفه وما فيه من سوء أو نواقص فربما كان لديه الوعي ليدرك ابعاد رأينا ويقلع عن مثل ذلك التصرف .

وكذلك حين نقرأ شيئا ما لا يعجبنا يجب أن نتقصى بدقة عن سبب عدم اعجابنا ، أو عن سبب امتعاضنا ، واذا أردنا مناقشة كاتب ذلك الشيء فاهم ما يجب أن نفعله هو أن نركز على تلك النقاط التي كانت سببا في عدم اعجابنا - وبذلك اما أن يريد من ايضاحها لنا وتحليلها وتبيين ابعادها ، أو أن يدرك معنا خطأ موقفه فيبدله أو ينصرف عنه مقتنعا راضيا .

ذلك فيما يخص نقد الاحياء ، فكم يجب أن نكون دقيقين وحذرين ومرهفين ، وبالتالي منصفين حين ننقد من وقفت فيهم دفقة الحياة وسكت لسانهم عن النطق ، وجمد قلمهم عن الكتابة . وهذا لا يعني أن نسلم بآراء من سبقوا ، وأن نعظمهم ونقدسهم ، ونؤمن بكل ما قالوا رغم ما قد يكون فيه من أخطاء ، وانما فقط ألا نرميهم بما ليس فيهم مستغلين سكوتهم وعجزهم عن الرد ، وأن نحاول فهم ما قالوه بكل أبعاده ومراميه متبينين موارد ثقافتهم ومصادر معرفتهم حتى لا نرميهم بالجهل ، ويكون الجهل في حقيقته نابعا منهم .

خطرت في بالي هذه الافكار بعد أن قرأت مقال الاستاذ ربيع النقاش في العدد (٤٠) من مجلة الدوحة بعنوان بـ (محاكمة ظالمة لطه حسين) وكنت قبله قد قرأت في العدد (٣٦) مقالا لعيسى الناعوري بعنوان (ميخائيل نعيمة في عيده التسعين) وكان لهذين المقالين أكبر الاثر في تعميق احساسي بهذه الافكار التي سردتها .

وبعد كان الديوان الثاني [illegible] الهادي في [illegible] [illegible] نعيمة [illegible] ميخائيل [illegible] المجموعة [illegible] الارقش [illegible] اليوم [illegible] كان [illegible] الاباء والبنون - النور والديجور ... الخ وبصورة خاصة مع (سبعون) وتذكرت كيف قرأته بأجزائه الثلاثة بعد صدوره مباشرة في بحر الستينات ، وكان مما كتبته عنه عبارة دعاء أن يمد الله في عمر مؤلفه فيصل الى الثمانين والتسعين ويكتب (ثمانون وتسعون) بل وأكثر من ذلك بعون الله ، وها هو ذا أديبنا الكبير يبلغ منه المراحل ، ويحتفل لبنان بتكريمه ، ويكتب عيسى الناعوري ذلك المقال فيما يجب التكريم .

لقد عرض الكاتب في مقاله مراحل حياة ميخائيل نعيمة بايجاز مركز ، وأشار الى كثير من كتبه ، واعترف له بالكثير من مهاراته في النقد ، وفي فني القصة والرواية . ولكنه أنكر عليه ذلك الادعاء الذي ادعاه لنفسه بأنه كان محور الحركة الادبية في المهجر ، لأن تلك الحركة كانت قائمة قبل قدومه ، ولأن جبران كان محورها ومحرك دفتها .



ميخائيل نعيمة

العبارات القاسية

وأنا لا أعترض على ذلك الانكار لسببين : أولا لصحته من الناحيتين التاريخية والمنطقية ، وثانيهما لأن أديبنا هيهي أكثر مني تعلقا ، دون ريب ، بأدب المهجر ، بل ربما بجميع فنون الادب وأنواعه .

ولكنني أعترض على تلك العبارات القاسية التي ورد فيها الانكار . فهو يضع عنوانا صغيرا هو (يفقع نفسه بنفسه) والضمير عائد على ميخائيل ، يحاول الكاتب تحت هذا العنوان أن يفند مزاعم ميخائيل بأنه كان كل شيء في حياة الادب المهجري . ثم يورد على لسانه قوله : (ان العقاد والمازني كانا يعملان في مصر ما كنت أعمله وحدي في نيويورك) ويعقب الناعوري عليه بقوله : (وهذا عجيب جدا في مجال الادعاء والجراءة على الحق . ونحن نعرف أن نعيمة لم يكتشف نفسه - وهو في جامعته والنطق - الا بعد أن عرف مجلة الفنون وقرأ الاجنحة المتكسرة كما يعترف هو نفسه بذلك في مؤلفاته) وأنا لا أرى في ذلك ادعاء كبيرا ولا جراءة على الحق طالما هو يقر في مكان آخر من مؤلفاته بأن مكانه يوم عادة الجماعة الجديدة . وأن طريقه في الحياة الادبية لم يتوضح له الا يومهم



ويقول الاستاذ الناعوري في مكان آخر من المقال : (ولا يكتفي نعيمة بذلك الادعاء العريض المفضوح) بل (ينسب الى نفسه الفضل كله في في تطور أدب رشيد أيوب ، ونسدرة حداد ، وإيليا أبو ماضي . ونحن نعرف أن أبا ماضي كان شاعر الرابطة الاكبر — لا ميخائيل نعيمة مثلما كان جبران خالق الادب الجديد في المهجر) وأعود لأجد أن كلام ميخائيل ليس فيه ذلك الادعاء العريض المفضوح ، لانه لم يقل عن نفسه انه شاعر الرابطة الاكبر ، ولا انه خالق الادب الجديد في المهجر ، ولكن قال بأن له الفضل في تطور ، واكرر كلمة التطور التي ليست بمعنى الخلق ، أي أن له الفضل في تطور أدب رشيد أيوب ونسدرة حداد ... الخ .

وإذا اعتقدنا أن النقد له تأثير كبير على تطور الشعر ، وإذا وافقنا الاستاذ عيسى والرأي العام الادبي كله بأن ميخائيل نعيمة أطول أدباء المهجر باعا في النقد الادبي ، فان كلام ميخائيل في هذا المجال لا يكون ادعاء عريضا مفضوحا ، وإنما يكون أمرا حقيقيا في جوهره ربما ضخم في عين صاحبه ، الى حد ما ، أكثر مما يجب .

والذي يبدو من الملامح العامة للمقال أن صاحبه يريد أن يجعل المكانة الاولى في الادب المهجري جبران ، وربما والقناه على حق ذلك دون جدال خلال حياة الاديبين المشتركة ، ولكن هل بقي جبران المفضل والسابق في مجال الادب عامة رغم نصف القرن الذي عاشه ميخائيل بعده ؟! أو ليس من واجبنا أن نميز بين المرحلتين ؟ فلا شك أن ميخائيل قد حلق بالادب العربي والعالمي أكثر من الكثير خلال تلك السنوات الطويلة .

وفقدنا أخيرا عبارة الكاتب التي ختم بها مقالته : (ترى ماذا كان سيكون حظ نعيمة الادبي لو أنه عاد الى لبنان منذ ١٩٢٧ فلم يسمع مع جبران وزملائه [illegible]) [illegible] الاستاذ الناعوري أن [illegible] جبران [illegible] [illegible] [illegible] وسقتو مياه الينبوع أن تصطدم وتقدم بما تصادفه [illegible] ، فإن صادفت مياه ينابيع أخرى نقية ازدادت قوة وصفاء ونقاء ، وإلا فانه لابد لأي شيء تصادفه أن يكون مؤثرا فيها أيا كان ذلك التأثير .

ولحسن حظ الادب العربي والعالمي أن التقى نعيمة بتلك النخبة من أدباء المهجر فكانوا أحسن روافد له بعد أن بدأ تدفقه الاول في روسيا كما يؤكد ذلك صاحب المقال خلال حديثه عن حياة أديبنا الكبير .

وإذا فنحن كرمنا كاتبنا وأديبنا الكبير في ميدنه الشهير ، وكان جديرا بنا الا نستعمل في كلامنا عنه تلك العبارات الخشنة والالفاظ القاسية ، ونحن نعرف كم كان ميخائيل هادئا ورقيقا في كتاباته .

من هو العقاد ؟!

ولقد كنت في غاية السرور حين قرأت بعد ذلك في العدد (٤٠) تحت عنوان أدباء ومؤلف ما كتبه الاستاذ رجاء النقاش في تقييمه لبعض ما كتبه الدكتور (عبد المجيد عبد السلام المحتسب) في كتابه (طه حسين مفكرا) .

فبعد أن حاكم النقاش المؤلف الدكتور محاكمة قانونية ، في بداية الامر ، مبينا أن غرض النقد ليس التشهير والسباب والشتائم ، وإنما تبيين المزالق التي تؤخذ على الانسان بالادلة الموثقة الواضحة في مؤلفاته من غير كلام بذيء ولا عبارات شائنة . بعد تلك المحاكمة أخذ يفند بعض الاقوال الواردة في الكتاب قولا قولا مرجعا اياها الى صنعاتها مبينا ما فيها من خطأ علمي أو فكري أو منطقي .

وقد خطرت لي بعد هذا المقال الادبي تجربة مررت بها منذ حوالي أربع عشرة سنة ، وكانت سببا في في انصرافي عن الدراسات العليا . فقد بذلت بعد نيلي الاجازة الجامعية جهودا كبيرة لاجمع بين الدراسة العليا والتدريس ، ووجدت أن أقرب مكان يمكنني أن ألجأ اليه لتحقيق رغبتي هو أن انتسب الى الجامعة اليسوعية الموجودة في لبنان لقربها من سوريا وسهولة الاتصال بها . وحملت أوراقي وتقدمت بها الى تلك الجامعة ، وحدد لي موعد لأجتمع مع الاستاذ الدكتور الذي سيتولى الاشراف على رسالتي ، وتم الاجتماع وأخذنا نتناقش في الموضوع الذي سأختاره للرسالة ، وأثناء الحديث مرض ذكر (عباس محمود العقاد) رحمه الله ، وكان قد توفي حديثا ، وإذا بالاستاذ الدكتور ، الذي لا أريد تسميته ، ينطلق من فيه الناظ بديشة تمس العقاد من نوع (ومن هو العقاد انه حمار وليس أديبا) ورفعت رأسي مذهولة ، وتردد بي الخيال دون أن أفوه بكلمة ، وتواردت الاستفسارات الى ذهني : كيف ستكون لدي الاعصاب التي ستحمل مثل هذا النوع من النقاش الادبي البعيد كل البعد عن الادب بجميع معانيه ؟! وإذا كان العقاد حمارا فمن أكون أنا ولستالي

تعقيبات

بين النقد والتشهير

الى أمالك * وعملت حسبي حل

مدني متباطئة وخرجته من عنده دون عودة · وانصرفت عن الدراسات العقلية التي تعمر بين اساتذتها دفاترة من هذا النوع · ويصوب مع فتيي ونسج المحنة المعروفة المهذبة · والنقد النزيه الشريف العلمي البعيد عن السباب والشتائم ، وحتى عن القسوة في العبارة ، ومن هنا كان الانزعاج الذي أحسست به حين قرأت نقساًن الاستاذ الثقافي ولا سيما في جوانبه الاخيرة أن ما عن فينا الا عمره ·· ليسوا فوق النقد ·· ولكن المهم ان يكون النقد اساس من العلم ، وان تكون بنة النقد راقية بعيدة عن لغة الاسواق والمقاهي) ·

فما اجدرنا وقد نسي كبار دارسيها وعلمائنا بالايام ، وعرفنا نحن بحبة للادب وشغفنا به · ما اجدرنا ان نحافظ على سلامة هذه المحنة ونظافتهـا ونقائها في كل مجالات حياتنا ، وبصورة خاصة في حياتنا العلمية والادبية والثقافية · وان نتسدين انكلنه التي نكتبهـا ونعيبها عن ان تسف وتنحط ببذيء الكلام وخارج المعنى من الالفـاظ ، وتتشوه بالادعاءات التي لا يسندها علم ولا تحميها حقيقة ·

وادعو الله ان يطيل في عمر اديبنا الكبير نيفاتيل ، وبعث أدبائنا وتلامذتنا من أمثال النقاش والناعورى ليستمر عنا الفيض والعطاء من الادباء والنقاد ولتبقى الحركة الادبية حية عاملة نشيطة ·

لطفية الشهابي
حلب ـ دار المعلمات

حول آراء رجاء النقاش

أختلف معه

محمد الحسن عبد المنعم

للاديب رجاء النقاش منطلق معروف في كتاباته يعرفه المطلعون على ما يكتب دائما · ولست بصدد تقييم ذلك أو استقصاء بواعثه وأسبابه · ولكني كأحد الملايين الذين يحرصون أن تأخذ الحضارة الاسلامية دورها بعد طول افول أجد نفسي غير مقتنع بمنطلق الاديب الناقد رغم اعجابي بأسلوبه من حيث الدفاع عن ما يعتقد انه صواب بصوت عال وهذه حسنة كبيرة في عالمنا اليوم كم كم كنت اتمنى أن يكون هذا القلم في خدمة الاسلام والثقافة الاسلامية وما ذلك على الله بعزيز ·

قد لا يسمح المجال للتوسع في الكتابة عن مواقف عديدة قد تكون مكررة في معناها وان اختلف الاسلوب والمجال ·

ولكني أود أن أشير الى مقال الاديب والذي شدني العنوان للاطلاع عليه أكثر من مرة والمنشور بعدد

د. طه حسين

الدوحة ٤١ بتاريخ مايو ١٩٧٩ بعنوان « هل نحن على أبواب حرب أهلية في ميدان الفكر والثقافة » ·

ولا اريد كذلك الرد على تفاصيل ما جاء بالمقال ولكني ارد على منهج المقال أولا وعلى مثالين وردا بالمقال فيهما الكثير من التجني ان لم أقل التجني والافتعال !!

اما خلافي المنهجي مع الاديب انه يخلط بين اختلاف المفكرين في أسلوب الفكر الانساني وطعن البعض في العقائد الدينية التي لا تخضع لمقاييس العقلية بحال · ومسألة مسألة قد لا تختلف في حرية الفكر الديني حيالها ولكن ما لا يمكن قبوله هو تحريف العقيدة أو الطعن في صحتها رغم ثبوتها بأدلة الدين التي لا تقبل التبديل ·

ولكني لا أتهم بحمل عصبية الحق الا انها كما يلبسها البعض من باب الهروب من الحقائق ·

اشير الى ان المفكر المسلم هو الذي لا يعفي من الطعن في القرآن مثلا · في الوقت الذي قد يؤخذ طعن غير المسلم بأنه أمر غير غريب ·

ولكي يكون حديثي مختصرا ومفيدا الجأ الى الامثلة مباشرة لتأكيد خلط الاديب بين المسائل المختلفة بحيث يريد منا أن نعتبر طعن المرحوم دكتور طه حسين في صحة قصة خليل الرحمن سيدنا ابراهيم عليه السلام كالمريض الذي يجب علاجه دون الحكم عليه بالاعدام · والثابت من كتابات الدكتور طه حسين انه لم يتنصل من

الدعوة الى التغريب حتى في كتاباته الاخيرة .

واقول ان التشبيه لم يكن صحيحا والطبيب يصالح المريض ولكن اذا كان المرض معديا فالمريض يحجز في مصحة ويبعد عنه الاصحاء وقد نادى المفكرون الاسلاميون بذلك خوفا من عدوى أعداء الاسلام على الاجيال وقد أغفل الاديب مأساة طه حسين المتمثلة في عدائه للاسلام واكتفى بالحديث عن تقبيل يد فاروق ومدحه ... الخ .

وهذه مسائل ليست هي الدافع لمحاربة طه حسين لأنها تعتبر شكلية امام جوهر القضية .

وقد اختلف الادباء والمفكرون في مسائل عديدة ولا زال الاختلاف أمرا غير مستغرب بل كثيرا ما يكون في ذلك الخير والنفع الكثير ولكن لا يكون الاختلاف بالطعن في أصول العقائد تكذيبا وتشكيكا ولو جارينا هذا المنتمي وأيدنا المرحوم في زعم قصة ابراهيم ، وتعالى الله عن ذلك علوا



الشيخ محمد عبده

كثيرا مما الذي يلي الأستاذ [illegible] من دونهم

[illegible] في ادب الاديب الفذ [illegible] [illegible] ان يكون في ذلك [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] لا [illegible] [illegible] [illegible] الاسلامي [illegible] عليها من يدافع عن تلك الحضارة

الفكرية باسم الثقافة وكأن ثقافتنا هي تبنى فعل وأنك المهاينة والصليبيين .

المثال الثاني هو استشهاد الاديب بشطر من كلمات الدكتور العالم محمد محمد حسين في كتاب القيم « الاتجاهات الوطنية في الادب المعاصر » .

وأقول صادقا ان هذا الكتاب قد أنار الطريق أمام الملايين من الباحثين عن تراثهم وحقائق دينهم وافادنا كثيرا في تصحيح المفاهيم .

ولم يطلب الدكتور محمد محمد حسين بحرق أدب الشيخ محمد عبده ولكنه أشار الى أخطاء وردت في اسلوب الشيخ من الدين ، وأخيرا كلمة موجزة أوجهها للاديب الناقد بأن الشباب المسلم عموما أصبح من الوعي بحيث يستطيع أن يميز الخبيث من الطيب ولم يعد الاسلوب الصليبي يجدي ولعل أخبث هو تلميع الاسماء التي لا دور لها في احياء التراث أو تلك الحضارة الاسلامية وبات العلماء هم العلماء ولو لم ترد اسماؤهم على أفواه دعاة التغريب .

تساؤل يطرح نفسه على الناقد النزيه

محمد المحتسب

من ايماني بالميزان النقدي الذي اختاره الدكتور عبد المجيد المحتسب في كتابه طه حسين مفكرا . ومن قبله الاستاذ انور الجندي في كتابه طه حسين في ميزان الاسلام . اقول من ايماني بهذا الميزان الذي ارتضاه هذان العالمان ورفضه رجاء النقاش في عرضه لكتاب الدكتور المحتسب الذي طالعتنا به مجلة الدوحة القراء في عددها رقم (١٠) . كان لابد من تفنيد ما جاء في مقالة الاستاذ النقاش من اتهامات وافتراءات وطعنات لواحد من حملة القلم الشريف والكلمة الصادقة الموزونة بميزان

العدل والقسط .

يقول رجاء النقاش ان كتاب السيد المحتسب مثله مثل كتاب انور الجندي مليء بالافتراءات والتهم التي لا تستند الى عقل ولا عقيدة ولا منهج علمي ... ماذا ؟؟؟

هل قال الدكتور المحتسب شيئا من عنده ؟؟

وهل قال الدكتور المحتسب كلاما نسبه لطه حسين أو محمد عبده أو لطفي السيد وهو ليس لهذا النفر ؟؟

ثم يعط رأيه ويبني حكمه من خلال قراءاته ومطالعاته وتحليلاته لما جاء فيما

تركه هذا النفر من كتب ومؤلفات ؟؟ ... فاذا كان زعل الناقد رجاء النقاش من ان الدكتور المحتسب قد استعمل كلمات رآها هو غريبة أو شديدة اللهجة فهذا ليس ذنب الدكتور المحتسب ، فمن يجترىء على الاسلام .. من يطعن في القرآن .. من يحاول طمس الحضارة الاسلامية والارتماء في أحضان زيف الحضارة الغربية والفكر الرأسمالي من يجعل الاسلام والمسلمين في صف واحد مع التتار والمغول والصليبيين وكل مستعمر محتل .. مثل هؤلاء لا يكفيهم ما قاله عنهم الدكتور المحتسب .

تساؤل اخير يطرح نفسه على الناقد النزيه ... لماذا اقتصرت في ردك على الدكتور المحتسب كلمات النقد التي أوردها الدكتور المحتسب في مؤلفه ولم تستعرض ما أثبته في كتابه من فكر الفرسان الثلاثة حتى تضع القارىء وجها لوجه مع المقدمات والنتائج ويجعل القارىء يحكم بنفسه ان كان فرسانك يستحقون هذه النعوت التي لم ترض انت عنها .

تعقيبات

تساؤلات حول التعقيب على الناقد النقاش

ويقول السيد النقاش ان الدكتور المحتسب يصب على شيئا من اي ناقد كان لكن على شرط ان يتحلى هذا الناقد الميزان العدل الذي انصف الدكتور المحتسب طه حسين وليد المحافل الماسونية شرقها وغربها ومحمد عبده عميد هذا المحافل والمصفين لطفي السيد.

ويسمح لي يا سيد رجاء ان اجيبك انا على تساؤلك . نعم . فالدكتور المحتسب استاذ في الجامعة الاردنية منذ اربعة عشر عاما ويحمل شهادة الدكتوراه من احدى الجامعات المصرية . وصحيح ان الدكتور المحتسب لم يحتسب عند اعراف كلفته من الناحية القانونية البحتة لانه عندما قام بتأليف كتابه الموضوع في حضانته البريئة هذا الفترس او ذاك ، من فريسته الثلاثة بل وضع نصب عينيه مخافة الله والامانة العلمية التي تفرضها عليه درجة الدكتوراه التي نالها بالعرق والتعب والسهر الطويل [illegible] هذا التاريخ شخصا كان منذ نشأته الاولى في هذه الحياة اكثر [illegible] منه

ويسمح لي السيد النقاش ايضا لان اقول له . لا تخاطب احدا بتهمة وانت عنه بعيد . فانت عندما اتهمت الدكتور المحتسب بانه قد نصب نفسه قاضيا لا يرحم لم تستطع الدكتور طه الناقد المقلد من [illegible] الهجوم [illegible] الاحكام [illegible] الجامعة الاردنية بعقد محاكمة لهذا الاستاذ الجليل لكان خطأت ايضا في هذا الظن اذ كان الاولى بك ان تتوقع مطلبك هذا الى الجامعة المصرية التي منحت المحتسب لقب الدكتوراه حتى تقوم بدورها بسحب هذا اللقب منه نزولا عند رغبتك .

واخيرا فانني اود ان اهمس في اذنك ايها الناقد الكبير بانني لا اتوقع ان جاء كتاب الدكتور المحتسب بمقدمة فكرية لا [illegible] كانت دعوة الاسلام التي اعتمد عليها الدكتور المحتسب في محاكمته لطه حسين ساطعة على كل ضلال وباطل وصدق الله العظيم حيث يقول :

(قل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا)

محمد المحتسب

ليسانس اداب / لغة عربية

تيارات ثقافية

لغـة العـصـر

حـافـظ احـمـد امـيـن

دعاني الدكتور زكي نجيب محمود لتناول الشاي في منزله ، وكان يريد ان يحدثني عن موضوع يتعلق بالكتبة التي تنشر مؤلفاته والذي المرحوم احمد امين بالاشتراك مع الدكتور زكي .

وعندما دخلت من باب الشقة الجميلة التي تطل على النيل ، قادني الدكتور زكي الى حجرة الاستقبال ، فرأيت فيها احد الصحفيين الذي كان قد انتهى من حديث صحفي مع صاحب المنزل .

كان الصحفي في مثل سني ، وكان الدكتور زكي يكبرنا بنحو الاثنين عاما ، وبعد التعارف والتحية ساد الصمت لحظة ، ثم بدا الصحفي يوجه اليه حديثا لم افهم منه شيئا . كان كلامه من النوع التالي (دون اية مبالغة) .

« مارست حواس لاستقدام تحديات الفهم لطروحات لم تستقر بها لعدم معايشتها مع كينونة الفكر ... الذا ان هذه الطروحات لم تكن النسق الموضوعي للمشكلة » .

« راينا ان النص هو العمل الداخلي الذي يتحمس في دوارقة انساق الحياة وتتلاحم في ثنايا التراكم الكائنات التشكيلية » .

« العقلية محاولة لاستغلاق المكونات والدواخل والاندياحات الذهنية داخل قمقم الذات من خلال قضبان المراجعة القزحية » .

« تكاثر جماهيرية الفن في شلال سيمائية المتعة ، وفي اختزالات الذوات المتعددة التي تروم انجلاء الحقائق مهما تسلقت وتمرقعت » .

طبعا لم افهم كلمة ، وظل الدكتور زكي صامتا ، وقدموا الينا الشاي والمرطبات ، وبعد قليل لاحظ الصحفي ان هناك موضوعا هاما يريد الدكتور ان يحدثني فيه معي ، فاستاذن وانصرف .

وانتظرت من الدكتور زكي ان يفاتحني في الامر الذي حضرت بشانه ، ولكنه بادرني بالسؤال :

— ماذا كان يقول صاحبنا الصحفي ؟

قلت : ارجو المعذرة ، حاولت ان افهم شيئا دون جدوى ... الحق انني حاولت جاهدا فلم انجح .

لم يرد الدكتور زكي عن قوله : (انا غريب) .

قلت : لا اعجب ... فانت الذي عشت كثيرة مع لغة الفلسفة .

قال : (لغة الفلسفة !! ... ليس فيما قاله اية علاقة بلغة الفلسفة ... الحق انني تركته يتكلم ظنا مني انه ، [illegible] انك ان هذه هي لغة العصر) .



حافظ احمد امين

العرب لماذا يغيبون؟

عبد الله الشتيق

شيء لي، خلال الأسابيع الأخيرة، أن أقوم بزيارة عدد من البلدان الأجنبية وبلدان صحافية إعلامية جماعية مع زملاء وأصدقاء آخرين من مختلف الأقطار العربية والإسلامية، وبدعوات رسمية، أو زيارات خاصة وفي بعضها الآخر للسياحة والراحة والاطلاع.

ومن البلدان التي زرتها لعدة أيام حافلة ببرامج متنوعة الهدف والغاية: تايلاند وإسبانيا، ومالطا، وهولندا، ومن قبلها بعض العواصم الأخرى في أوروبا الشرقية بالإضافة إلى عواصم الغرب الرئيسية في السنوات القليلة الماضية (نيويورك، لندن، باريس، روما، جنيف، ألمانيا، والفاتيكان، والهند، وألمانيا) وغيرها من عواصم وبلدان العالم شرقه وغربه.

والحق أنني كلما كنت أعود من رحلة إلى واحدة من هذه البلدان أسائل نفسي (أين هم العرب ويعني إعلاميا ـ ولا أعني ماديا أو بشريا؟ ولماذا يغيبون عن ساحة هذه الدول في ميدان الإعلان عن وجودهم وقضية قضاياهم العادلة بشكل أو بآخر وفي مواجهة التحديات الصهيونية والاستعمارية والادعاءات الإسرائيلية السافرة ضد الأماني العربية والحقوق الفلسطينية المشروعة؟ إنهم ـ إلى حد بعيد غائبون تماما، ولكن الكثرة من ... والترفيه العربي متواجدون في أماكن اللهو والتسوق [illegible] من كل مكان من العالم [illegible] التاريخية الطويلة في الدعاية لأنفسهم ودولتهم والإساءة للعرب والمسلمين وإظهارهم بمظهر المتآمر وبأن الثروات في أيديهم تذهب في طرقها غير المشروعة وأنهم سبب التضخم والغلاء في العالم وأنهم يتحكمون في ثروات ومقدرات وطاقة هذا العالم إزاء ذلك. وأن (إسرائيل) محقة في أن تتشدد وأن تقف مواقفها البطولية منهم؛ لأنها صغيرة مسالمة عادلة وإنسانية؟!! وأن العرب متوحشون ظالمون لها يهددونها بإزالتها من الخريطة وإنهائها عن نفسها ضد الوجود العدائي المتخلف الإطاحة بها في الميدان العالمي (الحر) يجب أن يدرك هذه الناحية فيقف إلى جانبها ضد العرب (المتوحشين) الذين يتربع واحدهم أربعا وعشرين في خيمة وعلى ظهر جمل ... ويجد من يحدثك ويسائلك في هذا فعلا من الغربيين والشرقيين أثناء لقائك بهم ويبدون اندهاشا أنهم ساذجون، ولكنهم بشكل أو بآخر قد تأثروا بالدعاية اليهودية في ظل التغييب العربي حتى على مستوى السفارات العربية التي لا يزيد وجودها عن بعض النشاطات الروتينية المحدودة، في حين تعمد إسرائيل لزرعها هناك في الغرب والشرق لتطال كل شيء وتشده إلى مصالحها والعرب غائبون. ولا يكترثون لهذه الأمور ظنا منهم أنهم يقبضون على زمام العالم مادامو يقبضون على زمام الثروة والنفط، في حين أن العالم يتفاهم فيما بين دوله من زوايا أخرى غير مادية... إنها الملاحم المستوى القائم على أساس الاقناع والمعرفة والتبادل الثقافي والفني وسبل الحضارة الحديثة ومقومات التعامل الإنساني الوثيق في هذا الأطار.

ولا تعرف من هو المسؤول عن هذا الغياب العربي في الشرق والغرب؟ وكيف السبيل إلى استدراكه وتلافيه؟ إن الجامعة العربية مسؤولة، وكذلك الحكومات العربية وبعض الأفراد، بما في ذلك السياح على وجه الخصوص والزائرون. إن واحدا من كبار المسؤولين العربيين يقول لي: إن الزائر العربي بوجه عام تقريبا قلما يرتاد أماكن الآثار أو المعالم التاريخية أو المكتبات والمطبوعات ومعارض الرسم وقاعات الموسيقى... إنه يرتاد الأماكن الأكثر إثارة وإغراء وملذات جسدية لا قيمة فيها لمتعة العقل والوجدان الإنساني الحضاري!!

أخبار

● في مطلع شهر سبتمبر المقبل سيقوم وفد من جامعة الكويت اثناء زيارته إلى المكسيك بتقديم إحدى مسرحيات وليم شكسبير على أحد مسارح المكسيك باللغة الانجليزية وسيقوم الدكتور سيف عنتر عميد شؤون الطلبة ـ من باب تشجيع طلابه ـ بدور البطولة في المسرحية المختارة.

● الشاعرة الكويتية الشعبية (سعد الجزيرة ـ نوار الصحون) صدر لها ديوانها الثاني (تصاليل ليل) عن وزارة الإعلام الكويتية وهو من اللون الشعبي (شعر النبط) ولكن بنفس جديد في الأداء المتواءم مع روح العصر ويضم معظم الديوان الجديد لسعد الجزيرة تم تلحينها وشدتها غناء بأصوات عدد من المطربين الكويتيين والخليجيين. ويتسم شعر نوار الصحون بالبساطة والصدق والعفوية والركون إلى لغة التداول بين الناس ـ لغة البيت والشارع والتعبير عن العواطف بشفافية وإنسانية مصر.

● صدر عن دار المعارف المصرية كتاب (نقدنا الحديث ومشكلات المعاصرة) تأليف الاديب الشاعر **فاروق شوشة**.

رسالة الأرض المحتلة

النشاط الثقافي في فلسطين المحتلة

محمود شقير

يلاحظ المتتبع للحركة الثقافية في المناطق الفلسطينية المحتلة عام ١٩٦٧ أن هذه الحركة تزداد ازدهاراً ونضجاً مع الأيام، وتكاد في بعض جوانبها أن تقترب من مستوى الحركة الثقافية في المناطق الفلسطينية المحتلة عام ١٩٤٨، فقد بصراحة ووضوح تناقضها الرئيسي مع العدو الصهيوني، ووضعت في رأس اهتماماتها التعبير عن هموم الإنسان الفلسطيني وعن توقه الدائم إلى تحرير وطنه من رجس الغزاة وإقامة الدولة الوطنية المستقلة.

من هنا أخذ التناقض بين سلطات الاحتلال والحركة الثقافية الفلسطينية يزداد احتداماً، مما يدفع هذه السلطات إلى تشديد رقابتها على الصحف والمجلات والكتابات، فقد رفضت في الآونة الأخيرة السماح لصحيفة (الطليعة) الصادرة في القدس المحتلة أن توزع في بقية مدن الضفة الغربية وقطاع غزة. كما منعت تداول مجموعة من الكتب الأدبية لمؤلفين عرب ومؤلفين فلسطينيين من داخل المناطق المحتلة، بينهم القاص محمد أيوب - الذي اعتقلته سلطات العدو مؤخراً - ومنعت تداول مجموعته القصصية الجديدة (الوحش).

وفي يقيني أنه كلما ازدادت الحركة الثقافية الفلسطينية في الداخل اقتراباً من هموم الناس، واستطاعت بدورها في فضح الاحتلال الصهيوني، فإن الإجراءات الصهيونية القمعية ضد رموزها الفكرية والأدبية سوف تتسع وتتصاعد... وتلك طبعاً هي السمة الملازمة لكل احتلال، وهي التي لن تزيد المثقفين الفلسطينيين في الداخل إلا إصراراً على مواقفهم النضالية ضمن المستقبل الجديد.

حركة نقد أدبي

... حركة النقد الأدبي في ... الصحافة ... الصفحات الأدبية ... الصحافة الأدبية مؤخراً بدأت تنشر مقالات نقدية منتظمة في سعيها لتناول الدراسة والتحليل بعض الأعمال الأدبية الصادرة هناك.

مؤخراً صدرت المجموعة القصصية الرابعة للقاص محمد علي طه تحت عنوان (عائد الميعاري يبيع المناقيش في تل الزعتر) وقد تناول الكاتب (نبيه القاسم) هذه المجموعة في مقالة نقدية نشرتها مجلة الجديد الصادرة في حيفا، جاء فيها:

(تتسم هذه المجموعة تسع قصص تتميز عن المجموعات السابقة بأن الكاتب اهتم هذه المرة أن يصدر قصصه لتكون كل واحدة قائمة بذاتها، وتعالج القضية المصيرية لشعبنا من زاوية تختلف عن الأخرى)

(فقصة - عائد الميعاري يبيع المناقيش في تل الزعتر - تصور إنساننا الفلسطيني اللاجىء في واقعه المر خارج الوطن وصموده الرائع ووحدته الشجاعة

وفي قصة - وسافروا الفرح في مدينتي - وبعض أجزاء - حكايا ما بعد الأيام الستة - يطلعنا على بعض جوانب مقاومة أهلنا في الأراضي المحتلة للمحتل الغريب الظالم

وفي قصة - وصار اسمه فارس أبو عرب - يرسم لوحة رائعة لنمو الوعي الثوري واشتعال التيار الرجعي الانهزامي بين أوساط صغار شعبنا العربي الباقي منذ عام ١٩٤٨.

أما في لوحات - العاديات - فيقدم إلينا نماذج لصمود ومعاناة هذه البقية من شعبنا فوق تراب الوطن.

كما يصور الفزع الذي أصاب السلطات الحاكمة بعيد حرب ١٩٦٧ حينما اعتقدت أنها ستكون الحرب الأخيرة، ثم تبين لها وهم تصوراتها.

وقال الناقد نبيه القاسم إن ما يميز هذه المجموعة القصصية (الاهتمام بإبراز مرامي الكاتب وكأنه ليس مسؤولاً عما يقول أو من منطلق المسؤولية يقول ما يسمع ويرى، وإن كان الكاتب رغم رغبته في إظهار حياديته قد اهتم بإبراز موقفه الواضح من القضايا التي طرحها)

ومن مزايا المجموعة أيضاً السخرية المقصودة وهذه الميزة ملازمة لمعظم إنتاج محمد علي طه، لكنها في هذه القصص تشي بما تحمله من الآلام الدفينة، فإننا نمتنع عن بزاء الرغبة في السخرية والتشفية وبهجة مثالة تزيد الانتكاب

ويورد الناقد ميزة أخرى هي (استخدام الأسطورة لأداء المعنى في القصص، وهذه الناحية لا تزال نادرة في إنتاجنا القصصي المحلي، وإن استعملها البعض فعلى نحو سطحي وغير موفق، بعكس شعرائنا الذين نجحوا إلى حد في ذلك)

وأكد الناقد على مجموعة من العناصر الأسلوبية الناجحة في المجموعة منها (بناء القصة على شكل مقاطع متقطعة يربط بينها خيط رقيق له دلالته القوية، والاعتماد على الحوار السريع المركز والموجه)

وكذلك (تضمين الأمثال الشعبية، وهذه من ميزات قصصنا المحلية، ويبدو جلية في معظم إنتاج محمد نفاع ومحمد علي طه، واستخدام المثل الشعبي يضفي على الكلام نكهة شعبية جميلة، ويقرب الكلام من القارىء ويحببه إليه)

وأنهى نبيه القاسم مقالته قائلاً: (إن قصص مجموعة محمد علي طه الأخيرة تمثل علامة تحول جديدة في أدبه، وتؤكد لنا

ملامح شعبنا الأصيلة التي تميزت بها كل قصص أدبنا المحلي الشريح، وكل هذه تتم بأساليب متطورة متنوعة ولغة ساخرة جميلة وبتماس رشيقة، عرفنا بها كاتبنا محمد علي طه وعهدناه بكتاباته).

وكتب الناقد عادل الأسطة عن المجموعة القصصية ـ العطش ـ للقاص زكي العيلة قائلا: يراوح القاص زكي العيلة في مجموعته القصصية الأولى (العطش) بين التركيز على الحدث الذي يستمده من البيئة التي يعيش فيها، وبين الرؤى والتأملات التي تستشف من القراءات الفلسفية، وتأكدات السلب الايجابي منها: إنها رؤية الكاتب وإيمانه بانتصار المظلومين والفقراء إلى جانبهم. فقصص (حساسية الوهن الحقيقة، مذاق محرز للمحاقل، يتنزل المطر ساخنا) هي أقرب إلى التأملات منها إلى القصص، ذلك أن الحدث فيها تغطيه روح شاعرية شفافة، وتصبح القصة أقرب إلى الشعر منها إلى القصة، والحدث يغلف بضبابية تحتاج إلى كد ذهن من قبل القارىء العادي).

وأكد الناقد عادل الأسطة أن القاص تأثر بعدد من القاصين العرب منهم زكريا تامر (كالابتعاد عن الوصف، والإلحاح الجمل، وقصر العبارات سمات مميزة لبعض القصص).

وقال (إن القاص كان أقرب إلى القارىء في القصص التي تناول فيها موضوعات مستمدة من البيئة، ذلك أنه في هذه القصص تناول موضوعات نعيشها ونحياها ونرغب في تجاوزها).

(ومن الموضوعات التي عالجها الكاتب موضوع وعي أبناء المخيمات، هذا الجيل الغضب، وتلك الطفولة الناشئة الدافعة إلى التغيير).

ثم أنهى عادل الأسطة مقالته بالحديث عن بعض الجوانب الفنية المتعلقة بالمجموعة القصصية مثل اللغة واستخدام العامية في الحوار، وبعض الأخطاء اللغوية التي وردت في المجموعة.

استطلاع الجديد

واصلت مجلة الجديد استطلاعها الأدبي حول الأدب العربي في (إسرائيل) خلال

● التناقض بين سلطات الاحتلال والحركة الثقافية الفلسطينية يزداد اشتداداً

● كلما اقتربت الحركة الثقافية من هموم الناس كلما قامت بدورها في فضح الاحتلال الصهيوني

● مازالت حركة النقد الأدبي في فلسطين المحتلة محدودة بالقياس إلى نشاط حركة الإبداع

ثلاثين عاما، وكتب مرشد حلايلة في هذا العدد يقول:

(... لكما تناول ... الحياة الأدبية في إسرائيل خلال الثلاثين سنة الماضية لا بد أن ... وقيم تحويله إلى لاجئين ... سلطات شعور الغربة لدى العربي في اسرائيل وهو في أرضه، والتنكيل عليه بكل الوسائل المختلفة لاجتثاثه من تربته. كل ذلك يتم بصورة منهجية. لقد فرضوا عليه الحكم العسكري، وقيدوا تحركاته وسلطوا حضوره يوميا ثم سلبوا أرضه وضايقوه في عمله، وبقي صابرا مناضلا مكافحا يرد لانسانيته كرامتها وحريتها بمساندة الشعوب الصديقة.

كل هذه الأسباب مجتمعة طبعت الأدب العربي في هذه البلاد بطابعها ولونته بلون ظلالها، وزرقته بأزهار الليمون والزيتون، وعطرته بأريج اللوز والزيتون والزعتر ورائحة العرق والدم المتسرب في تربة الأرض.



كما ولا بد أن نعترف أنه رغم قصر هذه المرحلة نسبيا، تكونت لدينا رؤية واضحة ... ومن ثم مكتملة وواضحة عن دور الشعر ومشاعره في هذه المرحلة وخاصة توفيق زياد، ومحمود درويش وسميح القاسم وسالم جبران، وغيرهم من شعراء الشعب، وتكاد تكون واضحة في القصة القصيرة، وخاصة بعد حرب حزيران ١٩٦٧ لدى محمد علي طه وزكي درويش، ومحمد نفاع، وحنا ابراهيم، واميل حبيبي، وتوفيق فياض، وغيرهم وبينما لم تحظ لكن بعمل مسرحي واضح ومتكامل، كما أن النقد الأدبي ما زال يحاول أن يأخذ دوره ويتفاعل مع النتاج الأدبي ليكمل ويختط لنفسه طريقا، وتبرز من خلاله أسماء يشار إليها لتزكية الأدب المحلي بوعي كامل وإدراك حقيقي وفهم سليم، ويجلب العمل الأدبي الذي تكلمنا عنه. هناك بعض الكتاب المتوقعين في ذاتيتهم وينشرون نتاجهم دون الالتفات لغيرهم وكأنهم يكتبون لأنفسهم، وهناك البعض الذي مازال يبحث عن قوالب وأشكال فنية وكثير منهم من أضاع الطريق واشتهى؟!

ثم أنهى الكاتب مرشد حلايلة حديثه عن الأدب العربي في (اسرائيل) بالتأكيد على الطابع الانساني لهذا الأدب وارتباطه المصيري بالجماهير العربية في فلسطين المحتلة.

إصدارات جديدة

صدرت مؤخرا عن دار الكاتب في

رسائل

القدس مجموعة قصصية للقاص محمد أيوب تحت عنوان (الوحش) وتشتمل على أربع عشرة قصة ، وتقع في ١٢٨ صفحة من القطع المتوسط .

والجدير بالذكر أن سلطات العدو الصهيوني منعت تداول هذه المجموعة القصصية ، واعتقلت مؤلفها وأودعته السجن بتهمة مقاومة الاحتلال .

تدور أغلب قصص هذه المجموعة حول موضوعات راهنة منتزعة من واقع الشعب الفلسطيني تحت الاحتلال ، وهي موزعة بين الموضوعات الوطنية الناشئة عن ظروف الاحتلال وبين الموضوعات الاجتماعية والأخلاقية التي يعيشها الفلسطينيون في المناطق المحتلة .

وتتميز قصص المجموعة بالاستناد إلى أسلوب السرد القصصي المحكم بعيداً عن الاستطرادات غير المجدية ، أو الإسهاب في وصف المواقف بطريقة مملة ثقيلة .

لكن هذه المجموعة تشتمل على قدر من النواقص الفكرية والفنية التي لا تقلل من قيمتها على أية حال ، فمثلاً في قصة (خالد) نلتقي مع الموت الفلسطيني الذي أصبح حالة يومية في السنوات القليلة الماضية وحتى اليوم .. خالد مقاتل فلسطيني لا يلبث أن يستشهد في معركة ضد الغزاة ، وفي نفس لحظة الاستشهاد تتهيأ زوجته للإنجاب ، فتقول أمه العجوز (إن أنجبها ولد نسميه خالد) .

ورغم نبل الإيحاء بفكرة التجدد والانبعاث التي أراد القاص الإيحاء بها ، فإن التخطيط القصصي للحدث أفقد هذه الفكرة الكثير من زخمها وحيويتها .

وفي قصة (شجرة الزيتون) يضعنا القاص أمام إحدى القضايا الراهنة التي يواجهها المواطنون كل يوم في المناطق المحتلة وهي قضية مصادرة الأرض والاستيطان الصهيوني عليها ، ورغم سيطرة القاص على مسار الحدث وتطويره بطريقة ناجحة ، فإن نهاية القصة بقيت مفتوحة لاتنبىء بأكثر من رد الفعل الأولي المتمثل بالغضب على مصادرة الأرض ، وهذا الموقف أقل بكثير من واقع المواجهة البطولية في الأرض المحتلة لعمليات المصادرة والاستيطان .



الأخطـــاء

٤

عبد الله جتاير

(١) البطيخة : بفتح الباء ، والصواب بكسر الباء (بطيخة) يقول المتنبي :

ما أنا والخمر وبطيخة
سوداء في قشر من الخيزران

(٢) استعدينا للسفر : والصواب استعددنا للسفر والفعل هو : استعد وليس استعدى .

(٣) الغوية : بفتح الغين ، والصواب ضمها (الغوية) وهي نطفة [illegible] القصص [illegible]

(٤) [illegible] والصواب [illegible] الشعر [illegible] القصيدة يقول الشاعر من قصيدة له بعنوان الأديب :

أن هز بالكف اليراعة أسلمت
يمعا هو السحر الحلال الأبد

(٥) كان سنه عشرين عاما ، والصواب كانت سنه عشرين عاما ، لأن الكلمة مؤنثة وهي قطعة من العظم تنبت في الفك .

(٦) حبلت الأنثى : بفتح الباء ، والصواب بكسرها ، حبلت الأنثى تحبل حبلاً أي حملت ، فهي حابلة والجمع حبلة ، وهي حبلى والجمع حبالى وحبليات . أما حبلت بفتح الباء ، فمعناها – عندما نقول حبلت فلانة فلاناً – أوقعته في شباك حبها وسحره .

(٧) ملعقة ، مسطرة ، مقص : والصواب بكسر الميم في جميعها ، نقول : ملعقة ، مسطرة ، مقص ، على وزن (مفعلة) .

(٨) القلق بكسر القافين : والصواب ضمهما ، نقول : القلقل ، واحدته قلقلة ، والفعل : قلقل الطعام والشراب ، قال امرؤ القيس في معلقته :

كأن مكاكي الجواء ، غدية
صبحن سلافاً من رحيق مفلفل

(٩) ألقى فلان خطبة ، بكسر الخاء ، والصواب ضمها ، ألقى فلان خطبة ، أي خطب الناس يخطبهم خطابة وخطبة . أما خطب فلان فلانة خطبا وخطبة بكسر الخاء طلبها للزواج ، وفي الحديث :

نهى أن يخطب الرجل على خطبة أخيه .

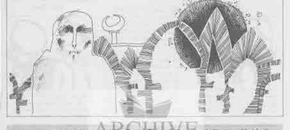
(١٠) أمين : بتشديد الميم ، والصواب تخفيفها (آمين) أي استجب لي يا الله ، يقول الشاعر :

يارب لا تسلبني حبها أبداً
ويرحم الله عبداً قال آمينا

أما بتشديد الميم في (آمين) فمعناها (قاصدين) يقول الله تعالى : ولا آمين البيت الحرام .

الغربة...

من تجارب الشخصية



الغربة! ما أصعب هذه الكلمة كلمة رددتها أفواه كثيرة على مسامعي لكنني لم أكن أعيها جيدا، أو أشعر بها عندما أسمعها في أغنية يرددها مطرب.. عندما تسمعها أذناي من قريب أو صديق يقول يلذة في إجازة أضحك في داخل نفسي وأقول لماذا هذه الكلمة دائما.. ولكن بكل صدق لم أكن أحاول سؤال من يقولها أمامي خوفا من إحراجه أو التسبب في مشكلة.. وما هي إلا أيام قليلة ويحركنا يعود إلى مقر عمله

إلى أن كتب على أن أذوق مرارة الغربة وأتجرع من كأسها.. عندما تحسست يوم السفر كنت أستحث الساعات على أن تمضي وتسرع، لأنني مسرورا بدرجة كبيرة.. ولو أنني سافرت كثيرا، ولكن داخل حدود بلدي، لم أتركها أبدا إلى الخارج!

ألم يقولوا إن السفر بمتعة.. أعترف أنه كذلك.. ثم ما هو الفارق بين أرض بلدي وأي أرض أخرى طالما أنه في استطاعتي أن أرجع إليها متى شئت، خصوصا وأني ذاهب إلى أرض عربية لا تختلف عن بلدي في شيء..

وقد كنت سائحا معجبا أراها كأنها ... قبل أن ... الأمتعة... صديقة وهنا في ... أما الذكريات فمنها ... بتجديدها في مكان آخر.. فما هو الفرق إذا!

ولكن! كم كنت مخطئا إلى حد كبير! انطلقت بي الطائرة.. ما هذا الذي أشعر به؟ إحساس غريب يتملكني لأول مرة، إحساس به شيء من الحزن.. حزن لم يمر بي من قبل.. مرت بي حالات رسوب في الدراسة، وفاة أعزاء، تحطيم حلم على صخرة الفشل، وغيرها.. بعضها يسبب الحزن للإنسان ولكن تلك أحزان غير الحزن الذي شعرت به عندما بدأت الطائرة في الإقلاع..

والغريب أنني لم أشعر بهذا الإحساس طوال بقاء الطائرة على أرض المطار قبل أن تتأهب للإقلاع، وبدأ شريط الذكريات يكتسح كل حواسي.. أهو فيلم وثائقي عن حياتي؟! هنا كانت طفولتي.. هذه مدرستي الأولى.. في هذا المكان بدأت لعب الكرة، وفي

تلك المكان عرفت أول فتاة حب...

وأخيرا، وصلت الطائرة إلى مطار البلدة الأخرى، وشممت رائحة أخرى غير رائحة بلدي، فالجو، الأرض، كل شيء هنا مختلف!

ولكن هذه البلدة متحضرة في كل شيء، وأهلها عندما يجمعني اللقاء معهم أتذكر على الفور أهل بلدنا الكرماء الطيبين الذين يلبون أي طلب دون انتظار لثواب.

وعندما تأتيني رسالة من بلدي يغمرني فرح وكأنني وجدت كنزا! أما عندما تعتريني الحيرة فأصل إلى حالة الهبة بالجنون... ما أعظم الرسائل، لم أكن أعرف قيمتها إلا الآن!

ويعد.. إذا كانت هذه حالة المغترب الذي سافر باختياره.. فما هو شعور المغترب المنفي الذي يحرم من دخول وطنه، واستنشاق هوائه ورؤية أهله وأصحابه، والمشي فوق طرقات بلده، أو نقل رفاته إلى تراب بلده؟!!

رأفت عبد المجيد مرسي
دولة الإمارات العربية — دبي

بالوهم يحيا الانسان



حدثتك في الفصل السابق عن (الاستغناء) الذي تلقيت فكرته عن مقال لسلامة موسى في مجلته القديمة (المجلة الجديدة) وكيف اخذت بهذه الفكرة في مسيرة حياتي.

كان ذلك المبدأ - الاستغناء - يورطني في مواقف عصيبة ، اتخذ القرار فيها وحدي دون مشورة او تحدث مع احد . لانه سيشير علي حتما بالعكس . عكس ما اريد . ثم اسلم نفسي لاوهام ترتفع بي فوق الواقع المؤلم ، ثم تكون العاقبة سلاما

اوهام تقوي الروح المعنوية ، وان بدت منافية للمنطق المعقول . والانسان لا يستطيع ان يعيش بالعقل دائما . ولكنه بالوهم يعيش.

وساحدثك اليوم ببعض ما عرض لي من ذلك.

لقمة العيش

قضيت شطرا كبيرا من حياتي - لا بل اشطرا كثيرة منها ، بل كلها ، ناسقتها المقولة الشمولة بالرعاية ، مشغولا بالحصول على (لقمة العيش) وكثيرا ما كانت هذه اللقمة تستعبدني . لهذا كنت اكره ما تضطرني اليه اشد الكراهية ، مثل كراهية العبد للسيد الذي يستعبده وتفتك فيه همة بدا متزلفا اليه ، وهو في الحقيقة يتحين الفرصة للانقضاض عليه.

اما اللقمة ذاتها فلا يمكن ان اكرهها ، بل على العكس احبها ، وان كان هذا الحب يجشمني كثيرا من المشقة . وهذا هو شأن الحب دائما على اختلاف المحبوب.

لذلك لم استطع طويلا الحب بيني وبين اية عتبة ، فحسبي ما القى من حب اشياء اخرى . وقد اعجبني تعريف فندي للحب بانه شيء يوجد عند تراقص المحلة (الفحم) ولندخل في الموضوع.

العتبة الخضراء

التحقت بالعمل في مجلة الرسالة مصححا لتجاربها في المطبعة ، كانت اتردد بين المطبعة في حي الازبكية وبين ادارة المجلة في العتبة التي كنا نصفها بالخضراء او (الخضرا) بالقصر - اي بدون الهمزة - حسب النطق الدارج . ولا ادري لماذا هي خضراء . وقد سميت ايام فاروق الاول ملك مصر في العهد الغابر الذي عاصرناه - سميت باسم زوجته اذ ذاك (الملكة فريدة) فكان يقال (ميدان الملكة فريدة) والواقع ان هذا الاسم كان يكتب فقط ، اما الالسنة فلم تجر بغير (العتبة) موصوفة بالاخضرار او غير موصوفة !

المهم . . . اني كنت مصححا لمجلة الرسالة في عهد يفصل بين ان كنت كاتبا بها في اول ما نشرت ، وكاتبا بها [illegible]

[illegible] الجزء او العطلة ان يكون له بقية [illegible] او انسان يرجى لا اتعبه [illegible] وانما تكتب لدافع هذه الروحانية او ظنا للمجد الادبي . فلا تسأل عن شيء غير ذلك . ان تكون مصححا صاحب جهد لا يشكر ولا يؤبه بما يعني من الامر.

غداء دار العلوم

كنت طالبا بدار العلوم ، اتناول غداء طيبا فيها بعد الدروس ، ثم افرغ الى سكني حيث استريح بعض الوقت ، ثم اذهب الى العمل . اعمل الى جانب طلب العلم مثل ما يفعل الطلاب في اوربا وامريكا وان كنت من الندرة في مجتمعنا . واظن ان اسلافنا كانوا يفعلون مثل ذلك في البصرة والكوفة وبغداد ومصر القديمة . كانوا يهرعون من السوق الى المسجد لطلب العلم.

كنت اتقاضى من المجلة جنيهين اثنين شهريا . وكنت احمد الله على هذا المبلغ ، وعلى الغداء اليومي بدار العلوم . وهذا يغنيني عن التسم والطبخ في المسكن او الذهاب الى المطعم . فهو يتكون من لحم ضان او دجاج او سمك مع خضر مطبوخة وارز او مكرونة ، اما الفطور والعشاء فيكفي قليل من التين في الصباح وبعض الجبن او الحلاوة الطحينية في المساء ، وقد اعرج في الطريق الى المسكن مساء على بائع الفول السوداني فاشتري منه بتعريفة . والتعريفة مليمان لهما قوة شرائية تحصل على قدر لا بأس به من الفول السوداني يصلح تسلية في الطريق وانا عائد على رجلي مجاملا للترام والاوتوبيس.

زهور الوظيفة

ولندع ذاك ، فهو غير مهم . المهم انه اقترب موعد الامتحان ، فطلبت اجازة من العمل في المجلة لمدة خمسة عشر يوما . وفي اول الشهر التالي عند (القبض) وجدت هذه المدة مخصوما اجرها . فمن هذا شاب كان يدير حساب المجلة ، قالوا انه (عاطف) ابن الست زوجة الاستاذ من رجل سابق وهو لهذا مدلل مرعي الجانب ، فالسيدة غنية ورثت ثروة كبيرة من الزوج السابق.

قلت في نفسي وانا متأثر متألم من تلك الحادثة : مالي ولهذا ؟ لماذا اخضع لذلك ؟ هل ضاقت الدنيا ؟ اذا كانت قد ضاقت فان (الاستغناء) يوسعها . وفعلا كتبت استقالة وقدمتها للاستاذ الزيات ، وانتهيت الى البيت . عدت الى مسكني وانا اطرد من ذهني اي تفكير فيما عسى ان يكون بعد (الغد) . شغلني شيء صغير جدا انشغلت به وجدا اني تعلق به وهم كبير حل محل التفكير المطرود : [illegible] يرج فيها سبعة قرنفل مزهرة ؛

● الإنسان لا يستطيع أن يعيش بالعقل وحده، ولكنه بالوهم يعيش
● يقول التعريف الهندي: الحب شيء يوجد عندما تتوافر [illegible]
● الصحافة هي التي تنشط الحركة الأدبية، وبدونها لا يكون نشاط أدبي

بلات الكون عاء ومنقيها ... نظرت إلى القرنفلة الحمراء وجعلت أناجيها بغير كلام مسموع: أنت ولا شيء غيرك عزائي!

لم أكن أحضرت شيئًا للعشاء وأنا في الطريق كالمعتاد، لأني كنت ذاهلا ولا أشعر بشهية للأكل. قلت للقرنفلة: أنت زادي!

مرحبا أيها النوم

تمددت على السرير وكان موعد النوم قد اقترب. بحثت عن كل تفكير فيما سأقدمه من العطلة الصيفية الحالية من غداء دار العلوم. كنت أسمع من بعض الطلبة في المدارس الأخرى أنهم يعوضون عن طعام المدرسة ويشكون من أكله، لأنه أدنى من مستوى طعام بيوتهم. فأعجب من ذلك لأول وهلة: أهم حق فهم أغنياء ولا بد أنهم يتناولون في بيوتهم طعاما فاخرا. على أني لم أكن أصدق الذين يتفاخرون بذلك وليسوا أغنياء تشبها بالأغنياء. وعلى أي حال أنا لست من هؤلاء ولا هؤلاء، ولو أنه يكون في العطلة لذهبت إليه. وهل أذهب إلى مائدة أحد...؟

تمددت على السرير وقلت: مرحبا بك أيها النوم، أنت البقية الباقية لي من السعادة! وكنت قد قرأت هذه العبارة في رواية رومانسية مترجمة، جاءت على لسان بطل الرواية وقد ضاقت به الدنيا. وصرت حتى اليوم لا أقلق عندما يجيء ميعاد النوم، إذ أشعر بمعنى تلك العبارة ولا أتلفظ بها، لابد أنها في أعماقي. وهي تقول لي من الأعماق: دع كل شيء ونم، فالنوم الآن خير من برامج التليفزيون... فأروح في سبات عميق...

الزيات يطلبني

كنت سادرا في أوهامي ... التي عن فكري أي واقع، واقع أو منتظر. وذهبت إلى أصحاب لم أرهم منذ حين في قهوة وقربت عليها بعض الأدباء من كهول وشباب، منهم محمد الهراوي ومحمد الأسمر وكامل كيلاني. ومن الشباب شوقي أمين وطاهر أبو فاشا وسيد قطب، ولقيت هناك الشاعر أحمد الزين الذي كان واسطة التعارف بين الزيات وبيني، فبادرني قائلا في اهتمام كله عتب على شيء شائع:

— تعال هنا، أين أنت؟
— ماذا؟
— إني أبحث عنك.
— خيرا؟
— الزيات يريدك.
— ......
— هيا إليه، إنه يسأل عنك في إلحاح... ما هذا الذي فعلت؟

وأصعد إلى الأستاذ الزيات، وقبل أن [illegible]

— لقد أخذ الاستعداد [illegible]

دخلت على الأستاذ الزيات بحول الابن الذي كان هاربا شاردا ... واستقبلني بروح الأب المسامح الحاني.

تلامذة الزيات

وحمدت الله على أن جاءت عاقبة الوهم الناشئ من فكرة الاستقالة... جاءت سليمة. كان الزيات يعرف لي بما يشبه الاعتذار عما كان من خصم في المرتب إلغاء أيام الإجازة، وأنه لا يقر هذا التصرف. حينما قطع حديثه رجل نحل طيبا، فاستقبله الزيات بالبشر، وقدم كلا منا للآخر، إنه من أحرار العراق، لجأ إلى مصر ولاذ بها من بطش السلطات السعيدة والمستعمرة هناك، وقد أفرد له الزيات حجرة في إدارة المجلة مؤثثة بما يلزم للإقامة. لعله كان تلميذا للزيات في مدرسة المعلمين العالية ببغداد، إذ كان الزيات مدرسا بها، وكثير من رجالات العراق كانوا من تلاميذه.

الصحافة والأدب

وموقف آخر أستمد فيه الاستغناء الى وهو عشت به زمنا كان لولاه يكون عصيبا!

كنت قد ضقت ذرعا بالصحافة حينما رأيتها في جيلي تعدو على الأدب. وأنا أحب الصحافة ما دامت في خدمة الأدب، وأحب أن تكون صاحبة الجلالة في خدمة الأدب. وأعتقد أنها خدمته فعلا في عهود مضت، سواء الصحافة المتمثلة في المجلات الأدبية والصحف التي كانت تخصص من الجرائد اليومية للأدب والثقافة بوجه عام، وكثير جدا من إنتاج الرواد في الأدب كان مقالات في الصحافة ثم جمعت في كتب صارت خالدة.

الصحافة هي التي تنشط الحركة الأدبية، وبدون الصحافة الأدبية لا يكون نشاط أدبي، تستطيع أن تحكم على حالة الأدب في بلد بتصفح جرائده ومجلاته، حتى الكتاب لا يكون حيا إلا إذا تحدثت عنه الصحافة ولو هامشه....

إذا كان الأمر كذلك فلماذا ضقت بالصحافة؟ ضقت بها وأردت التخلص منها والاستغناء عن فلوسها حينما رأيتها تتنكر للأدب وتريد أن تطبعه بطابع الإثارة والتفاهة والفهم العامي الضحل.

الصحفي والموظف

وكانت مشكلتي أن العمل في الصحافة قد ارتقى من الناحية المالية، وصار الصحفي ذا مرتب مثل مرتب الموظفين الذين كانوا مرموقين في الطبقة المتوسطة وما دونها، بل كنت أجمع بين مرتب الموظف ومرتب الصحفي.

انعكس الحال الآن وصار الموظف لا شيء بالنسبة للصحفي العالي الصوت والصيت. العيال كثروا وكبروا بعض الشيء وأصبحوا مطمئنين إلى استمرار المستوى الذي الجامع بين الدخلين، وقد مكن لنا أن نسكن في ضاحية المعادي (سرايات) لا المعادي التي فسدت بعد ذلك مكن من [illegible]

فكيف التخلص عن مرتبي من الصحافة



على الطريق بين الأدب والحياة

بالوهم يحيا الإنسان

اليوم ؟ وقلت في نفسي مشجعا على الاستغناء ومحاولا تعقيله (جعله معقولا) : أليس مشروع القانون سيحرم على الموظف أن يجمع بين وظيفته والعمل الصحفي ؟ لنخلعها من أصبرها ، أي خذ طريقك من الساقة القصيرة ، ودع المسلة . فالوظيفة الحكومية هي الدائمة وهي المضمونة ، وهي التي تستطيع أن تهمل عملها . وتنتج أدبا مزابا أو ملالا ... لا يهم . لبث كل الذين يعملون في أعمال الوظيفة يشتغون أدبا . إن كثيرا منهم يهملون ليجنوا ثمرات أخرى .

نرجع إلى موضوعنا ، وهل لنا موضوع ؟! ولم لا ؟ ألم تكن بصدد الاستغناء ، استغناء الود جدا (يقرفه) ويعوقه عن العداة ؟

توكلت على الله واستقلت من أخبار اليوم وتوهمت أني أستطيع الاستغناء عن مرتبها . كيف ؟ لا أدري . ألم أقل لك (توهمت) ؟

يوسف ادريس

دعيت الى نادي القصة حيث وجدت هناك مؤسس النادي يوسف السباعي وطه حسين وتوفيق الحكيم . ورأيت هناك لأول مرة الشاب الذي بدأ يلمع : يوسف ادريس أهدى الي مجموعته القصصية الأولى (أرخص ليالي) وقد اعترض طه حسين على كلمة (ليالي) باثبات ياء المنقوص وهو لم يقترن بأل ولم يضف . ولكن يوسف ادريس لم يعبأ بذلك ، لأنه ـ لا أحد يجس يده إذا حذفت الياء ووضعت اللام بالعنوان ... مثله في ذلك مثل الشيخ حسين والي ، مع فارق أن يوسف ادريس لا تهمه اللغة ، وحسين والي من رجال اللغة ، وكان من السابقين المجمع اللغوي عند إنشائه . وكان يكتب في جريدة الأهرام مقالات يوقع تحتها باسمه (حسين والي) فكتب كاتب يعترض عليه لاثبات الياء في (والي) فلم يعبأ الشيخ اللغوي الكبير بهذا الاعتراض وظل يكتب اسمه كما خلقه الله .

خرجت من النادي أنا ويوسف ادريس ، ومربا تحدث ، وكان من حديثنا :

ـ ما رأيك في قصص المجموعة ؟ وكنت قرأت بعضها في جريدة (المصري) فأجبت بصدق وصراحة :

ـ قصص جيدة ، (بس حكاية اللغة يا دكتور يوسف ..)

ـ ألا تفهم منها المقصود ؟

ـ بلى . ولكن هذا لا يكفي . صحة اللغة يا دكتور كصحة الجسم .

الحق أني لم أقل له العبارة الأخيرة ، بل خطرت لي الآن ، فألبستها في الوضع الذي [illegible]

[illegible]

(أتيح) بدل (متحة) وتصور أنك تقول لطالب الصغير : أريد كلنا من ... الابيح .

لا أرى مانعا من ذكر بعض الكلمات كما ينطقها الناس الآن ، وقوام اللغة إنما هو في صحة التركيب وسلامته من الخطأ في القواعد . وهذا ليس رأيي ، إنما هو رأي أحد اللغويين القدامى ، وما أنا إلا تابع مؤيد له أخذ بما قاله .

يوسف ادريس هجر القصة القصيرة وأصبح كاتب مقالات فقط ، مقالاته على العين والرأس ، ولعل ما يقوله فيها لا تقوله القصة كما ينبغي ، أو لعله مستعجل والقصة لا تسعفه ، فهي بطبيعتها تحتاج الى وقت تختمر فيه .

أرخص ليالي

ولكن قصة (أرخص ليالي) مثلا قالت قولا عظيما في فنية جميلة ، وأخذت مكانها في الخلود . كانت ـ من حيث المضمون ـ رائدة لدعوة (تنظيم الأسرة) ـ وهي من حيث الشكل الفني صورة جميلة لذلك الفلاح الذي لم يجد ما يسليه في ظلام القرية غير أن يعود إلى الحصيرة حيث ترقد زوجته (الارسية) وإلى جانبها عدد ممن ... بهم في أرخص الليالي .

والقصة صنعت ما يقال ... والأثر للتجسيد ... لا يتأتى للمقالات ولو كانت ... رنانة .

أنت حر يا أستاذ يوسف أن تكتب ما تشاء ، مقالات أو قصصا أو مسرحيات ولكن نحن ـ القراء ـ أحرار أيضا في أن نطلب منك ما نشاء .

ونعود الى موضوعنا للمرة الأخيرة ، وما أكثر ما نبعد عنه ثم نعود إليه ، طمعا في كرم القارىء أن يغض الطرف عن ذلك ولا يتقي .

هذه مجلة (الرسالة الجديدة) أكتب فيها وأتناول أجرا عن كتابتي ، وتكاليفها مجلة شهرية ، وما آخذه منها ليس إلا (علالة) لا تعوض ما فقدته من مرتبي في أخبار اليوم كان ... أنيس منصور ومحمد مصطفى غنيم وعبد الفتاح البارودي ... ممن أذعنوا للتنظيم الحكومية واستمروا في العمل الصحفي بأخبار اليوم .

بركات الاستغناء

لا بأس ، إنك في الحكاية تكاد تكون متفرغا للأدب ، ثم إنك تقضي السهرات الممتعة بين الأدباء في النادي ، وفي غيره ، وكنت تحقق هناك في جريدة (الأخبار) .

ولكن الأولاد ... هناك في الحادي ... يحدثهم ذلك ؟ أمور في الناحية الجميلة في منتصف الليل ، أسير في طرقاتها مأمورا بأشعة القمر الفضية ، حتى أجاوز ... ثم أنتبه إلى أني تركته ... فأعود إليه ، إلى الأولاد النائمين ، وإلى أمهم ، كما عاد بطل قصة (أرخص ليالي) مع الفارق .

ثم جاء الحل ، حلت (بركات الاستغناء) إذ صدر قرار وزارة التربية والتعليم بندبي مدرسا بالسودان كما تقدم .

ألم أقل لك في فصل مضى : إن ربي ... فرجا لأننا ذاهبون إلى السودان ... لنا هناك ... سعيدة ... يا رب أنت كريم يا رب !

عباس خضر

شهود حرب البسوس (٢)
الشاهد الباقي
المهلهل بن ربيعة

محمد المنسي قنديل





كنا جالسين .. همام بن مرة وأنا .. وبيننا شراب وندامى ودم .. ومصير مجهول .. كنت ثملا .. والسماء ملبدة بالسحب الوحشية .. والارض هادئة . وهمام نديمي .. وصنو روحي . تعاهدنا الا يكتم أحدنا سرا عن الآخر . وبين جسلي على خيمتنا . مقروحا فوق جواد مترنح . مكشوف الركبتين . لم يلتفت ناحيتنا وانحدر مع التل الى ديار بكر .. قال همام وهو يتابعه .

ـ ان له لأمرا . والله ما رأيته كاشفا فخذيه قط الى ركض .

قلت ضاحكا .

ـ لعله فعل كعادته في صيد الظباء ..

ضحك همام . حاول ان يشاركني الشراب . لكن منظر ركبتي أخيه العاريتين لم يفارقه . شربت كثيرا . والقيان تمنى من أشعاري .. وخيول النشوة تركض في عروقي .. هذا هو عالمي الآمن ما دام فيه كليب .. من خلال باب الخيمة لمحت جارية تقرع حولنا .. صاعدة من تلمست بكر .. ودنايت .. مسلما ، وهو يتسلل خارج الخيمة .. ويتحدث مع الجارية . لم يكن حديث حب .. هذا ما لاحظته .. كان كلاهما مرعوبا .. شديد العصبية .. أشار الي .. وأشارت الى بعيد .. ثم انحرفت هابطة على المنحدر .. وربط همام الجواد بجانب الخيمة وعاد .. جلس أمامي صامتا .

ينتزع أنفاسه الثقيلة بصعوبة .. لقد تلقى رسالة قاسية بلا شك .. وبعثت حالته في نفسي نوعا من الترقب الخبيث .. كان حائرا مثل غريق .. قلت له دون مواربة ..

ـ ما شأن الجارية والفرس .. وما بالك ..؟

تردد برهة . ثم مد يده مرتعدة الى كأسه وهو يقول ..

ـ اشرب ودع عنك الباطل ..

قلت .. ولماذا ..

ـ زعمت هذه الجارية ان جساسا قتل كليبا ..

ولم أتمالك نفسي .. ضحكت في صوت عال وأنا أقول ..

ـ هيهات .. همة أخيك أضعف من ذلك ..

الموت .. جواد شاحب

ملأت كأسي وأشرت للقيان أن يواصلن الغناء . شربت في نهم وأنا أرقب وجه همام .. اذا كان كليب قد قتل حقا .. فلماذا لم تتقوض الصحراء . ولم تنطفيء الشمس . ولم تتناثر النجوم . رفعت كأسي وشربت نخب الاشياء المستحيلة .. أخذت الحرب والسالم يدور بي . غرقت في قبوى الظلم الذي أجيب فيه كل مساء .. وجاء كليب .. صاح بي .. مضى زمن المنادمة .. وجاء زمن الموت .. أفقت فلم أجد أحدا .. لا همام .. ولا الجواري . سرت وحيدا .. فرأيت جوادا شاحبا يرعى عند حافة الافق . يحمل جثة أبي نذيوها .. هكذا إزاء .. منذ



● ولست بخالع درعي وسيفي إلى أن يخلع الليل النهار
● أشرقت الشمس على يوم جديد .. والحرب في أشد ضراوتها

مطرين عاما .. منذ أن ذبحه التبع اليماني بعد أن رفض أن يدفع الجزية .. استسلم ربيعة .. واستسلمت بكر .. ولم يبق لي الا كليب .. الجبل الذي يأويني ويمدني بالثأر .. أصبح هو أبي .. وعدوه عالمي .. وعلمني المتكبر أطلق به واليه .. لكن الجواد الشاحب يقترب .. وسيح رقبته في صدري .. لا يحمل جثة أبي ولا جثة كليب .. بل يحمل جثتي هناك شباب أصفر .. وانا أسير داخل حلم غريب .. أدخل تغلب غريبا .. خائفا .. مهيبا .. الفرسان يخفرون خيولهم .. ديكسرون سيوفهم .. سور سود كأنها غربان تقاطعت مفردات المرات .. البنات الثلاث يصرخن في وجهي ..

ـ عماه .. مات أبونا يا عماه .. مات كليب ..

يلعنون عني بالصراخ .. يرجحونني أن أستنق .. يقودونني الى تل ، الذئاب ، ويشيرون الى جثة غريبة .. الرمل تحتها أحمر .. والطيور فوقها سوداء .. يلتقطون أعضاء مرجاة .. ويلقون جسدا ساكنا .. ويصيحون في .. أيك أخاك .. أبك قتيل ربيعة وتغلب .. آخر ملوك العرب ..

لكنني لا أبكي .. أعرف جيدا أن هذا ليس أخي .. كليب المفعم بالحياة والرغبة والقسوة والمرح الصاخب .. لا يقتل جراء ناقة .. ولا من أجل كنوز الارض .. لا يقتله داعي شأن مثل جساس بن مرة .. هناك نوع من سوء التفاهم الى .. ان كان ثمة أحد قد مات فهو أنا .. أما هذا الجسد الدامي الاسود الازرق الفاغر الفم الزجاجي النظرة الراقد وسط الروث والبعر المغلوع النعل المقصوم الظهر .. فهو ليس

كليبا .. هذه خدعة .. سوف يرد حيا .. على بكر أن تنشره حيا .. اليوم .. أو غدا .. أو آخر الزمان ..

صرخت في الجميع ..

ـ ويحكم .. ماذا دهاكم .. أتعقرون خيولكم حين أحتجم اليها ..

وتكسرون سيوفكم حين افتقرتم اليها

والتفت الى النساء الباكيات صائحا ..

ـ استبقين للبكاء عيونا لتبكي حتى آخر الدهر ..

وفي الصباح دفنا الجثة الغريبة التي وجدناها على التل .. وصرخت في البيد الواسعة .. أدعو كليبا .. لم يجبني .. .. وكيف يجيبني البلد القفار .. سقاك الغيث انك كنت غيثا .. ويسرا حين يلتمس اليسار .. ولست بخالع درعي وسيفي الى أن يخلع الليل النهار ..

لم يبق من أيامي .. الا أيام الحرب .. أو يعود كليب .. أجز شعري .. وأقصر ثوبي .. لا ألم طيبا .. لا أقرب خمرا .. ولا أدهن بدهن .. ولا أقرب النساء .. حتى أقتل بكل عضو من كليب رجلا من بكر .. رجل للذراعه .. ورجل لكل أصبع من يديه .. ورجل لكل شعرة من رأسه ..

جاء الي شيوخ بني تغلب .. قالوا ..

ـ بني مرة أولاد عمنا .. واننا نرى الا تعجلهم بالحرب حتى نعتذر الى اخواننا من بني مرة ..

فبالله ما تجدع بحرب الاهل الا أنفك .. ولا تقطع الا كفك ..

سحت فيهم ..

ـ جدعه الله انفا .. وقطعها كفا .. والله لا تحدثت نساء تغلب التي أكلت لكليب لمما .. ولا أعطت له دية ..

لكنهم أصروا .. كنت أكره ترددهم .. ولكني أكره أن ينفضوا من حولي .. ووافقت مرغما ..

شهادة اعتراضية :

من القوال وقد تقلبنا الى بني بكر ..

سرنا الى بكر .. الى بني مرة .. كنا نحاول أن ندفع شبح الحرب .. قلنا لهم ..

ـ انكم أتيتم أمرا عظيما بقتلكم كليبا بناب من الابل .. وقطعتم الرحم .. نحن نكره العجلة عليكم دون الاعذار .. واننا نعرض عليكم احدى ثلاث خصال لكم فيها مخرج ولنا مرضاة .. اما أن تدفعوا الينا جساسا فنقتله بصاحبنا فلم

يظلم من ظلم قاتله .. واما ان تدفعوا الينا هماما فانه ثبت لكليب .. واما أن تقيدونا من نفسك يا مرة .. فان فيك رضا القوم ..

وسمع مرة هذه الكلمات . نظر الى وجوه قومه من بني بكر .. كأنه يطلب تأييدهم غير المشروط . قالوا له .. تكلم غير مخذول .. قال الشيخ المزاوع ..

— واما جساس فغلام حديث السن ركب رأسه فهرب حين خاف .. فوالله ما أدري أي البلاد انطوت عليه . واما همام فابو عشرة .. وأخو عشرة .. ولو دفعته اليكم لصاح بنوه في وجهي وقالوا .. دفعت أبانا للقتل بجريرة غيره . وأما أنا فلا أتعجل الموت وهل تزيد الخيل على أن تجول جولة فأكون أول قتيل ..؟.. ولكن هل لكم في غير ذلك ..؟.. ان شئتم لكم ألف ناقة تضمنها لكم بكر بن وائل ..

وهتفنا في غضب ..؟ ونحن نسحب أذيالنا ..

— والله ما كان كليب بجزور تأكل له ثمنا ..

تمت اقوال وفد تغلب ..

اربعون عاما من الحرب ..

الحرب قدري . منذ ان ولدت . وجالست النساء . وقلت الشعر . وأحببت كليبا . تأميت تغلب .. وبكر . لم يعتزل منهم الا الحارث ابن عباد . تدق الطبول في الصباح وتنصب النائحات في المساء . ويمتد حبل الدم . يغسل عيون المياه بالقبور ويثبت زهر غريب .. أشم له رائحة جسد كليب .. عند الأبار .. والينابيع .. اماكن السقيا والعشق تحولت الى مواقع للقتال .. تشرق الشمس فأشهر سيفي واقتل كل من أصادفه .. ردوا كليبا .. انشروه من ذرات الرمل .. من رماد الحرائق .. لا أعرف عدد القتلى .. ومن أي جانب .. كم يوم مر .. كم سنة .. وحركة غادرة ..؟..

ثم جاء همام . رأيت أساريره مضطلة بالدم والرماد .. كان في الجانب الآخر .. بيننا دهر من العداوات . تحاورنا طويلا من أن نلتقي .. كان يتقدم نحوي كاشرا سيفه .. وحاسرا رأسه .. يقول .

— الدم نفسي فداء لهذه الحرب الضروس .. اقتلني ولأكن آخر القتلى ..

ابتسمت وسكت واحتضنته وأبعدته .. يا نديمي وصفو روحي .. ما الفائدة .. أنا أريد كليبا .. حتى قتل جساس لا يشفيني .. أنا بحاجة الى معجزة .. همام يبكي .. [illegible] يعرض ألي الى [illegible] الأراسل والهامر [illegible] وتعولت الأيام [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الا الدم .. ولا يركب الفرسان الا الدم .. فاحفظ روحك ومت بيد غيري .. كان جساس يحلم بأن يكون ملكا .. هو الذي دفع بناقة البسوس الى بستان كليب .. وجعل العبيد يتطاولون عليه .. والقاه في المنازلة بالحصى لم طعنه غدرا بالرمح . استمرأ ليقتله ماحيا في قلبي كالظلي .. انصرف يا همام .. فالحرب القدر يجب أن تتواصل ..

وذهب همام . أشرقت الشمس على يوم جديد .. كنا بالقصيبات . والحرب في أشد ضراوتها . وكان الوقت حتى يقتل همام .. قتله الغلام « ناشره » .. كان لقيطا . أخذه همام ورباه في بيته . وعندما كبر عرف أنه من بني تغلب .. وهكذا تحين الفرصة عند « القصيبات » .. كان همام يقاتل فلما عطش رجع الى قربته فشرب منها ووضع سلاحه .. ووجد ناشره من همام غفلة فشد عليه حتى قتله ولحق بقومنا .. وفي المساء .. كنت أمر بموكب القتلى فوجدت همام مقتولا . منطرحا وسط الدم والرغام . جثة عارية وسط عشرات الجثث . لا تفرق الطيور الجارحة بينها .. وكانت صرخي المسيرة تهي ..

— والله ما قتل بعد كليب أعز علي فقدا منك ..

ولم تهدأ الحرب . للدم رائحة تغلب كل ما عداها . أشمها في الطعام والشراب وفي مجلس القوم . حين أستبد ليرحة وأغفو . وحين أحلم .. توقظ داخل الشهوات . تفتح داخلي أغوارا عميقة .. فأرى كواكب مطفأة ونجوما مندثرة وزهورا ذابلة .. وحروق ملح .. ويأتي كليب غاضبا .. يصرخ من حرقة العطش .. وتأتي اليمامة .. وعنيزه .. وبنيته .. يبكين .. يرددن المراثي فتتحول اطلاقي الى مخالب . وأسناني الى أنياب قاطعة .. الحرب جرحي الذي لا يشبع .. أضرب سيفي فلا أعرف قتلاي .. من بكر .. أم من تغلب .. أبحث عن جساس فلا أراه .. وحيدا يمتى يوما أعشى .. وضربا أخرى ..

ثم نقل الحارث بن عباد عن عزلته . أرسل ابنه بجيرا يرجوني أن أقتله فداء لهذه الحرب . وفداء لكليب . غلام صغير لم يعقد



شخصيات حية من الأغاني

الثلثية عشرة .. بعثه الى شيخ أحمق يحسبه الناس كفؤا لكليب .. كأني عشت هذه السنين الطويلة من الحرب حتى أظفر بهذا الغلام .. صرخت غاضبا .. شاعرا بالاهانة .. رفعت سيفي لأهوي عليه .. وصرخ في امرؤ القيس بن ابان الشيخ رفيق حربي ..

ـ لا تفعل . فوالله لئن قتلته ليقتلن به عزيزا علينا .. ولقد اعتزلنا أبوه وعمه وأهل بيته ..

ولكني كنت غاضبا مسعورا .. جائعا للقتل .. والغلام أصغر من أن يقنعني منطقه .. أهويت عليه بسيفي الاعمى وانا أصرخ ..

ـ بؤ بشسع نعل كليب .

شهادة اعتراضية

من اقوال الحارث بن عباد

علم الله .. لم أكن من جناة الحرب .. ولكني صليت نارها اليوم .. اعتزلت بكرا حتى تعيق قلبت من تغلب اعتزالي . قربا مربط النعامة مني . ان قتل الكريم بالشسع غال . رشدي . قرة عيني . يموت لقاء أحد سيور نعل كليب . أنا الحارث بن عباد . أشد أهل زمني حلما وصبرا . الوحيد الذي لم تلوث الحرب يديه . جاء قومي من بكر يطلبون وساطتي . أصبحت حياتهم بسرع من الذئب الغامض .. لعلني كنت الوحيد الذي لم يحمل نصيبه من الالم . أرسلت الى المهلهل .. ابني فداء لهذه الحرب الضروس .. لم أنس النظرة التي رأيتها في عيني بجير وهو يستعد للسفر .. لعله كان يسائلني في صمت .. عن مبرر لهذا المحرق الاحمق ..

ثم جاء الى من يقول .. أن المهلهل قد قتل بجيرا .. ظللت في هدوء وأنا أحاول التماسك ..

ـ نعم القتيل قتيل أصلح بين وائل ..

صرخوا في وجهي ..

ـ انما قتله بشسع نعل كليب ..

في أول الأمر لم أشأ أن أصدق . اعتزلت الحرب طويلا فلم أعد أعرف أسرارها .. أرسلت الى المهلهل أسأله .. ان كنت قد قتلت بجيرا بكليب وانقطعت الحرب فقد طابت نفسي .. ولكنه رد علي في قسوة .. انما قتلته بشسع نعل كليب ..

عفوا يا بجير . أهدرت دمك دون جدوى .. لم يعد أمامي الا حرب أنا العامر فيها مقصدا .. أحضرت فرسي « النعامة » .. جززت ناصيتها وقطعت ذيلها . وخرج قومي خلفي . كل الذين اعتزلوا .. وعفوا عن الاشتراك في حرب عبثية .. رأيت دهاء بكر . فتبل .. وعراقي .. [illegible] لبكره .. ولم يمس [illegible] الحرب عليه [illegible] مني [illegible] وأنا أقول [illegible]

[illegible]

[illegible] بعلامة [illegible] الحرب [illegible] بعضهم بعلامة يعرفونها فاذا مرت امرأة على صريع منكم عرفته بعلامته فسقته من الماء وانعشته واذا مرت على رجل من غيركم ضربته بالهراوة .

وهكذا . حلقوا رؤوسهم جميعا استبسالا للموت . وجعلوا ذلك علامتهم . واشتد القتال ضاريا .



والنعامة تفر تحتي . ورأيت فارسا منهم يقاتل بوحشية .. وأمرت فرساني أن يتكاثروا حوله وان يضيقوا عليه القتال .. وظل يقاوم حتى كلت سواعده .. والهزمت تغلب .. ووقع الفارس أسيرا .. اقتربت وأنا أصيح فيه .. دلني عن المهلهل .. حدق في باستغراب لم قدر في تردد .. على دمي ..؟.. قلت بغيام واندفاع .. ولك دمك .. قال .. ولي ذمتك وذمة أبيك ؟.. قلت .. ذاك لك .. ابتسم وهو يقول .. أنا المهلهل .. خدعتك عن نفسي والحرب خدعة ..

خدعني قاتل ابني .. انتزع من بين أسناني الوعد بالأمان .. أعلقت سيفي .. وأصبحت فارسا ممكونا أسير وعده الاحمق .. قلت .. كأنني بما صنعت بك بعد جرمك .. دلني على كفء لبجير .. دار بعينيه بمكر ثم أشار الى أحسن قواده .. امرؤ القيس بن ابان .. لم يكن الدروع من قومه ليجيو بنفسه .. هكذا جززت ناصية شعره كما هي العادة ثم أتمم السيد الشريف وأطلق أسيره .. وفتكت بابن ابان .. ولكن ثأر بجير لم يهدأ .. وكذا الحرب ..

تمت اقوال الحارث بن عباد

وقت للهزيمة ..

ووقت للمنفى

عدت مهزوما . كسيرا . مجزوز الناصية . مشتت في مسيدة الوجوه . يسالونني عن الاب والابن والزوج كيف انكشفت الحرب وتناثرت بشتى الأمل .. كنت عاجزا .. كأني هزمت طوال هذه السنين الماضية . وناصيتي المجزوزة تشهد على ذلك . قتلت كثيرا فلم يمت كليب . أمر على قبره في سلام فلا أظفر بعلامة رضى .. او غضب . لا الآلهة تجيب . ولا الأبار ترجع الصدى . أصبحت قاتلا مطالبا بثأر المئات . والذي لم أبلغه . لعبة الحرب المنية تركت بصماتها على قلبي .. تحولت الى وغد جبان .. قتلت صبيا اسمه بجيرا وصديقا اسمه امرؤ القيس بن ابان .. وقبل ذلك .

فلتت ندیمي وسلو روحي صباما اين مرة .. وعدت بجوزي الناصية .. يبكي الجميع من قتلاهم .. صرخت فيهم ..

ــ مثل لا يسأل عن القتل وعن مقتول .. صارت الحرب طويلة وقاسية .. أو بدت هذه السنين في رفاهية عيش لكانت ثمن من حولها فكيف وقد فني الفرسان . وثكلت الامهات . ويتم الاولاد .. ورب نائحة لا زالت تصرخ . ودموع لا ترقأ . وأسلاب لا تدفن . وسيوف مشهورة ورماح مشرعة .. وان القوم سيرجمون اليكم بمودتهم .. وتتعاطف الارحام من جديد .. أما أنا .. فما تطيب نفسي أن اقيم .. وما زال ثاري معلقا .. وانا من اللحظة سائر عنكم الى بلاد اليمن .. لم يعارضني احد .. لم يطلب أحد بقائي .. لم يتمسك احد بيوم آخر من القتال .. فهموا جميعا في ارتياح .. وسرت مبتعدا عن دياري وقبيلتي .. ورأيت غرابا أسود ينقر قبر كليب .. واصلت سيري .. يحاول الغراب أن يصل الى عظام كليب .. فكيف استعيد من كان طعاما للغربان .

ذهبت الى بلاد اليمن البعيدة .. غربت شمسي .. وتبعني السواد الشاحب .. بدأت الحرب بالاطفال .. وانتهت بالشيوخ .. كل شيء أصابه الهرم الا ذلك السواد الهرم على حافة الافق .. وبدأ الصدأ يزحف على سيفي . وعلى روحي . ماتت اخبار بكر .. وتغلب .. الصراخ ..

والسلام الذي استتب .. لم أكن رافضا .. ولا مؤيدا .. كنت هاربا .. استدار الزمن .. ولم أدرك ثاري .. وماتت ابنتي سلمى .. استحال أن تصور الى أرضنا .. كانت بطريقة وكنت أكثر منها غرقا .. وكل العودة من شقي حزن مضني .. كيوت .. شقى .. [illegible] زوجها .. [illegible] تركت قصة قبيلة هناك وتشعر بالعقدة الاخرى .. [illegible] قبري .. [illegible] كالقلق .. ارقد فوقه كل مساء .. واتكت على العودة .. عدنا من نفس الطرق القديمة .. المعارك الخاسئة .. واصوات السبار .. واول شيء بدأ من تغلب هو قبر كليب .. لعله ترك موضعه القديم وتحرك ليسد طريقي .. يذكرني بكل ما حسبت انني نسيت .. خنقتني العبرات .. كأنها لحظة اعلان الموت .. عفوا يا كليب .. لم اتقتل .. لم اترب .. لم اقرب ابنا .. ولم ادرك ثارك .. وصرخ في وجهي طائر مجهول .. لعله طائر الصدى الذي خرج من رأسه يوم قتل .. يلعنني طالبا وسطلوبا .. وروحه القلقة تمشي على شيخوختي وعجزي ..

انحدرت الى تغلب . استقبلتني وجوه مستغربة . لم يتصور احد انني ما زلت على قيد الحياة وصرخت فيهم .. هيا الى القتال .. ما زالت بكر ترعى . وجمالي بحكم .. هل كان صوتي واهنا .. ام هم الذين اصموا اذانهم .. تركوني وسط البنات

الثلاثة .. اليمامة .. وعقيره .. وبديله .. هتفوا .. سوق تحارب معك يا عماه .. وسخر منا الجميع . اربعون عاما من حرب مضت احاول بعثها من جديد .. لم يتجمع سوى السيد ..

كونت جيشا .. من حثالة العبيد .. والمرتزقة .. والمتطفلين . واللصوص .. أي جيش لاسد اي ثأر .. أمر جنون الشيخوخة .. أم حرقة اثار القبر .. سرت الى تغلب .. صرخت اطلب دم جساس ضحكوا مني .. هددتهم بالقتال قاتلوا .. هجمت .. وما هي الا جولة حتى تفرق لصوص جيشي واستغلني عبيدي .. ووجدت نفسي اسيرا عند عمرو بن مالك احد اصاغر بني ثعلبة ..

شيخ عجوز أسير هو المهلهل .. يضحك منه الصبية .. ويسخر منه الجميع .. حتى رثائي في كليب يثير الضحك .. ورثاء العجوز أسرى .. صرخ في وجهي .. عددتني .. ولكني بالغت في حياته .. اقسم الا اذوق الماء ستة ايام كاملة ..

كانت هذه النهاية .. أعرف ذلك .. ووهج الصحراء يصعد في عروقي .. والآبار الجافة تتشقق في اخاديد قلبي .. والسراب الخادع .. يحمل لي كليبا شابا جميلا قويا .. كما رأيته دائما .. كنت اسمع نهايتي .. من الرمل والدم والطين واخوتهم الى القتال لم اتجبهم .. ونجوما لم ارها .. واردد في النزع الاخير ..

يا خليلي ناديا لي كليبا

ثم قولا له .. نعمت صباحا ..

يا خليلي .. ناديا لي كليبا

قبل ان تبصر العيون الصباحا ..

يا .. خل .. لي .. نا ......

تمت اقوال المهلهل بن ربيعة

ويليه اقوال الهجرس بن كليب

وما زالت الحرب مستمرة .

محمد المنسي قنديل

مسابقة الدوحة

[illegible]

نتيجة مسابقة عدد مايو

- فاز بالجائزة الأولى ومقدارها ٣٠٠ ريال قطري والاشتراك لمدة ستة أشهر القارئ : ليث وارهام احمد – المغرب
- فاز بالجائزة الثانية ومقدارها ٢٠٠ ريال قطري والاشتراك لمدة ستة أشهر القارئ : تواتي مزيان – الجزائر
- فاز بالجائزة الثالثة ومقدارها ١٠٠ ريال قطري والاشتراك لمدة ستة أشهر القارئ : محمد اسماعيل مصطفى – القاهرة

الفائزون باشتراك مجاني لمدة سنة

كمال طيبي – المغرب
ابراهيم محمد [illegible] – [illegible]
عبد الله [illegible] – [illegible]
عادل العقلاوي – مصر
احمد بشارة بركات – ابو ظبي
عبد الزهرة [illegible] – [illegible]
[illegible] – [illegible]
حاكم عبد الرزاق – السودان
محمد علي يونس – العراق
محمود محمد عبد الله – البحرين
عادل شوقي الدين احمد – السودان
خالد ابراهيم عبد العزيز – الكويت

حل مسابقة عدد مايو

برنامات
كاتب ديقية
قولا

١ – بولينا
٢ – الحرب العالمية الثانية
٣ – ١٩٤٧
٤ – لندن
٥ – حبرون
٦ – ١٩٦٨
٧ – الانجليز
٨ – الجوهر
٩ – الكوبلت
١٠ – موسى

الاسم :
العنوان :

من . أين . ما

شخصية طاغية يتذكرها الشعب العربي المصري كلما حكمه جبار عنيد او ديكتاتور لا يتقي الله ويتفرعن حتى يأتيه الموت فيخلص المصريين منه ، اسمه من ستة حروف :

٦ ، ٥ ، ١ رغبة ملحة
٣ ، ٤ ، ٢ اعترف بجريمته

قطر فشل العرب في اخماد فتنته رغم كثرة مؤتمراتهم وقراراتهم ، ينتظر الفرج بوحدة القلوب وصدق النوايا والعمل الجدي اسمه من خمسة حروف :

١ ، ٥ حرف نفي ناصب
٣ ، ٢ ، ٤ اخطأ السيف الضربة

خلق او صفة تنقص العرب ليخرجوا من الظلمات الحالية الى النور ، اسمها من ثلاثة حروف :

٣ فعل امر
٣ ، ١ ، ٢ اتجه نحو

(١)

الفلز الاساسي في (حجر الولاعة) هو : الرصاص – السريوم – الصوديوم

(٢)

(الحمار من الحيوانات المجترة) هل هذه العبارة صحيحة علميا ؟

(٣)

حصاني كان دلال المنايا : اكمل البيت واذكر قائله .

الجوائز

التاريخ العربي

من هو الممثل العالمي الذي قام بدور خالد بن الوليد ؟ اذا ارتدت التعرف عليه فانظر الى الصورة جيدا لتراه متقمصا دور القائد العربي الذي بهر الدنيا بدوره العظيم في ترسيخ اقدام الامة الاسلامية ؟



ماذا ستقول ؟

هذه الطفلة انتهزت فرصة انشغال والدتها في اعمال المنزل وارتدت حذاؤها وخرجت الى الطريق العام في براءة ودون احساس بالخطر .. ترى لو اردت ان تكتب تعليقا تحت الصورة ماذا ستقول ؟



④
كان المستر تريجفي لي امين الامم المتحدة عند صدور قرار تقسيم فلسطين في نوفمبر سنة ١٩٤٧ من جنسية : برتغالية ـ هولندية ـ نرويجية

⑤
مؤلف كتاب البخلاء هو :

المتنبي ـ الجاحظ ـ مصطفى صادق الرافعي

⑥
محمد علي باشا مؤسس الدولة الحديثة في الوطن العربي المصري ، انتخبه المصريون للخلاص من نير الولاة والانكشارية بعد انقشاع الاحتلال الفرنسي : وكانت توليته في سنة :

١٧٠٠ ـ ١٨٠٥ ـ ١٨٥٠



⑦ كان سكان بغداد : دار السلام ، في عهد هارون الرشيد عددهم :

مائة الف ـ مليون ونصف مليون ـ عشرة ملايين

⑧ اى الاحجار الكريمة التالية يتركب من اوكسيد الالومنيوم :

الياقوت ـ الزمرد ـ الزبرجد ـ الماس

⑨ النوادر الثلاث هي الغول والعنقاء و : الكبريت الاحمر ـ الخل الوفي ـ حجر البدخشان اللعل .

⑩ لماذا سمي سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه (ذو النورين)



أهمية الاختصاص

محمد عبد السلام هارون

قال صديقي العائد لتوه من أوروبا والحسرة تنقط من بين أصابعه .. أريد أن أحكي لك حكاية صغيرة عما جرى معي للترى على أي وهم كبير نحن نعيش ..

كما تعلم فقد غادرت بلدي قاصداً ألمانيا الغربية ومعي بطاقة صغيرة تحمل عنوان طبيب مختص في جراحة العين أرشدني إليه أحد أطباء بلدنا .. كان قلبي مفعماً بالأمل بأن متاعب عيني المصابة سوف تنتهي عند لمسة سحرية من يد البروفسور « ماير » الأستاذ الماهر والطبيب اللامع في العاصمة الألمانية ...!!

وعند الكشف الطبي الأول تعجبت من قول البروفسور « ماير » ... [illegible] ... الأخصائي في [illegible] ... والتشريح ...

بعد هذا [illegible] ... معي [illegible] ... واحد وهو [illegible] ... يجري في أوروبا وما يجري عندنا في الصعيد الطبي ...!

المسألة إذن مسألة اختصاص لا أقل ولا أكثر .. « شبكية العين » أصبح لها طبيب « مختص » إذن .. إن جولة واحدة في أحد الشوارع من أي مدينة عربية وقراءة لبعض اللوحات الإعلانية التي يرفعها بعض الأطباء تكفي لكي يصاب الإنسان بصدمة نفسية وعصبية لا تشفيه منها جميع مضادات الالتهاب « الانتي بيوتيك » التي يصفها أطباؤنا لمرضاهم بمناسبة أو بدونها .. جميع الأمراض التي خلقها الله تستطيع قراءتها من خلال ثلاث لوحات إعلانية :

١ ـ أخصائي في الأمراض الداخلية والتسلية والأطفال. ٢ ـ أخصائي في أمراض الرأس: عين، أنف، أذن، حنجرة. ٣ ـ أخصائي في جهاز الهضم والكبد والطرق الصفراوية والغدد والسكر والتحري عن السرطان ... الخ.

ماذا يستطيع خريج دورات محو الأمية أو حامل أعلى الشهادات العلمية استشفافه ؟

هل هو تقدم علمي هائل في مجال الطب، أم تقدم هائل في فن التضليل ؟

هل تدل هذه الإعلانات على عبقرية فذة لبعض الأطباء، أم تجنٍ كبير على الطب وعلى الثقة العربية على حد سواء ...!

إن كل ما يعتمده بعض هؤلاء للرد دفاعاً عن لوحات إعلاناتهم من جهل متفشٍ بين قسم كبير من المرضى أو عن قلة في عدد الأطباء أو اعتدادهم بشهادات علمية حصلوا عليها بعد زيارة استجمام لبلد معين .. كل هذه الحجج لا تعفيهم من مسؤوليتهم الكبرى تجاه مرضاهم: مسؤولية القول الحق في كل الظروف، مسؤولية الاعتذار عما لا يعرفون بتركه لمن يعرفون.

إن [illegible] الوصول مهما اشتدت حدتها يجب أن لا تطغى على تلافيف دماغ المهنة .. [illegible] في وطننا العربي ليس بناء المشافي الضخمة ولا استيراد الأجهزة العلمية المتطورة بقدر ما هو استفادة من العقلية الطبية [illegible] المتفتحة عقلية أمثال البروفسور « ماير » إن ما نحتاجه أن يمتلك بعض أطبائنا جرأة الاعتذار عما لا يعرفون وإرشاد مرضاهم لمن يعرفون.

إن كثيراً من المشاكل التي يعاني منها وطننا العربي الكبير ستتلاشى عندما تتبلور أهمية الاختصاص أكثر فأكثر .. عندما يتوقف هؤلاء المختصون بكل شيء عن تشريح السياسة العالمية على طاولة « النرد » وعندما يمتنع تجار الثقافة عن سماع أخبار العالم من خلال طقطقات أراكيلهم .. وعندما أخيراً يتخلى من لم يحفظ السلم الموسيقي بعد عن مسألة تقييم موزارت أو بيتهوفن.

هكذا تبدو أهمية الاختصاص أكثر من ملحة في وقتنا الحاضر فالعالم كله تخلى عن العمومية في زحفه التحضر وراء الاختصاص .. حاذفاً للأبد من قاموسه كلمتي « بتاع كله ».

وأخيراً فإذا كان عصرنا الحاضر لم يعد يحتمل رؤية بعض الحلاقين يمارسون الطب فالأحرى لبعض الأطباء ... ومختصي كل شيء الامتناع عن ممارسة الحلاقة